المسيحية والتاريخ

تاريخياً ، عقيدياً ، كنسياً ، روحياً



الجزء الأول

من بدايات التاريخ حتى عصر الإستشهاد

ابدياكون

د. اسكندر القمص لوقا اسكندر

مدرس التاريخ الكنسى

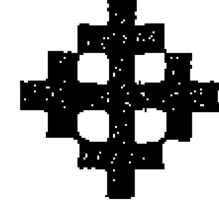
بالكلية الإكليريكية فرع طنطا

تقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا بولا

أسقف طنطا و توابعها

ومدير الكلية الإكليريكية فرع طنطا



بســـم اللـــه القـــوى

المسيحية والتاريخ

تاريخياً ، عقيدياً ، كنسياً ، روحياً

الجزء الأول

من بدايات التاريخ حتى عصر الإستشهاد

تقديم

نيافة الحبر الجليل الأنبا بولا

أسقف طنطـا وتوابعهـا

ومدير الكلية الإكليريكية فرع طنطا

ابدياكون

د. اسكندر القمص لوقا اسكندر

مدرس التاريخ الكنسى

بالكلية الإكليريكية فرع طنطا

اســم الكتــاب : المسيحية والتــاريـخ
تاريخياً ، عقيدياً ، كنسياً ، روحياً
اســم المؤلـف : د. اسكندر القمص لوقا اسكندر
الجمع التصويرى
وفصل الألوان : دير مارمينا العجائبى بمريوط
المطبعـــــة : مطبعة دير مارمينا بمريوط
رقــم الإيــداع : ٤٧٢٩ / ٩٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 19 - 3241 - 1



صاحب الغبطة والقداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧



نيافة الحبر الجليل الأنبا بولا

أسقف طنطا وتوابعها

محتويات الكتاب

الصفحة

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل السابع :

تقـــديم
لنيافة الحبر الجليل الأنبا بولا

إن البحث والتنقيب فى أعماق التاريخ لهو أصعب كثيراً من التنقيب فى باطن الأرض أو فى أعماق البحار .

فبَاحثي التاريخ وإن كانوا لا يبذلون جهداً عضلياً ، إلا أنهم ينبغى أن يتحلوا :

أولاً : بجلد ومثابرة عجيبة . فمن يريد منهم أن يكتب بحثاً أو كتاباً عن فترة زمنية محدودة عليه أن يدخل بفكره وقلبه إلى أعماق عشرات الكتب وعليه أن يدرسها بتمعن وتركيز .

ثانياً : عليه أن يكون مُمتلئاً بالروح القدس الذى يقوده فى التمييز بين الصحيح منها وغير الصحيح ، بين الحقيقى والمزيف .

ثالثاً : عليه أن يكون متجرداً من الذات حتى تعمل فيه الذات الالهية لتقود فكره وقلمه فى كتابة الحقائق التاريخية بأسلوب خلاصى يبنى نفس القارئ ويخلصها ، وبذا تكون دراسة التاريخ وسيلة خلاص أكثر منها مجرد قصص للمعرفة أو للدراسة .

ودراسة التاريخ المسيحى فى بدايته يحتاج لدراسة مستفيضة لكل الظروف المواكبة لبداية المسيحية سواء السياسية أم الدينية أم الفكرية أم الإجتماعية وذلك لعدة أسباب أبرزها .

أولاً : ابراز الضرورة المُلحة لظهور المسيحية فى العالم .

ثانياً : لدراسة مدى تأثير المسيحية فى الشعوب على كل المحاور الدينية والسياسية والإجتماعية ...

وباحثنا الحبيب الدكتور / اسكندر لوقا كابن للكنيسة من عائلة كهنوتية ، حيث أن أبيه الأب الموقر المتنيح القمص لوقا اسكندر وكيل مطرانية طنطا الأسبق وشقيق القمص جرجس لوقا كاهننا فى باريس .

وأيضاً كابن لفرع الكلية الاكليريكية بطنطا حيث أنه من الرعيل الاول لفرع الكلية وحالياً أحد أعضاء هيئة التدريس بها حيث يشارك فى تدريس مادة التاريخ الكنسى .

وفى انتمائه لمدينته وللكلية التى درس بها يُقدم هذا البحث كثمرة أولى من ثمار تعب محبته . لقد بذل جهداً كبيراً لإخراج هذا البحث ، والذى لأجله تعمق فى قراءات تاريخية استغرقت منه مئات الساعات بين عشرات الكتب أكثر من ستين مرجع .

وفى النهاية يقدم لنا هذا البحث المتكامل عن بداية المسيحية واستعرض بإستفاضة ودقة الظروف السياسية والدينية والفكرية التى عاصرت شروق شمس المسيحية وفى براعة الباحث المُدقق يسلط الضوء على عصور المسيحية الأولى التى سمت فيها المسيحية وارتفعت فوق كل العقبات لتسمو بالبشرية فوق الماديات ، بل ونرى البشرية من خلال المسيحية تقدم ذاتها فى تجرد عجيب عن العالميات وفى حب عجيب للسمائيات ، فتقدم ذاتها كذبيحة مرضية أمام الله على مذبح الحب وذلك فى عصر الاستشهاد .

ومن الامور التى يتميز بها باحثنا الدكتور اسكندر لوقا ، أنه لا يقدم فقط مجرد وجبة تاريخية دسمة بل أنه يقدم وجبة متكاملة ، فيقدم التاريخ ممزوجاً بالعقيدة ، مُختلطاً باللاهوت ، مُجملاً بالروحيات ، مما يُعطى لهذا البحث تميزاً واضحاً فى قوة تأثيره على قارئيه .

نطلب من الله أن يعوض الباحث أجراً سمائياً عن تعبه ، وأن يعضده بروحه القدوس لاستكمال مسيرة بحثه حتى يصل بنا حتى نهاية القرن العشرين فى ابحاثه .
نشكر الكاتب ونشكر كل من شاركه التعب فنشكر جناب الأب الموقر القس أبرآم بسخيرون الذى راجع هذا الكتاب .

الرب يعوض الجميع أجراً سمائياً . ويجعل من هذا البحث سبب بركة لكل من يدرسه .

الأنبا بولا
أسقف كرسى طنطا
ومدير الكلية اللاهوتية بطنطا

مقدمـــــة

لا يجرؤ إنسان مسيحى ـ أو غير مسيحى ـ إلا أن يقـول : أن المسـيحية قسّمت التـاريخ قسمين ، ما قبل السيد المسيح ، وما بعد المسيح .

والتاريخ هو قصة الإنسان على هذه الأرض . ومما لا شك فيه أن وجود الإنسـان علـى هذه الأرض سر عظيم ، تحار فيه عقول البشـر ، ولأن المسـيحية هـى التـى ألقـت الضـوء على هذا السر فهذا هو ما يتحدث عنه هذا الكتاب .

وهنـاك نظـرات مختلفـة إلـى التـاريخ ، يصـل فيهـا البعـض إلـى القـول بـأن التـــاريخ : " مسرحية ألّـفها الله ويمثلها الإنسان " ، ويـرى البعـض الآخـر ، أن الإنسـان سـليل القـردة والحيوان . والهدف من هذا الكتاب ، أن يلق الضوء على علاقة المسيحية والتاريخ ؛ كيـف وجّه الله تاريخ البشر ، دون أن يسلب حرية الإنسان وإرادته ، بل ليستخدم الإنسان ملكاتـه الروحية والعقلية ، لإستكشاف هذا السـر العظيـم ، أى علاقـة اللـه بالإنسـان ، وتجسد اللـه وتأنسه فى ملء الزمان ، فينكشف للإنسان ماضيه وحاضره ، ومستقبله السـمائى السـعيد ، ولتُصاغ للإنسان خليقة جديدة ، يتغلب فيها على صعاب حياته الأرضية ، الجسـد والخطيـة والموت ، كنعمة إلهية ، بفعل روح الله القدوس ، هذا الذى انسكب على البشر ، من خـلال التجسد الإلهى ، والفداء والقيامة ، فيرتفع الإنسان ـ رغم آلامه وأحزانه ـ ليمتـلأ مـن مـلء الله ، إلى ملء قامة المسيح ، الله الذى اتّضع بشبه البشر .

وعلى هذا الأساس ، لا نستطيع أن ندعو كاتب هـذه السـطور مؤرخـاً ، فـلا أشـق علـى الإنسان من مهمة المؤرخ الحقيقى . فأين المؤلف هنا من علمـاء الأنثروبولوجيـا والآثـار ، ورواد المكتبات العريقة وأمهـات الكتـب ، والمخطوطـات والبرديـات ؟ . بـل أيـن هـو مـن دارسى التاريخ بكافة فروعـه وأزمانـه ؟ . إن هنـاك مـن المؤلفـات مـا يتحـدث عـن تـاريخ الكتابة التاريخية (٢٢) ! ، وهناك مؤلفات عن المؤرخين أنفسهم ! .

هنا بقى للإنسان أن يتحقق من الوقـائع التاريخيـة ، الحقيقـى منهـا والمزّيـف . فرغـم أن هناك حقائق تاريخية لا يشوبها الشك ، بل يؤكدهـا التـاريخ والمنطـق والحـق ، فإنهـا رغـم صدقها ، يُلقى عليها ـ ضد مسار الحقيقة والتاريخ ـ ظلال الشكوك والإفتراء .

فإذا أتينا إلى سؤال تاريخى ، عن حقيقة صلب السيد المسيح ، فإنها حقيقة تاريخية مدونة فى السجلات الرومانية ، ولا يمكن انكارها ، حتى أن أكفان السيد المسيح ، بالوصف الذى وصفه الإنجيل المقدس ، ثبت وجودها وتصويرها فى هذا القرن العشرين . فإذا تسلل الزيف للحقائق التاريخية ، فهناك من يقول أن المسيح لم يصلب ، أو أن الصلب تم لشخص آخر يشبهه ، وكأن الله يخدع البشر ، وكأن كل المبادئ السامية التى نادى بها السيد المسيح ، تخلى عنها فى لحظة ضعف ! بل وكأن السبب الذى أكد السيد المسيح أنه تجسد من أجله ، وهو الصليب ، قد ذهب أدراج الرياح (*) ! . فهل قصة الشبه لها جذور تاريخية ؟ ، نعم ! وهى ما تحدثت عنه بدعة الكيرنثية فى القرن الميلادى الأول والأبيونية بعدها ، وهو ما سنلتقى به على صفحات هذا الكتاب. وهناك من لا يقدر أن ينكر الصليب، ولكن يدّعى أن التلاميذ سرقوا جسد السيد المسيح والحراس نيام (**) ! .

على أن الحقائق التاريخية ، لا تقف وحدها ضد تيار الزيف ، بالأدلة التاريخية فحسب ، ولكنها تتفق وواقع حياة الإنسان ، ومنطق عقله ، وإشباع ضميره .

لهذا فالمسيحية تؤكد للتاريخ ، أنه إن لم يكن السيد المسيح قد صلب وقام ، فباطل هو إيمان المسيحية ، فقد وقع الإنسان أسير موته ، أسير شهوته وخطيته (***) . وليس هذا دفاعاً عن العقيدة المسيحية ؛ فما هى مقومات الحياة بعد الموت ، التى عبّر عنها الإنسان فى مسيرة تاريخه ، بقبور امتلأت بأدوات الحياة ، كما فعل المصريون القدماء ، ما لم يظهر القادر على هزيمة الموت ؟! ، وأين هى مقومات حياة سمائية ملائكية يتطلع إليها الإنسان ، دون أن يتخذ الله جسداً إنسانياً ، من روحه القدوس وعجينة بشرية تمدها له عذراء طاهرة ، فيقيم به الإنسان القادر على هزيمة الموت والخطية ، ثم يعود ويمنح البشر هذه العطية ، حين ينسكب الروح القدس نفسه على المؤمنين باسمه ، ليمنحهم نعمة الفداء والتقديس ، التى تؤهلهم لهزيمة الموت والخطية ؛ ليس هذا فقط ، بل ليقوم البشر جميعاً ـ بفضل قيامته ـ لينال كل إنسان جزاء ما فعل ، خيراً كان أم شراً .

(*) يو ١٢ : ٢٣ ـ ٢٧

(**) مت ٢٨ : ١٢ ـ ١٥

(***) ١كو ١٥ : ١٣ ـ ١٧

والعجيب أنه لو حدث وانحرف الإنسان عن هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع - وما تم فيه تاريخياً من تجسد وقيامة - ثم اعتقد فى نفسه بضرورة قيامة من الموت ، فلا يرى فى حياته الجديدة بهذه القيامة ، سوى عودة لحياة جسدية أخرى ، تمتلئ بالملذات والشهوات الجسدية ، وهو ما نراه فى بدعة الكيرنيثة فى القرن الميلادى الأول .

سؤال تاريخى آخر ، هل كتب السيد المسيح إنجيلاً نزل عليه ؟ فإن كان كذلك فكيف ومتى وأين كتب السيد المسيح إنجيله ؟ ، ولكن إن علمنا أن كلمة إنجيل هى كلمة يونانية تعنى البشارة المفرحة ، فلا شك إن تجسد السيد المسيح ، وموته وقيامته ، وعطية الروح القدس باسمه ، ما هى إلا هذا الإنجيل نفسه . ولهذا فهى تستخدم بهذا المعنى " أى البشارة المُفرحة " فى رسائل الآباء الرسل ، حتى قبل أن يتم تدوين كتاب العهد الجديد من الكتاب المقدس نفسه (*) .

وإن كان يقال أن الأنبياء يزوَّدون بكتب لقومهم ، فأين - تاريخياً - الكتاب الذى نزل على يوحنا المعمدان ، وهو النبى المعاصر زمنياً للسيد المسيح ، والموجَّه لنفس القوم – أى شعب اليهود ؟! .

وإذا أتينا إلى المنطق - قبل التاريخ - فمن من الأبناء قدمه إبراهيم كذبيحة ؟ أهو ابن الجسد إسماعيل ، والذى وَلَد إبراهيم غيره من البنين من أخريات غير سارة وهاجر ؟ ، أم هو ابن الموعد إسحق ، الذى وُلد بوعدٍ من الله بعد موت رحم سارة ، ليختبر به الله إيمان إبراهيم بالوعد بالقيامة من الأموات (**) .

سؤال تاريخى آخر : هل المسيحيون هم فى حقيقتهم النصارى ؟ .

يتحدث التاريخ أن التلاميذ أُطلق عليهم أولاً فى أنطاكية مسيحيين " أع ١١ : ٢٦ " ، فمن هم النصارى يا تُرى ؟ . يجيب التاريخ أن اليهود هم الذى أطلقوا كلمة الناصريين على المؤمنين بالسيد المسيح " أع ٢٤ : ٥ " ، ولهذا فلعل اسم النصارى فى حقيقته ، أُطلق على اليهود وأتباع البدع الكيرنثية والأبيونية ، الذين آمنوا بالسيد المسيح كنبى من ناصرة الجليل وتشتت عدد كبير منهم وقت اضطهاد الإمبراطور تراجان ، إلى الجزيرة العربية ، واستمرت هذه الجماعات تجمع بين هذه البدع المذكورة وبعض المبادئ المسيحية .

(*) رو ١٦ : ٢٥

(**) عب ١١ : ١٧ - ١٩

سؤال تاريخي آخر : ما هي حقيقة المسيحية تاريخياً في مصر ؟ وإذا كان هناك من يدّعي أن حقيقة الآب والإبن والروح القدس ، نشأت عن الديانات الوثنية المصرية ، فهل كان المصريون في حقيقة أمرهم لا يؤمنون بالله الواحد ؟ . ثم من أين استقى المسيحيون في العالم أجمع حقيقة الآب والإبن والروح القدس ؟ ، هل الذين كرزوا في العالم بالمسيحية كانوا مصريين ؟! .

سؤال تاريخي آخر : لماذا اختار الله في التاريخ ، شعب بني إسرائيل ، وميزهم عن بقية أبناء إسحق وإبراهيم ؟ . إن التاريخ يتحدث عن العجائب التي تمت لهذا الشعب دون بقية الشعوب ، فقد تميزوا بالفداء من الموت بدم الخروف المُلطخ على الأبواب ، وبعبور بحر على اليابسة ، وبطعام سمائي ، وشريعة ذبائح دموية للتكفير ، وأرض ميراث يحاولون الدفاع عنها إلى هذا اليوم . فهل يحدث كل هذا في التاريخ في غفلة من مقاصد الله ؟! أم أن الله في تمييزه لهم يشرح لبقية البشر خطوات الفداء والخلاص ، بالمسيح وعمل الروح القدس ، وأنه حاشا لميزان عدله أن يختل .

سؤال تاريخي آخر : هل هي مجرد مصادفة سعيدة أن يأتِ السيد المسيح في التاريخ ، وقد توحّد العالم في إمبراطورية واحدة ، تتحدث بلغة واحدة هي اليونانية ، والتي كتب بها التلاميذ أناجيلهم ، وفي وقت مهدت فيه الإمبراطورية الرومانية طرق المواصلات ، وأمّنتها من اللصوص وقطاع الطرق ، وفي وقت نكّل فيه الرومان باليهود ، فتشتتوا على وجه الأرض ، بعد أن آمن معظمهم بالسيد المسيح ، وجالوا في المجامع اليهودية ، حيث ينتشر اليهود في بقاع الأرض ، ليبشروا بالإيمان بالمسيح . هل كل هذا مصادفات تاريخية أم تدبير إلهيّ محكم بكل حكمة وفطنة ؟! .

لهذا فقراءة التاريخ يلزمها عقل ذو افراز ، بل لعلنا نقول أن قراءة التاريخ والمسيحية يلزمها ضمير صالح ، بل يلزمها معونة إلهية مصحوبة بفكر متضع ، باسطاً ساحته لخضوع إلهي ، وهنا فقط تُشرق المسيحية على التاريخ ، ويشرق النور الإلهي على العقل ويتضح من التاريخ الزيف والباطل عن النور والحق ، وهو ما يحاول هذا الكتاب أن يُلقِ الضوء عليه .

وهذا الجزء من الكتاب يبحث فى المسيحية والتاريخ ، من بدايات التاريخ إلى عصر الرسل والإستشهاد وكيف هيّأ الله البشرية لإستقبال السيد المسيح واعلان ذاته للبشر (*) .

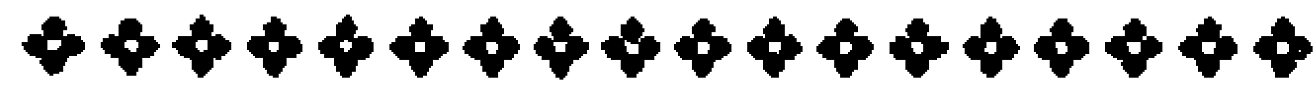
ويتحدث الفصل الأول عن مقدمة عن التاريخ والمؤرخين ، والفصل الثانى عن تاريخ الشعوب قبل الميلاد حتى توحدت سياسياً فى الإمبراطور الرومانية ، ويبحث الفصل الثالث فى ما توصل إليه الإنسان قبل المسيح من أفكار دينية وروحية وفلسفية فى علاقته بالله ، ومن جانب آخر ، الله المُعلن بالأنبياء فى قصة شعب اليهود . ثم يتحدث الفصل الرابع عن ميلاد الكنيسة وعمل الله فى انتشار الكرازة بإسمه وفدائه ، وما واجهته الكنيسة من مشكلات ومصاعب من الداخل ومن الخارج . ويتحدث الفصل الخامس عن التدبير الكنسى فى الكنيسة من ادارة وتنظيم وطقوس وأسرار وتعليم ورعاية وعلاقتها بالمجتمع .

ويتحدث الفصل السادس عن الكراسى الرسولية الأولى وكيفية نشأتها ومؤسسيها ومدبريها الأوائل . ثم يتحدث الفصل السابع عن الإستشهاد الذى سبق الإعتراف بالمسيحية فى عهد قسطنطين .

ولا يسعنى إلا أن أشكر الله الذى أعاننى لإتمام هذا العمل ، وأتقدم بالشكر لحضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا بولا راعى الكلية الإكليركية بطنطا ، والذى أعطانى الفرصة لتدريس هذا الجزء من التاريخ بالكلية وشرفنى بالتقديم لهذا الكتاب . كما أتقدم بجزيل الشكر لقداسة الأب العلامة القس أبرآم بسخيرون الذى راجع الكتاب ، كما أتقدم بالشكر لقداسة الأب الورع القمص أثناسيوس ميخائيل أستاذ التاريخ الكنسى لملاحظاته وتوجيهاته ، وأتضرع إلى الله أن يقبل هذا العمل لمجد اسمه بشفاعات أمنا السيدة العذراء مريم والرسل والشهداء والقديسين ، وصلوات قداسة البابا شنوده الثالث وشريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الأنبا بولا ولإلهنا المجد دائماً .

(*) وهو جوهر رسالة الدكتوراة المقدمة من الكاتب فى التاريخ الكنسى بعنوان " التمهيد التاريخى للتجسد الإلهى " .

الفصل الأول



مقدمة تاريخية

- الكتابـــــة والتـــــاريخ .
- دراســــة التـــــاريخ .
- مصـــــادر التـــــاريخ .
- مشــــاكل التــــأريخ .

مقدمـــة تاريخيـــة (٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٥)

الكتابة التاريخية :

الإنسان بغريزة فطرية ، لعلها غريزة البقاء ، بدأ بتسجيل وتدوين حياته منذ وجوده على الأرض . واختار في ذلك أماكن مأمونـة مثل الكهوف والسراديب ، ونقشـها علـى مواقـع حجرية لتقاوم الزمان . ولما ارتقى في بناء منشآت حجرية كالمعابد والمقـابر ، دّون عليهـا حياته وانتصاراته .

ومع تطور الكتابة ظهرت البرديات والرقوق ، حتى أضحت الكتابة التاريخية احترافاً أو هواية ، يقوم بهـا علمـاء متخصصـون ، يجمعـون من الأدلـة والآثـار مـا يجعـل مـن حيـاة الإنسان حلقات متصلة .

وتشعبت الكتابات التاريخية ، وتخصص كاتبوها ، فمنهم من دّون تاريخ أفراد كـالملوك والأباطرة ، أو مصلحين وقواد أثروا في التاريخ ، ومنهم من دّون تاريخ أحداث كـالثورات أو الحروب ، إلى تدوين حضارات ازدهرت ثم بادت ، إلى كتابة تاريخ للفنون تميزت بـه بعـض الشـعوب ، أو تـاريخ للعلـوم الإنسـانية وتطورهـا ، أو تـاريخ للشـعوب أو الأديـان أو الأساطير وهكذا .

دراسة التاريخ : (٦٥)

قد يـُدرس التـاريخ بصـور شتى ، فقد يُدرس التـاريخ مـن خـلال الحكـام ، أو تـاريخ الفلسفات ، أو الزعماء الدينيين . وقد يُدرس من خلال حقب زمنية كاغريقية ثـم رومانيـة ، أو من خلال مناطق جغرافية مثل أفريقيا أو الأمريكتيـن ، أو دراسـة لجماعـات دينيـة مثل الهندوس والسيخ وهكذا .

وكمـا أن هنـاك فـى الإنسـان غريـزة فطرية لتدويـن التـاريخ ، هنـاك أيضـاً غريـزة عقليـة أو فلسفية لتفسيره ، وهو فـى الحقيقـة مـا يعطـى معنـى لتدويـن التـاريخ ، ولهـذا فقد علّق الفلاسفة بأجمعهم على التاريخ بصـورة أو أخـرى ، لأنـه يبحـث فـى منشـأ الإنسـان وقيمـة حياته ورجاء مستقبله .

وقد يُدرس التاريخ فلسفياً كمنهج استقرائى ، يمثل انعكاس العلم الطبيعى ، وهو حشد مادة تاريخية ، والوصول بها إلى أحكام كلية ، وهو ما يطبقه الفلاسفة المدعوون بالوضعيين ، مثل ابن خلدون فى العصور الوسطى (*) .

ولكن النظرة الفلسفية إلى التاريخ تختلف بإختلاف الرؤية ، وهنا لا يكون التاريخ مجرد الوصف والسرد للأحداث أى كجسم بلا روح .

فهناك نظرة " التخطيط الإلهى " كما يراها القديس أوغسطينوس (٣٥٤ ـ ٤٣٠ م) ، واخوان الصفا فى القرن الحادى عشر .

وهناك نظرة " تعاقب الحضارات " من طور البداءة إلى التحضر ثم التدهور ، كما ينادى ابن خلدون (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م) أو فيكو فى القرن الثامن عشر .

ويفسر الفيلسوف كانط التاريخ بالتدبير الإلهى والعقل الإنسانى ، وهناك البعد الميتافيزيقى للتاريخ كما يراه هيجل (١٧٧٠ ـ ١٨٣١ م) ، وهناك البُعد الإقتصادى لماركس (١٨١٨ ـ ١٨٨٣ م) ، وأخيراً هناك البُعد الحضارى للتاريخ كما يرى ذلك الفيلسوف المعاصر أرنولد توينبى .

مصادر التاريخ :

نستطيع أن نعدد مصادر التاريخ إلى نوعيات مختلفة ، وهى تبدأ بالآثار التى خلفها الإنسان منذ وجوده على الأرض ، من كتابات ورسوم وفنون ومخلفات أثرية على مر العصور ، وما يصل إليه علماء الآثار والأنثروبولوجيا من اكتشافات ، ومحاولة ملء فجوات التاريخ بإستنتاجات مختلفة .

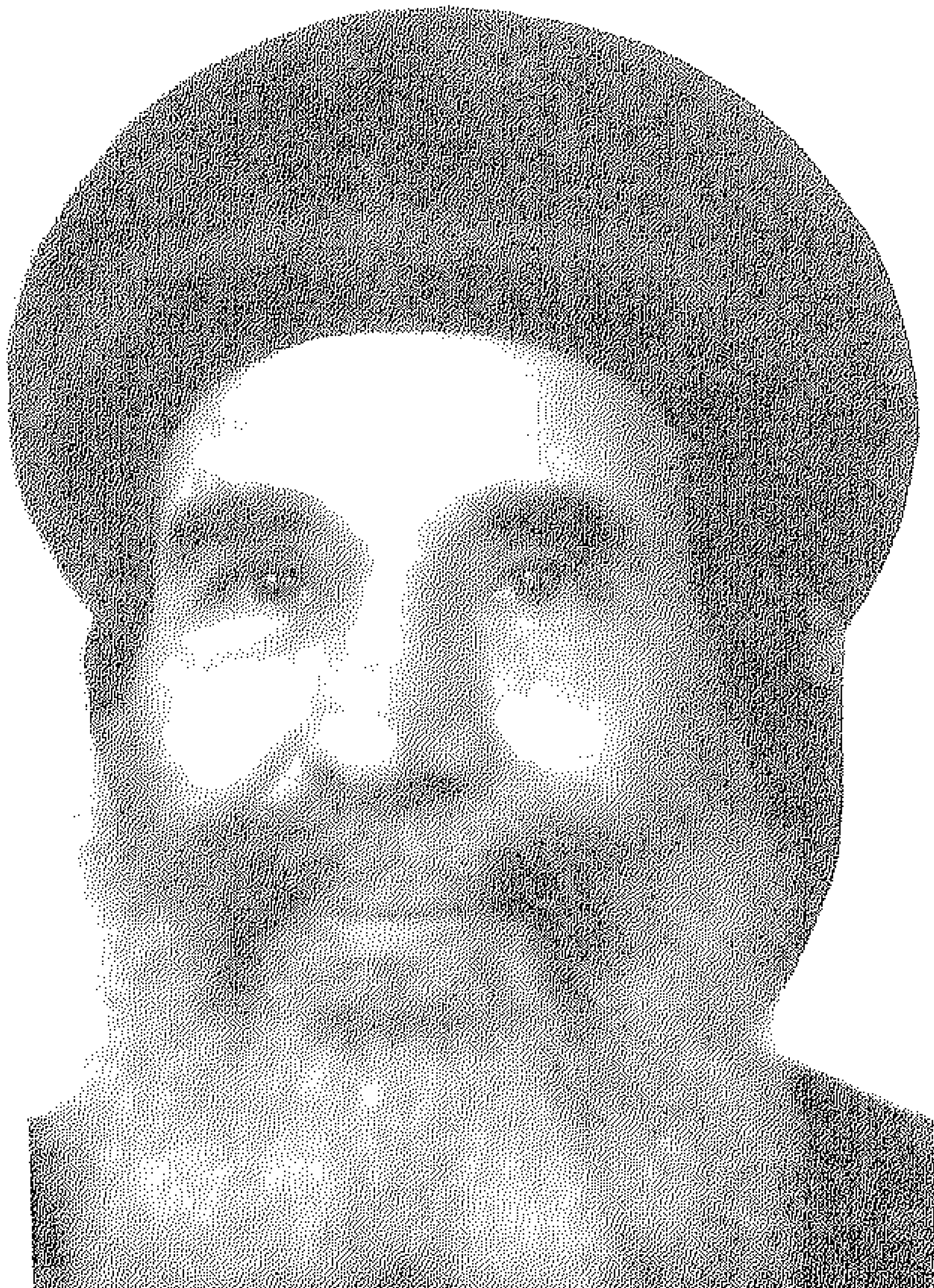
كما أن هناك التاريخ الملهم من الله ، مثل ما كتب موسى ، والذى تثبَّت بأدلة جغرافية وأثرية ، وأدلة منطقية مثل معرفة الشر والخير وحقيقة الموت ، وأدلة عقيدية مثل حقيقة الذبائح والكهنوت .

(*) يُعلق ابن خلدون على التاريخ بقوله : " هو فى ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى " . ثم يضيف : " وفى باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، فهو لذلك أصيل فى الحكمة وعريق ، وجدير بأن يُعد فى علومها وخليق " .

وهناك هواة التأريخ الذين يجمعون شتات التاريخ ليدونوها ، مثل يوسابيوس القيصرى [٥] والذى يُطلق عليه أبو التاريخ الكنسى ، أو مثل المقريزى وغيرهم . وهناك من الرحالة الذين دونوا للتاريخ مثل هيرودوت فى وصف مصر ، أو بلاديوس فى سرد العصور الأولى للمسيحية فى مصر .

وهناك دارسون للتاريخ يجمعون الحقائق التاريخية لدراسة موضوع بعينه ، مثل ايريس حبيب المصرى [٤] والقس منسى يوحنا فى تاريخ الكنيسة القبطية [٣] ، أو عبد الرحمن الرافعى في تاريخ مصر ، أو ما يجمعه الدكتور لبيب يونان عن تاريخ مصر من واقع ما نُشر بجريدة الأهرام منذ أكثر من مائة عام .

وهناك أيضاً دراسة ذكية للتاريخ ، وهو استنتاج حقائق تاريخية من مجرد أمثلة أو قصص فى حياة الشعوب ، مثل ما يتحدث المتنيح الأنبا يوأنس أسقف الغربية الراحل[٢] عن أمثال السيد المسيح ، ليخرج من بعضها بوقائع عن حياة الأمة اليهودية فى زمن السيد المسيح .



المتنيح الأنبا يوأنس
أسقف الغربية
١٩٧١ ـ ١٩٨٤

فهناك مثل الغنى ولعازر (لوقا ص ١٦) ويشير إلى التفاوت الإجتماعى الصارخ ، ومثل فعلة الكرم (متى ص ٢٠) الذى يشير إلى حالة البطالة فى ذلك الزمان ، وقصة السامرى

الصالح (لوقا ص ١٠) التى تشير إلى كثرة اللصوص وقطاع الطرق نتيجة الحالة الإقتصادية ، وهكذا ....

وأما عن مصادر التاريخ الكنسي بالذات وبالأخص الكنيسة القبطية فيمكن تلخيصها كما يلى (٧١) :

١ ـ أسفار العهد الجديد من البشائر الأربعة وسفر أعمال الرسل والرسائل وحتى بعض كتب الأبوكريفا مثل إنجيل توما .

٢ ـ كتابات الآباء الرسوليين ـ أى الذين عاصروا الآباء الرسل ـ مثل إكليمنضس وهرماس وبابياس وأغناطيوس الأنطاكى وبوليكاربوس أسقف أزمير .

٣ ـ ما دُون فى سراديب روما ، ومخطوطات وادى قمران بفلسطين المكتشفة سنة ١٩٤٨م ونجع حمادى مؤخراً .

٤ ـ كتب الدفاع عن المسيحية والرد على الفلاسفة مثل يوستينوس ، وايرناؤس وأبيفانوس .

٥ ـ يوليوس أفريكانوس المؤرخ (١٦٠ ـ ٢٤٠م) وكان ضابطاً أيام الإمبراطور سبتيموس سافيروس وأيام البابا ياروكلاوس وأوريجينوس ، وكتب " الحوليات " لتاريخ العالم .

٦ ـ يوسابيوس القيصرى المولود فى قيصرية (٥) بفلسطين سنة ٢٦٣م وهرب إلى صور ثم مصر وأقام فى طيبة ، بعد قتل معلمه الكاهن بافيليوس ، وقبض عليه وسجن ، ثم أفرج عنه بعد انتهاء الإضطهاد ، وسيم أسقفاً على قيصرية سنة ٣١٣م .

كتب يوسابيوس عن أهم الأحداث التاريخية فى كل أمة ، ثم وضع جداول لتاريخ العالم والتاريخ المقدس ، وسجل حقائق ووثائق تاريخية هامة ، ومقتطفات كثيرة من الكتابات المسيحية فى السنوات الأولى مثل أوريجينوس . ثم قدم فى كتابه " شهداء فلسطين " وصفاً لما رآه بنفسه ، ثم كتب عن حياة قسطنطين الذى كان يعتبر صديقاً له .

٧ ـ مجموعة من الآباء الأجانب ، أتيحت لهم الفرصة أن يزوروا مصر فى عصر ازدهار المسيحية ومنهم :

أ) بلاديوس : ولد فى غلاطية حوالى سنة ٣٦٤م وترهب فى جبل الزيتون حوالى سنة ٣٨٦م . جاء إلى مصر هرباً من امرأة تطارده ، ومضى إلى القلالى بنتريا سنة ٣٨٨م وأمضى تسع سنوات . ثم غادر مصر بسبب مرضه ، وسيم أسقفاً على هيلينوبوليس فى بثينية ، ثم نفى إلى سيناء والصعيد لمدة أربع سنوات بسبب الدفاع عن

يوحنا ذهبى الفم ، ثم عاد إلى غلاطية . كتب بلاديوس التاريخ اللوزياكى "بستان الرهبان " وحوار عن ذهبى الفم .

ب) يوحنا كاسيان : (وشهرته الإسقيطي بسبب تأثره بالرهبنة القبطية) ، ويعتقد أن أصله من غالا (فرنسا) ، وترهب فى بيت لحم وتركها إلى مصر ، سامه يوحنا ذهبى الفم شماساً ، ثم سيم كاهناً فى روما ، ثم توجه إلى غالا وأقام ديرين . كتب يوحنا كاسيان كتابين : " المؤسسات " ، وأشار فيه إلى القوانين الرهبانية وجهاد الراهب نحو الكمال المسيحى ، والثانى " مناظرات يوحنا كاسيان " عن أحاديثه مع آباء الرهبنة المصرية ، وكتب مجلدات عن التجسد الإلهى .

جـ) روفينوس : وهو ايطالى جاء إلى مصر سنة ٣٧١م إلى البرارى، ثم إلى الإسكندرية، ثم أورشليم ، سيم قساً على اكويلا بإيطاليا سنة ٣٩٧م ، وقام بترجمات هامة من اليونانية إلى اللاتينية عن اللاهوت ، وكتاب " المبادئ " لأوريجينوس ، و " المعارف " لإكليمنضس وبعض مؤلفات باسيليوس واغريغوريوس النزينزى ، ثم كتاب التاريخ الكنسى ليوسابيوس، وقام بتفسير قوانين الآباء الرسل . ويُنسب إليه كتاب " هستوريا موناخورم " أى تاريخ الرهبنة .

د) جيروم : وقد ولد بدلماطيا (يوغسلافيا) حوالى سنة ٣٤٠م . اعتمد فى روما ثم ذهب إلى فرنسا ثم فلسطين ، ثم ترهب فى خلقين بسوريا سنة ٣٧٣م . سيم كاهناً بأنطاكية وتتلمذ على يد إغريغوريوس النزينزى وذهب إلى روما سنة ٣٨٢م .

قام جيروم بترجمة الكتاب المقدس إلى اللاتينية (الفولجاتا) ، ثم أكمل ترجمة يوسابيوس وأعمال أوريجينوس وديديموس الضرير .

ويلاحظ هنا أن الأجانب كتبوا عن الأقباط فى حين لم يكتب الأقباط عن أنفسهم ، ولعل ذلك بسبب ميولهم النسكية . كما يلاحظ أيضاً أن الإهتمام بتعليم اللغات والترجمة كان السبيل لنشر أريج فضائلهم وإيمانهم .

٨ ـ السنكسار القبطي : وقد وضعه يوليوس الأقفهصى كاتب سير الشهداء ، وأكمله القديس ميخائيل أسقف أتريب ثم القديس بطرس أسقف مليج .

٩ ـ القديس يوحنا النقيوسي (٢٧) : وهو من علماء القرن السابع ، وكتب عن التاريخ من الخلقة إلى عصره ، وتُرجم إلى الحبشية .

بعد ذلك مضت فترة صمت تاريخية ، بعد دخول العرب ، بسبب الظروف الصعبة التى مرت بها الكنيسة بمصر والعالم ، ثم بدأ بعض المؤرخين من القرن العاشر للميلاد ، البعض مسيحى والبعض من المسلمين ، فى تدوين الأحداث والحقائق .

١٠ ـ من الكتّاب المسيحيين :

أ) الشيخ المؤتمن أبو المكارم ، وضع كتاباً فى تاريخ الأديرة والكنائس القبطية سنة ٩٢٥م

ب) ساويرس إبن المقفع أسقف الأشمونين ، وقد جمع تاريخ البطاركة الأقباط ، أضاف عليه الأنبا ميخائيل أسقف تانيس سنة ١٢٤٣م .

جـ) ابن الراهب ، وقد كتب من آدم حتى عام ١٢٥٧م وفيه تاريخ البطاركة والملوك .

د) أبو البركات ابن كبر (توفى قبل ١٣٧٦م) وهو صاحب كتاب مصباح الظلمة ، وكتب سير البطاركة من مرقس الرسول حتى البطريرك ٨٥ .

هـ) أولاد العسال ، وقد وضعوا جداول تاريخية .

١١ ـ ومن الكتّاب المسلمين :

أ) أبو عبيد البكرى (توفى سنة ١٠٩٤م) كتب كتاب المسالك والممالك .

ب) المقريزى (المتوفى سنة ١٤٤١م) وكتب " الخطط والآثار " و " السلوك وتاريخ سلاطين المماليك " .

جـ) القلقشندى (المتوفى سنة ١٤١٨م) فى كتابه " صبح الأعشى " .

د) على باشا مبارك فى كتابه " الخطط التوفيقية " .

١٢ ـ كُتّاب حديثين :

أ) أميلينو : وهو عالم قبطيات ، ترجم وثائق من البرديات المنهوبة من مصر أيام الحملة الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر . كتب عن حياة الأنبا شنوده والقديس باخوميوس ، وجماعة الديرية القبطية سنة ١٨٨٩م ، وعن الأديرة البحرية والأنبا مقار ومكاريوس الإسكندرى سنة ١٨٩٤م . وكذلك كتابه الهام عن جغرافية مصر فى العصر القبطى ، شمل تفاصيل عن البلاد والكنائس والأديرة حتى نهاية القرن التاسع عشر .

ب) جورج هوايت : وكان عضواً فى بعثة المتروبوليتان (أشهر متاحف أمريكا) . بدأ حفرياته بالواحات الخارجة عام ١٩٠٩م ، وفى عام ١٩١٥م إلتحق بالجيش البريطانى فى مصر ، ثم ترجم تاريخ الأديرة فى كامبردج سنة ١٩١٧م ، ثم عاد فى رحلة للأديرة وعمل

ثلاث مجلدات : الوثائق بدير الأنبا مقار ، وبحث تاريخي عن رهبنة نتريا والقلالي ، والثالث عن المعمار الخاص بأديرة وادى النطرون .

مشاكل التأريخ :

كلمة التأريخ تعنى كتابة التاريخ ، ومن أكبر مشاكل التأريخ ، هى الهوى فى كتابته أي تشويه الحقائق ، فقد يمكن اغفال حقائق معينة في سرد تاريخ الأحداث ، وبالتالى يفقد التاريخ مصداقيته . أو من يملأ فجوات التاريخ باستنتاج حقائق مشوهة تهدف لتفسير التاريخ بصورة خاطئة . كما يمكن أيضاً لىّ الحقائق التاريخية لتصوير الغزوات والفتوحات كدفاع عن النفس والعقيدة .

ونرى أحياناً غير الملمّين بحقائق تاريخ معين ، يتصدون للكتابة فيه عن غير معرفة ، تحقيقاً لرؤية خاصة يؤمنون بها ، كمثل من يكتب عن تاريخ المسيحية وهو غير مسيحى كمحاولة منه لإثبات فساد اعتقادها ، كما نجد فى كتاب " نشأة المسيحية " و " محاضرات فى النصرانية " ، أو كمن يكتب عن الرهبانية فى المسيحية وهو يؤمن أن الدين المسيحى هو الذى ابتدعه بولس الرسول (*) !!! .

وهناك من عيوب التأريخ من لا يكون ملماً بكل الحقائق عما يكتب عنه ، فمثلاً نجد كتابات مختلفة عن حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م تختلف فيها الحقائق والرؤى بحسب

(*) يتحدث الكاتب الكبير جمال بدوى فى مقال بجريدة الوفد بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٩٦م ويقول : وبين يدىّ أوراق من كتاب يُدرس لطالبات كلية البنات التابعة لجامعة الأزهر بالزقازيق والكتاب يحمل عنوان " محاضرات فى الدعوة والنظم الإسلامية " ولن اذكر اسم كاتبه الأستاذ فى مادة أصول الدين ، والذى يحمل لقب دكتور ، وهو لقب علمي يفترض فى صاحبه أنه تعلم أصول البحث الجامعي فضلاً عن أصول الدين التى تفرض عليه الأمانة والدقة والترفع من الأهواء والأحقاد والضغائن واستقاء المعلومات من الوثائق المعتبرة ... ليس من مهمة كاتب التاريخ أن يصيغ الحقائق باللون الذى يصبغ به أفكاره الخاصة أو انتماءاته العقائدية ، وإلا تحول التاريخ إلى مسخ ودعايات فجه تروج لأفكار كاتبها ، ولا تعبر عن الحقيقة التى هى غاية المؤرخ النزيه ، ونحن عندما نسمع كلمة (الإحتلال الصليبى) =

شخصية الكاتب ومعلوماته المتاحة ، إلى الحد الذى تحدث فيه البعض عن ملائكة حاربت مع المصريين (*) !!!

وعلى هذا ، فعلى قارئ التاريخ أن يعدّد مصادره ، ويستخدم الحكمة والمنطق فى قراءته ، ولا يُخدع بكل ما هو مكتوب فى كتب التاريخ ، كما يبحث عن مصادر الموثوق بها .

- تطرأ على أذهاننا على الفور تلك الحملات المعروفة التى شنتها أوربا المسيحية على ديار الإسلام فى مختتم القرن الحادى عشر الميلادى واستمرت قرنين كاملين دارت خلالهما حروب طاحنة إلى أن تم اقتلاع أخر ممتلكاتهم فى عكا على يد السلطان الأشرف خليل بن الناصر محمد قلاوون . وعلى هذا فإن تعبير الإحتلال الصليبى لا يجوز - علمياً وتاريخياً - اطلاقه على الحملات الإستعمارية التى شنتها أوربا على الشرق العربى بدءاً من الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ميلادية . لأن هذه الحملات - والفرنسية بالذات - لم تكن ذات طابع دينى ، وكانت لها دوافع سياسية واقتصادية ، بل يمكن القول بأن الحملة الفرنسية كانت خالية من المفهوم الدينى المسيحى ، وكانت تعبيراً عن الثورة الفرنسية الكبرى التى اضطهدت الكنيسة واصطنعت نظاماً خاصاً بها . ولكن الأستاذ الذى يعلم التاريخ لتلاميذه فى كلية البنات فى الزقازيق أسقط هذه الإعتبارات التاريخية من حسابه ، وخضع لأفكاره الذاتية ، فهو عند حديثه عن نشأة الحركة الوطنية فى مصر يقول : " كانت نظرة الأمة المصرية المسلمة إلى العلمانية على أنها امتداد للتدخل الأجنبى فى مصر ، فلما أحتل الصليبيون مصر عام ١٨٨٢م - يقصد بريطانيا - ظهرت الحركات الإسلامية السياسية التى تدعو إلى مقاومة الإحتلال ، كالحزب الوطنى الذى كونه مصطفى كامل ، وكان ثمرة جهادهم هى ثورة ١٩١٩م التى خرجت من الأزهر معلنة الجهاد ضد الإحتلال الصليبى ، والتى سرقها سعد زغلول وحولها إلى ثورة علمانية مهدت الطريق لمهادنة الإستعمار والرضا بوجوده ...إلخ .

أرأيتم جنوحاً عن الحقيقة أبعد من هذا الجنوح !.. قبل مناقشة هذه الأفكار أحب أن أذكّر الأخ المسلم أن ثورة ١٩١٩م إذا كانت قد خرجت من الأزهر فإنها أيضاً قد خرجت من الكنيسة .. وكان القسس يخطبون على منبر الأزهر ، والعلماء يخطبون فى الكنائس .. ورصاص الإنجليز لم يفرق بين مسلم وقبطى ... (هذا جزء من المقال بإختصار) .

(*) أنظر جريدة " الدستور " العدد ٤٣ بتاريخ ٢ أكتوبر ١٩٩٦م ص٤ تحت عنوان " الملائكة لم تحارب معنا فى ٦ أكتوبر " .

الفصل الثانى



العالم السياسى قبل وإبان عصر الرسل

أولاً : الشعوب الأسيوية

- بابل .
- أشور .
- الفرس .
- فينيقيا .
- الحيثيون .
- السلوقيون .
- اليهود وصراعهم السياسى حتى تشتيتهم .

ثانياً : مصر وافريقيا

- مصر
- قرطاجة

ثالثاً :

- الكريتيون
- الاغريق
- الرومان

العالم السياسى قبل وإبّان عصر الرسل

الإنسان هو كلٌ لا يتجزأ ، اجتماعياً وفكرياً وروحياً . ومن الدلائل القوية على التدبير الإلهى فى الإعلان عن ذاته فى المسيح ، هو تهيئة الشعوب من كافة الوجوه لقبوله . وعلى هذا فدراسة الأوضاع السياسية للعالم المعروف فى وقت ظهور المسيحية هى أحدى هذه الأدلة للتدبير الإلهى . وسنفرد فصلاً آخر للحديث عن الأدلة الفكرية والروحية .

كان أغلب العالم المعروف وقت ظهور المسيحية ، خاضع بكليته للإمبراطورية الرومانية ، الأمر الذى ذكرناه سابقاً أنه إحدى عوامل انتشار المسيحية . ولكن رغم وحدة الإمبراطورية ، فإنه يمكن التمييز بين بعض الأوضاع السياسية للشعوب الخاضعة لها ، فقد ضمت تحت لوائها حضارات وشعوب مختلفة يمكن تتبعها كالآتى : -

مع مقارنة أزمانها حسب الجدول التالى : -

	مصـــــــر	بـــــابل	أشــــور	فينيقيــا
٣٤٠٠ ق.م	الأسرات : الملك مينا ، منف	المدن السومرية حول دجلة والفرات		
	المقابر مصاطب	مدينة نيبور - الحضارة الطينية		
	الملك سنفرو - مدافن سقارة	الخط المسماري		
	اهرام دهشور وميدوم			
٣٠٠٠	الأسرة الرابعة : خوفو خفرع منقرع الأهرامات	الأكاديون - بدو غرب الفرات شمال سومر - الملك سرجون	بدو تحت حكم بابل	
٢٨٠٠	الأسرة الخامسة : المعابد بجوار الأهرام			
٢٧٠٠	الأسرة السادسة : ضم النوبة وسيناء			
٢٥٠٠				مدينة صور - لغة سامية العشتاروث والبعل
		مدينة بابل		
٢٢٠٠		العيلاميون - شرق الخليج الفارسي بدو غرب الفرات - حامورابي		
٢٠٠٠	الأسرة الحادية عشر (طيبة)			
	سد اللاهون - إزدهار الفن			
	الدولة الوسطى			
	الأسرة الثانية عشر : امنمحت الأول الفيوم			
	الإنحطاط - الهكسوس ١٦٧٥ ق.م الأسر ١٥ ، ١٦			
١٦٠٠	أحمس والإستقلال - منف تحتمس الأسرة ١٨ فتح أسيا			الخضوع لمصر أيام الأسرة ١٨
١٥٠٠	حتشبسوت - السلام			
	امنحتب الثالث - الضعف			
	امنحتب الرابع (اخناتون) تل العمارنة			إنتهاء الخضوع لمصر
١٣٠٠	توت عنخ أمون الأسرة ١٨ - ر ع رمسيس الأول الأسرة ١٩			
١٢٠٠	رمسيس الثاني الأسرة ٢٠ معاهدة الحثيين رمسيس الثالث - الضعف - الكهنة غارة الليبين - فلسطين			
١٠٠٠	الليبيون من سنة ٩٤٥ الأسرات ٢٢ ، ٢٣ مدينة بسطه			الخضوع لرمسيس الثاني
٩٠٠	الملك شوشنق			
				الخضوع للأشوريين سنة ٨٧٦ استعمار قرطاجة وجزر المتوسط
٧٠٠	النوبيون من سنة ٧٢٢ الأسرة ٢٣ الأشوريون سنة ٦٧٠ الملك آسرحدون	سنحاريب يهدم بابل - تأسيس نينوى	سرجون الثاني يستولي على دمشق سنة ٧٠٥ - أشور نبال يفتح مصر	
٦٠٠	بسماتيك والإستقلال سنة ٦٦٠ الأسرة ٢٦ نخاو - القناة بين البحر الأبيض والأحمر	البابليون والميديون والفرس يهدمون نينوى وغرب الفرات ويسموا كلدانيين نبوخذ	سنة ٦٠٦ . بابل تستولي على سوريا نصر سنة ٦٠٥، والميديون الفرس شرقاً	
٥٠٠	بسماتيك الثالث - الفرس سنة ٥٢٥ قنبيز			ثورة صور يحاصرها نبوخذ نصر الخضوع للفرس سنة ٥٣٨
٤٠٠				
٣٠٠	الأسكندر - أيام مازكيس الفارسي - البطالمة	الأسكندر يهزم دارا الأكبر		
٢٠٠				
١٠٠	بطليموس ١٢ وكليوباترة سنة ٥٨ - يوليوس اوكتافيوس سنة ٣١			
١٠٠ ب.م				

الحيثيون	الكريتيون	بني إسرائيل	الأغريق	الرومان
	حضارة متصلة بمصر			
			ندو قرب بحر أروس يدخلون اللقاب الأخيرون	
	ازدهار الحضارة مدينة كنوسس غارات من الشمال		قبائل الدوريين	
			مدينة أسبرطة	
		الخروج من مصر سنة ١٢٦٠ يشوع يدخل كنعان		
				[redacted]
	تدمير كنوسس	شاول س ١٠٣٠ ـ س ١٠١٠ داود س ١٠١٠ ـ س ٩٧٠ سليمان س ٩٧٠ ـ ٩٦٠ ، الانشقاق س ٩٢٢	عهد الملوك	
			يتعلمون اللغة الفينيقية	
		الأشوريون سنة ٧٢١	عهد الأشراف سنة ٧٥٠ الإستعمار ـ صقلية الحكم الديموقراطي ببرنطة سنة ٦٥٨	إنشاء روما سنة ٧٥٣
		البابليون سنة ٥٨٦ الفرس سنة ٥٣٨ ـ كورش يأمر بالعودة	كورش الفارسي يفتح ليديا سنة ٥٤٦	
		نحميا سنة ٤٤٥ الأسكندر [redacted]	انتصار ماراثون سنة ٤٩٠ والإستقلال سنة ٤٧٩ ، الحروب البوبية سنة ٤٥٩ ـ ٤٠٤ فيليب المقدوني سنة ٣٦٠ الأسكندر سنة ٣٣٤	
				يهزمون فيليب الخامس سنة ٢٠٥ يهزمون هنيبال سنة ١٨٣ ثورات العبيد سنة ١٧٥ ـ س ٧٣ الحكم الثلاثي ـ قيصر س ٥١ أوغسطس س ٣١ ـ بعد موقعة أكتيوم

<u>أولاً : الشعوب الآسيوية</u> (٥٠)

وهى تشمل بابل وأشور والفرس وفينيقيا والحيثيين والسلوقيين ثم اليهود .

<u>أ ـ بابل</u> : بدأت الحضارة البابلية مع بناة الأهرام حوالى سنة ٣٤٠٠ ق . م فى حوض نهرى دجلة والفرات . وكانت مدناً غير خاضعة لملك واحد وتُعرف بالمدنيّة السومرية . ولعدم وجود الأحجار فى حوض هذه الأنهار سجلوا حضارتهم على الطين ثم جففوه . وقد كانوا يحسبون السنة ١٢ شهراً قمرياً ، وأقاموا مدينة نيبور مركزاً لعبادتهم .

وفى سنة ٣٠٠٠ ق.م أغار البدو غرب الفرات على أكاد ، شمال سومر ، وانتهى بانتصار الأكاديين سنة ٢٧٥٠ ق.م. بقيادة سرجون ، وصار الأكاديون والسومريون شعباً واحداً . ثم ضعف الملوك فيما بعد ، وأغار عليهم أهل عيلام الساكنين شرق الخليج الفارسى .

وفى سنة ٢٢٠٠ ق.م أغار البدو غرب الفرات مرة أخرى ، واستولوا على مدينة بابل وقام ملك فى بابل اسمه حامورابى ، ووضع قوانين وتشريعات للدولة تُعرف بقوانين حامورابى ، وهى أقدم ما عُرف من قوانين ؛ ثم هزم العيلاميين وملك محلهم سنة ٢١٠٠ ق.م .



وفى هذا الوقت تعلم الناس الخط المسمارى .

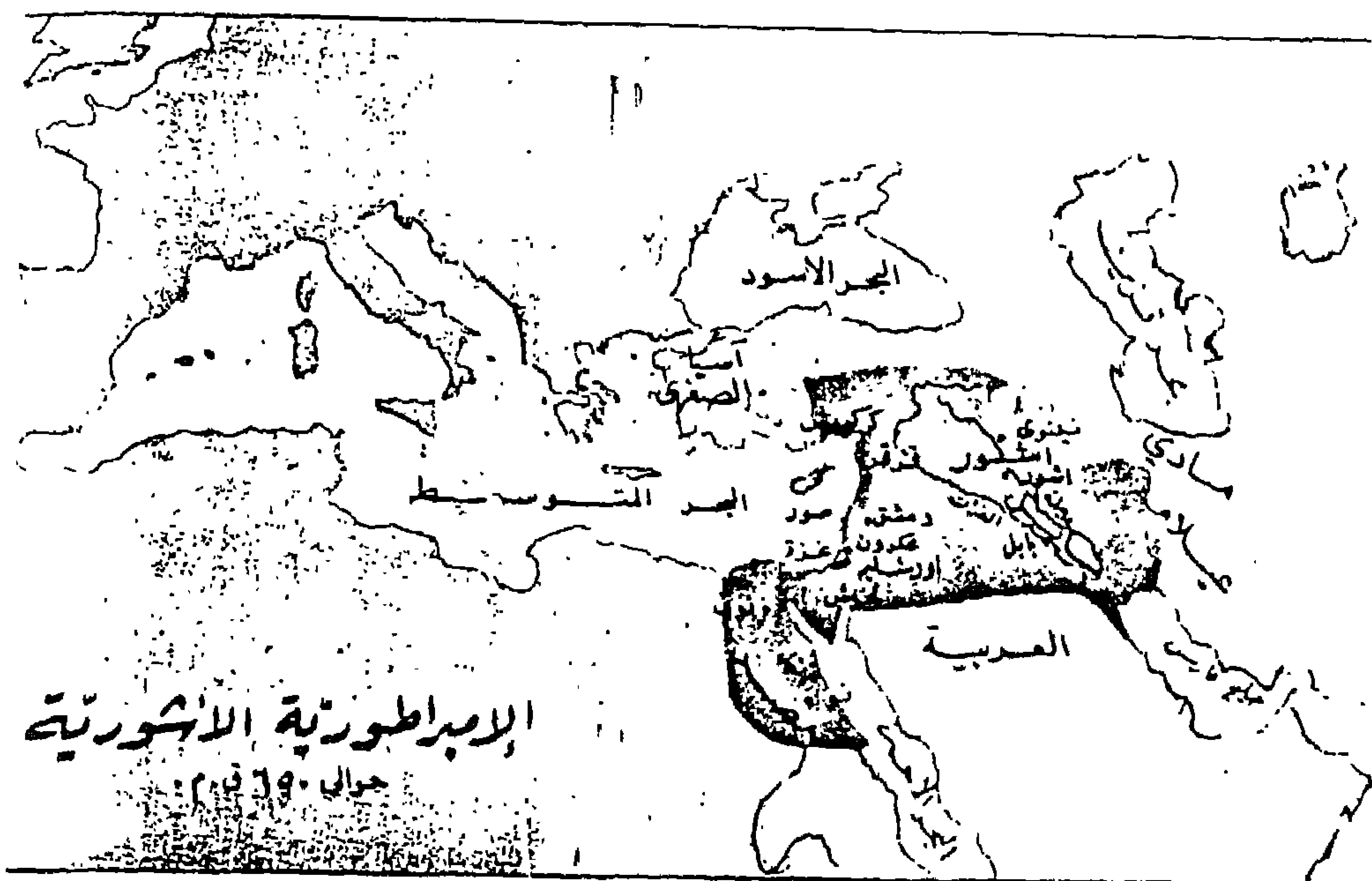
ب ـ آشور : الأشوريين فى أصلهم ، هم جماعة من البدو كانوا خاضعين لحكم بابل حوالى عام ٣٠٠٠ ق.م . وتعلموا من السومريين خطهم وحضارتهم وأتقنوا فن الحرب ، ومارسوه ضد جيرانهم الحيثيين والفينقيين . ثم تعلم الأشوريون الحروف الهجائية الفينيقية ونشروها محل الخط المسمارى .

وفى عام ٧٣٢ ق.م استولى الأشوريون على دمشق ، وأقام سرجون الثانى أقوى دولة



الملك سرجون الثانى

فى أرض الفرات من سنة ٧٢٢ إلى سنة ٧٠٥ ق.م . ثم استولى ابنه سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م) على بابل وهدمها وأسس نينوى ، واتخذها عاصمة ملكه ، ثم أغار على مصر ، ولكنها فتحت على يد أشور نيبال .

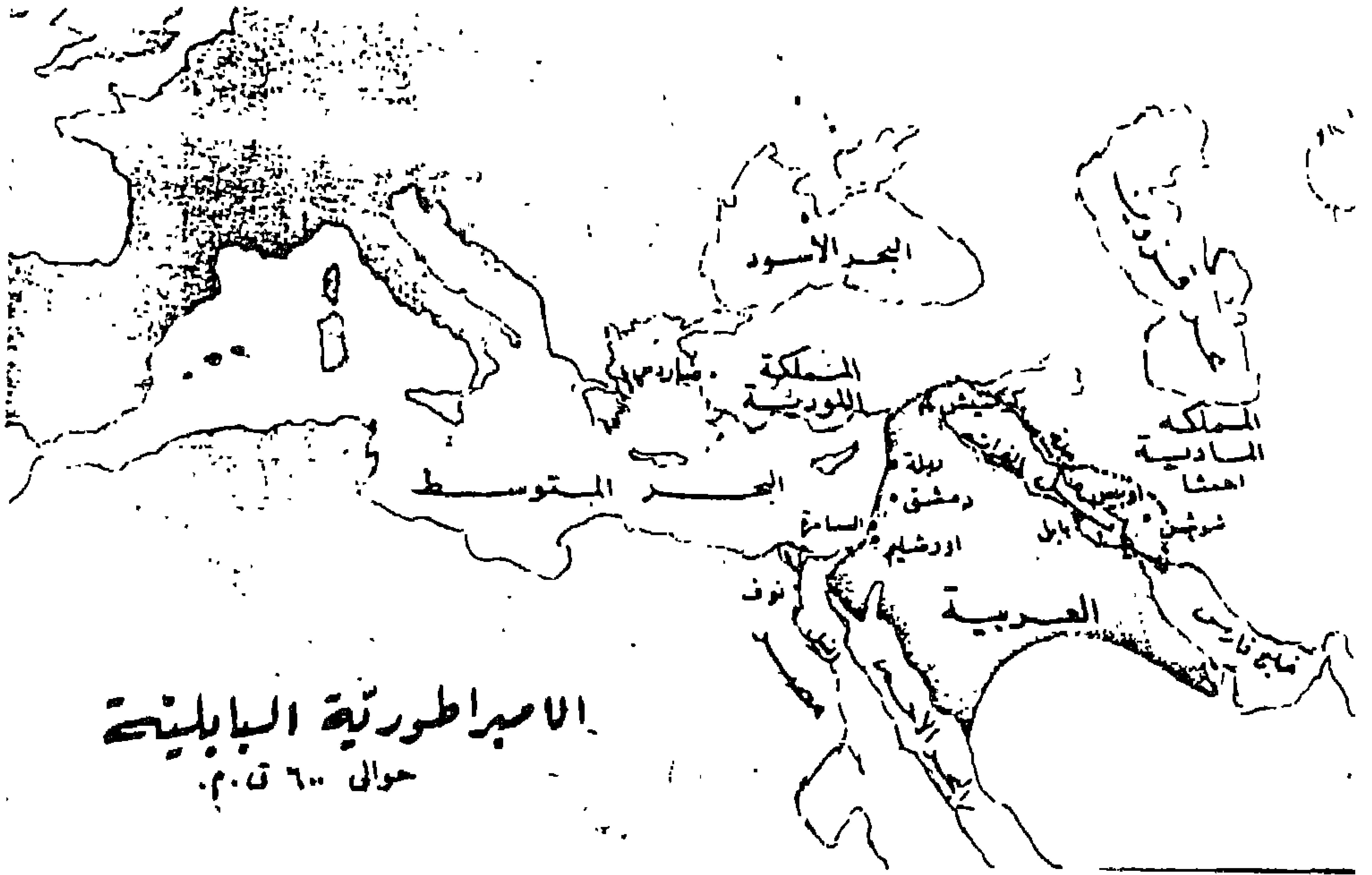


صورة الإمبراطورية الأشورية

اشتهر الأشوريون بالقسوة والغلظة ، ثم اضمحلت دولتهم باستيلاء البابليين والميديين والفرس عليها سنة ٦٠٦ ق.م ، فورثت بابل أرض سوريا وغرب أشور ، وورث الميديون الأجزاء الشمالية الشرقية .

ثم عظمت بابل مرة أخرى بقيام الدولة الكلدانية (*) التى أسسها نبوبولاسار وخلفه نبوخذنصر الثانى (٦٠٥ ـ ٥٦١ ق.م) وهو الذى استولى على أورشليم سنة ٥٨٦ ق.م .

(*) كان الكلدانيون يسكنون كلديا جنوب بابل وهم الجنس الغالب فى بابل من سنة ٧٢١ إلى سنة ٥٣٩ ق.م وكانوا يشغلون مناصب السلطة والكهنوت للإله " مردوخ " .



ثم تحالف الفرس والكلدانيون وفتح كورش ملكهم مدينة بابل سنة ٥٣٩ ق.م . ويتكلم الفرس اللغة الآرية وهي غير اللغات السامية (*) ، وهم أول الآريين الذين ظهروا في التاريخ . وكان الكلدانيون ولعين بالفلك والنجوم والأبراج السماوية .

جـ - الفرس : الفرس في اصلهم كانوا بدواً بالقرب من بحر قزوين ويتحدثون اللغة الآرية، اتجه منهم غرباً أقواماً يُنسب إليهم الإغريق والرومان ، ومنهم من اتجه شرقاً إلى الهند وشرق دجلة وهم الميديون والفرس .

وفي سنة ١٠٠٠ ق.م قام المعلم الديني رزوستر وقال بالهين ، أحدهم للخير هو " أهورامازدا " والآخر للشر هو " اهريمان " .

(*) لغة أولاد سام منها الشرقية وهي الأكادية " الأشورية والبابلية " ، وغربية منها أيضاً الشمالي وهي الفينيقية والأرامية والعبرية (التي دخلتها الأرامية كلغة دارجة) ، ومنها الجنوبي وأهمها العربية والحبشية .

كانت القوة أولاً فى يد الميدين وكان الفارسيون خاضعين لهم ، ثم تحالفوا مع بابل ودمروا نينوى سنة ٦٠٦ ق.م ، إلى أن قام كورش مؤسس مملكة الفرس الذى تغلب على الميدين ، ثم على ليديا (وهى مملكة إغريقية غرب أسيا الصغرى) ، ثم اتجه إلى الكلدانيين واستولى على بابل سنة ٥٣٩ ق.م وصارت دولته أقوى دولة فى الشرق .

قام ابنه قنبيز بفتح مصر سنة ٥٢٥ ق.م ثم قسم بعده دارا الأكبر الدولة إلى أقاليم ، وانتهت بقضاء الإسكندر الأكبر عليها سنة ٣٣٣ ق.م .

صورة للخط المسمارى

كان الفرس يكتبون أولاً بالخط المسمارى ثم الآرامى ثم الفينيقى .

د ـ فينيقيا : فينيقيا هى السهل الضيق بين البحر الأبيض غرباً وجبال لبنان شرقاً . اشتهرت فينيقيا بالتجارة والصيد وبناء السفن من أخشاب الغابات ، وأقاموا مدناً متفرقة على رؤوس الساحل والجزر القريبة ، وكانوا يتكلمون لغة سامية . تزعمتهم مدينة صور ، واشتهرت أيام الأسرة السادسة المصرية أى حوالى سنة ٢٥٠٠ ق.م ، وكانوا وثنيين يعبدون البعل والعشتاروث .

كان أول تاريخهم ثورات داخلية بين الأغنياء الذين يحاولون الحكم فينتج عن ذلك نزوحهم خارج وطنهم واقامة مواقع أخرى خارج فينيقيا .

لم تكن للفينيقيين أطماع سياسية بل تفرغوا لتجارتهم ، حتى أنهم كانوا يفضلون الخضوع سياسياً للمستعمرين ليبقوا على تجارتهم ، سواء البحرية أو البرية عن طريق القوافل من الهند والقوقاز وأشور وبلاد العرب والسودان بأفريقيا .

استعمر الفينيقيون قرطاجة بشمال أفريقيا سنة ٨١٤ ق.م وقبرص ورودس وكريت وصقلية ومالطة وعبروا مضيق جبل طارق إلى أسبانيا كما وصلوا إلى سواحل غالا (فرنسا) وبريطانيا كما انتشروا فى البلقان واتجهوا غرباً إلى القوقاز وأنشأوا مدينة قادش .

بلغت صور قوتها فى عهد حيرام صديق سليمان أثناء بناء الهيكل (٩٧٠ ـ ٩٣٦ ق.م) وخضعت فينيقيا لمصر أيام الأسرة الثامنة عشر سنة ١٦٠٠ ق.م ثم انتهى خضوعها أيام اخناتون وأعاد رمسيس الثانى خضوعهم حتى سنة ١١٠٠ ق.م ، ثم استقلت إلى أن خضعت للأشوريين بين ٨٧٦ ـ ٦٠٥ ق.م ، ثم ثارت صور سنة ٥٨٦ ق.م ، وحاصرها نبوخذنصر ١٣عاماً . وبعد ذلك خضعت للفرس من ٥٣٨ ـ ٣٣٣ ق.م ، وفى هذه المدة ظهرت مدينة صيدا . وفى سنة ٣٣٣ دُمرت صور بواسطة الإسكندر الأكبر بعد أن حاصرها لمدة سبعة أشهر .

نقل الفينيقيون فيما نقلوا من حضارة الشرق ، الحروف الهجائية التى اتخذوها من الديموطيقية المصرية ، وجعلوها مكونة من ٢٢ حرفاً ساكنة ومتحركة ثم أخذ الإغريق عنهم هذه الحروف ثم تعلمها الرومان .

هـ ـ الحيثيون : هم سكان آسيا الصغرى ، وكانوا أول أمرهم قبائل متحالفة تحت زعامة ملك يقيم فى بوغازكوى . ولأن آسيا الصغرى هضبة تصلح أرضها للرعى والزراعة تطوقها جبال مرتفعة موفورة المعادن ، فهى تكفل قيام دولة مستقلة . اشتبك الحيثيون مع مصر فى حروب أيام أخناتون ورمسيس الثانى واستولت مصر على غرب الفرات وفينيقيا وانتهت بمعاهدة مع مصر سنة ١٢٧٩ ق.م . ثم قضى الأشوريون عليهم سنة ١١٠٧ ق.م

و ـ السلوقيون : بعد وفاة الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق.م ، قسم قواده الإمبراطورية فكانت الشام من نصيب سليقوس نيكاتور (أى الفاتح) سنة ٣١٠ ق.م .

ومن عام ٢٨٠ ـ ٢٠٣ ق.م حدث صراع بين البطالمة الذين حكموا مصر والسلوقيين ، استولى فيها البطالمة على بعض أجزاء من الشام .

تسلسل السلوقيون حتى سلوقيوس الرابع (فلوباتر أى المحب لأبيه) الذى مات سنة ١٧٥ ق.م ، وخلفه أنطيوخوس الرابع (أبيفانس) بمعنى المختل ، وهو الإسم الذى أطلقه عليه اليهود بسبب بنائه مذبح للإله زيوس وسط الهيكل .



عملة يونانية عليها صورة أنطيوخوس الرابع

وفى سنة ١٦٨ ق.م قام يهوذا المكابى بثورة المكابيين (مكابى تعنى مطرقة) ، واستمرت الثورة حتى أخمدها القائد الرومانى بومبى سنة ٦٩ ق.م .

وفى عام ١٤٢ ق.م حكم أنطيوخوس الخامس ، ثم تسلسل الحكام حتى أنطيوخوس الثالث عشر الذى قُتل سنة ٦٧ ق.م .

وفى سنة ٦٤ ق.م بعد أن هزم بومبى السلوقيين أصبحت الشام ولاية رومانية ، وعندما



بومبى

حاول بومبى فيما بعد الإنفراد بحكم الشام هزمه يوليوس قيصر سنة ٤٩ ق.م .

وفى عام ٤٧ ق.م قام أنتباتر الأدومى ، الذى كان وزيراً أيام المكابيين واستمال قيصر، ليصبح حاكماً لليهودية والسامرة ، وفى عام ٣٧ ق.م حصل ابنه هيرودس الكبير على لقب ملك اليهودية .

ز ـ اليهود وصراعهم السياسى حتى تشتيتهم :

لعل قصة بنى إسرائيل وأرض الموعد تشرح بوضوح توجيه الله للتاريخ . ومن الأعداد الكتابية التالية يتضح خطوط هذا التوجيه : ـ

" ولكن لأجل هذا أقمتك لكى أريك قوتى ولكى يخبّر باسمى فى كل الأرض "
(خر ٩:١٦)

- " وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم فى طريق أرض فلسطين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعوا إلى مصر فأدار الشعب فى طريق برية بحر سوف " . (خر ١٣ : ١٧ - ١٨)
- " ولكن الرب يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً ، لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً لئلا تكثر عليك وحوش البرية " . (تث ٧ : ٢٢)
- " الذى أطعمك فى البرية المن الذى لم يعرفه آباؤك لكى يذلك ويجربك لكى يحسن إليك فى آخرتك ولئلا تقول فى قلبك قوتى وقدرة يدى اصطنعت لى هذه الثروة ". (تث ٨ : ١٦ - ١٧)
- " فاعلم انه ليس لأجل برك وعدالة قلبك ... بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب إلهك من أمامك ولكى يفى الكلام الذى أقسم الرب عليه لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب " (تث ٩ : ٥)

ثم يحذرهم الله

- " بكل هذه لاتتنجسوا لأنه بكل هذه تنجس الشعوب الذين أنا طاردهم من أمامكم فتنجست الأرض فأجتزى ذنبها منها فتقذف الأرض سكانها " . (لا ١٨ : ٢٤ - ٢٥)
- " لا تقطع معهم ولا مع آلهتهم عهداً ، لايسكنوا فى أرضك لئلا يجعلوك تخطئ إلىّ ، إذا عبدت آلهتهم فأنه يكون لك فخاً " . (خر ٢٣ : ٣٢ - ٣٣)

ثم يُنبئهم الرب بالنهاية على فم موسى :

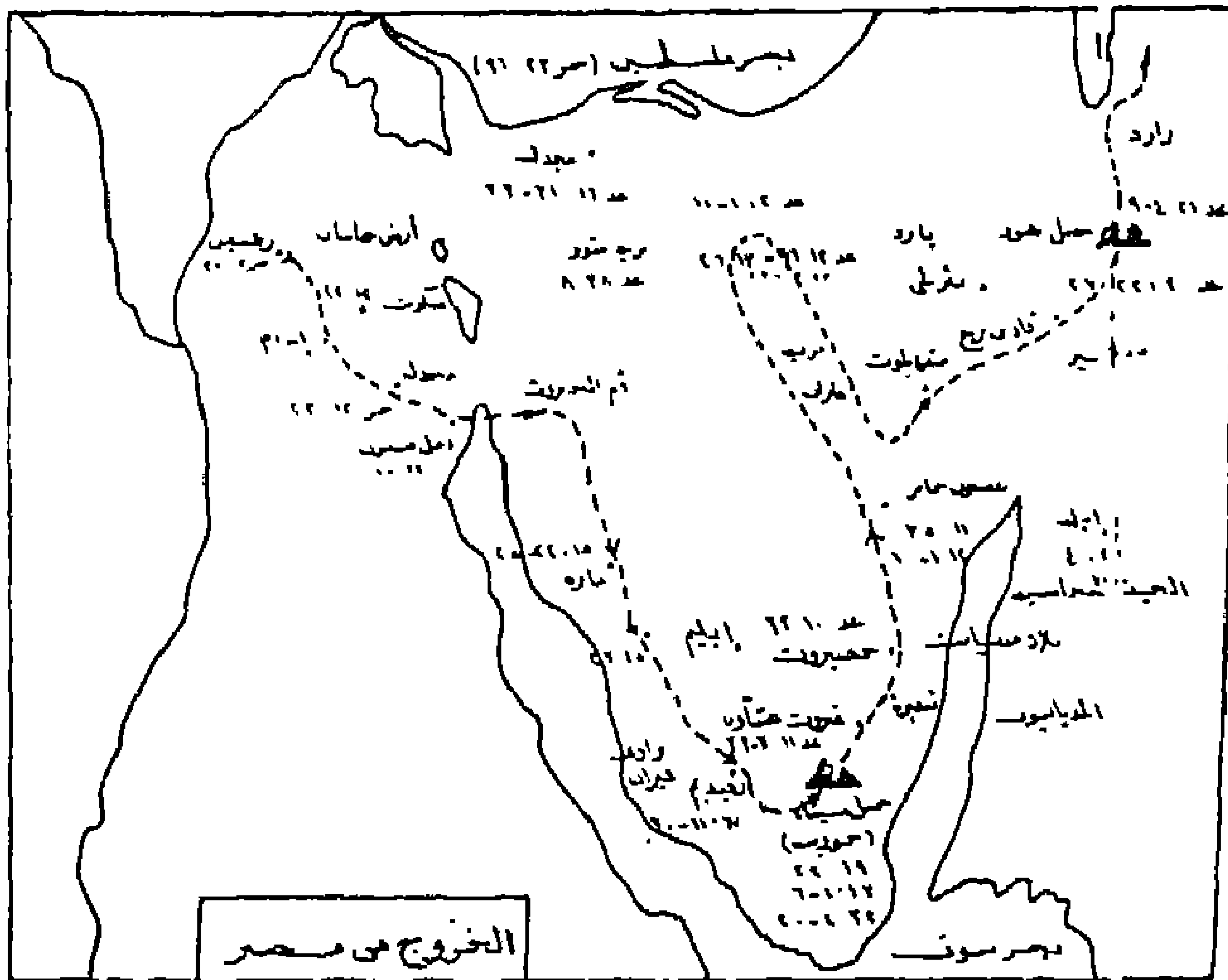
- " لأنى عارف إنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب " . (تث ٣١ : ٢٩)

أما عن أرض الموعد فيقول الله :

- " الأرض لا تباع البتة ، لى الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندى " . (لا ٢٥ : ٢٣)

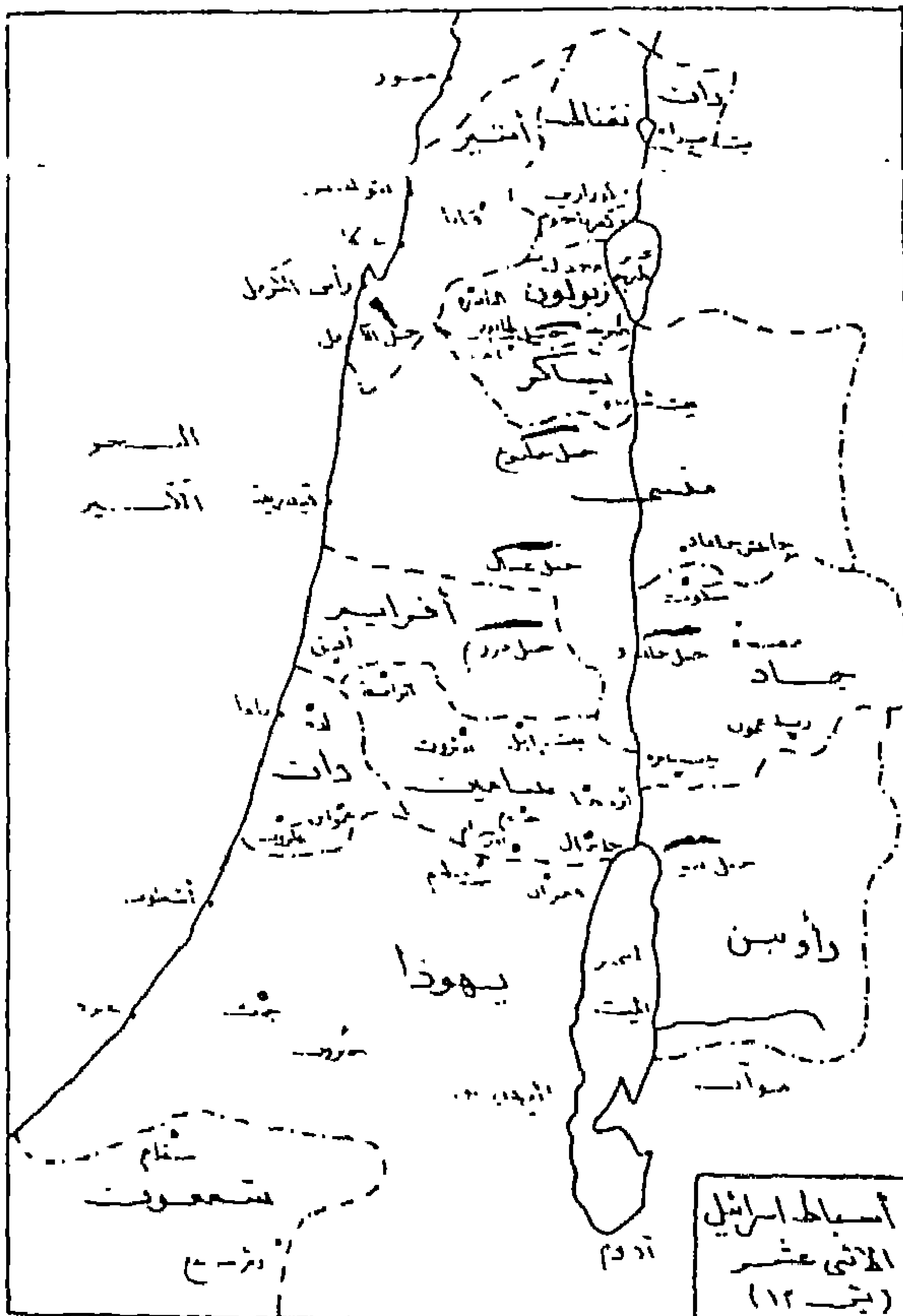
ومن هذه الكلمات الكتابية نرى بوضوح خطة الله مع بنى إسرائيل ، وكيف شرح مقاصده من اختيارهم ، والذى لم يُبنَ على تميزهم بل أوضح كل ما يدور عليهم مع الأيام ، ايفاءً لقصده .

في سنة ١٢٦٠ ق.م
كان خروج بني إسرائيل
من أرض مصر .



ودخل بهم يشوع أرض كنعان وحكم لهم حتى سنة ١٢٠٠ ق.م .

ثم حكمهم قضاة حتى صموئيل النبي سنة ١٠٤٠ ق.م .



سبط لاوي لم يكن له مكان في كنعان - لكن كانت له ٤٨ مدينة فقط

ومن عام ١٠٣٠ ـ ١٠١٠ ق.م تملك شاول عليهم .

ومن عام ١٠١٠ ـ ٩٧٠ ق.م تملك داود النبى .

ومن عام ٩٧٠ ـ ٩٦٠ ق.م تملك سليمان وبنى الهيكل ثم انشقت المملكة بعد سليمان سنة ٩٢٢ ق.م إلى إسرائيل وعاصمتها السامرة ويهوذا وعاصمتها أورشليم .

وفى عام ٧٢١ ق.م سقطت إسرائيل فى يد الأشوريين .

وفى عام ٥٨٦ ق.م سقطت أورشليم فى يد بابل ، وهدم نبوخذنصر الهيكل الأول وصاروا حتى سنة ٥٣٨ ق.م مُستعبدين فقراء .

ومن عام ٥٣٨ ـ ٣٣٢ ق.م كانوا تحت الحكم الفارسى ، وبدأ بمرسوم كورش للعودة وأعيد فيه بناء الهيكل ، وأقام نحميا خلالها سور أورشليم من ٤٤٥ ـ ٤٣٣ ق.م .

ومن عام ٣٣٢ ـ ٣٢٣ ق.م كان اليهود تحت حكم الإسكنر المقدونى .

ومن عام ٣٢٣ ـ ١٩٨ ق.م كانوا تحت حكم البطالمة فى مصر .

ومن عام ١٩٨ ـ ١٦٨ ق.م كانوا تحت حكم السلوقيين .

وفى الفترة الهيلينية منذ الإسكندر انقسم اليهود بين متجاوب ومعترض ، وأطلق على المعترضين اسم الهاسيديم أو الحسيدين التى تعنى الأتقياء .

وفى سنة ١٦٨ ق.م قامت ثورة المكابيين بقيادة الكاهن متتيا (متانياس) وأولاده الخمسة ، يوحنا وسمعان ويهوذا المكابى والعازر ويوناثان (وكما ذكرنا فإن كلمة مكابى تعنى مطرقة) . وكانت الشرارة الأولى التى أشعلت الثورة هى اقامة انطيوخوس السلوقى مذبحاً للأله زيوس وسط الهيكل ، واطلق عليه اليهود اسم انطيوخوس ابيفانس اى المختل بسبب هذا العمل .

كانت نتيجة الثورة هى نوال اليهود الحرية الدينية واعادة بناء الهيكل . وقام المكابيون بعمل تحالف مع الرومان ، لتجنب الصدام معهم ، ونجد تفاصيل هذه الثورة مدونا بسفرى المكابين الأول والثانى من كتاب العهد القديم . استمرت الثورة حتى عام ٦٤ ق.م حين قام بومبى القائد الرومانى بهزيمة السلوقيين وكذلك ارسطوبولس حفيد المكابيين . وعندما حاول بومبى الإنفراد بحكم الشام هزمه يوليوس قيصر سنة ٤٩ ق.م ، وكما ذكرنا أصبح أنتباتر الأدومى فى سنة ٤٧ ق.م حاكماً لليهودية والسامرة وهو الذى كان وزيراً أيام هيركانوس المكابى واستمال قيصر لينال الحكم .

انتيباتر الأدومى حاكم اليهودية



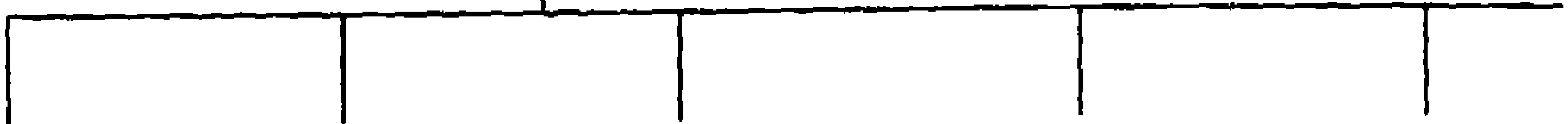
خزائيل

(رئيس ربع فى اليهودية)

هيرودس الكبير

(ملك اليهودية ٣٧ ق.م ـ ٤ ق.م)





ارستوبولوس (من مريم حفيدة هيركانوس الثانى) (من ابنة سالومة) .

هيرودس فيلبس الاول (من مريم ابنة سمعان رئيس الكهنة) زوج هيروديا التى تزوجها هيرودس انتيباس .

هيرودس انتيباس (من ملثاكى السامرية) رئيس ربع على الجليل وبيريه ، تزوج هيروديا امرأة اخيه ونال توبيخ يوحنا المعمدان وهو الذى سماه يسوع ثعلباً وظن أنه يوحنا قام من الأموات (من ٤ ق.م ـ ٣٩م)

ارشيلاوس (من ملثاكى) حاكم اليهودية والسامرة ٤ ق.م ـ ٦ م . نفى إلى غاليا وحل محله ولاة رومانيون

هيرودس فيلبس الثانى (من كليوباتره) رئيس ربع على تراخونتيس . (٤ ق.م ـ٣٤م)

هيروديا

هيرودس أغريباس الأول : ٣٧ ـ ٤١م مكان فيلبس ومن ٤١ ـ ٤٤ ملك على فلسطين (ذبح يعقوب بن زبدى وسجن بطرس ـ أكله الدود أع ١٢ وعاصر كاليجولا

هيرودس ملك خالكس (٤١ ـ ٤٥م)

دروسلا

برنيكى

هيرودس أغريباس الثانى : ملك خالكس من ٤٥ ـ ٥٣م ، وعلى تراخونتيس من ٥٣ ـ ٩٩م (خطب أمامه بولس أع ٢٥) وعاصر كلوديوس ودروسس

(العائلــة الهيرودسية)

كان لأنتباتر ابنان ، أحدهما فزائيل وهو رئيس ربع ولكنه انتحر سنة ٤٧ ق.م وكان الثانى هو هيرودس الكبير الذى حصل على لقب ملك اليهودية سنة ٣٧ ق.م .

حاول هيرودس استرضاء اليهود بسبب أصله الأدومى فأعاد بناء الهيكل سنة ٢٠ ق.م ، وتزوج من مريم حفيدة رئيس الكهنة يوحنا هيركانوس ، وبنى القلعة بجوار الهيكل (حصن أنطونيا) والسور الكبير (جناح الهيكل) ، كما بنى سبسطية وميناء قيصرية على اسم قيصر ، كما أقام مدناً على الطراز الهيلينى على أنقاض المدن القديمة ، ووضع بعض الرموز الرومانية فى أورشليم نفسها .

أُطلق على هيرودس اسم السفاح ، بسبب كثرة بطشه ، فقد قتل زوجته مريم وأمها وابنيها ، وابنه أنتباتر ، وهو قاتل أطفال بيت لحم ، وفى عهده ولد السيد المسيح .

وفى عام ٤م مات هيرودس وانقسمت المملكة بين أولاده : أرشيلاوس على اليهودية والسامرة ، وشقيقه هيرودس أنتيباس (الصغير) على الجليل من سنة ٤ ــ ٣٩ م. وهو الذى تزوج هيروديا امرأة أخيه وقتل يوحنا المعمدان ، وهو الذى لقّبه السيد المسيح بالثعلب . وقد نُفى هيرودس أنتيباس مع هيروديا زوجته إلى غاليا ومات هناك .

كان الثالث هو هيرودس فيلبس الذى تولى على تراخونتيس من سنة ٤ ــ ٣٤ م وكانت تابعة لسوريا .

أما أرشيلاوس الذى حكم اليهودية ، ففى سنة ٦ م نُفى إلى غاليا ووُضعت اليهودية تحت الوصاية فتعاقب عليها الولاه ، كان خامسهم بيلاطس البنطى ، ثم كومانوس وفيلكس وفلوروس حتى سنة ٦٩م .

ولكن فى سنة ٣٩ م أضيفت اليهودية إلى حكم هيرودس أغريباس بعد أن خلف أخوه هيرودس انتيباس على الجليل بسبب صداقته للإمبراطور كاليجولا وحكم من سنة ٣٩ إلى سنة ٤٤م بعد نفى بيلاطس ، وهو الذى ذبح يعقوب بن زبدى وسجن بطرس والذى أكله الدود كما ذكر فى سفر الأعمال (أع ص ١٢) .

وفى عام ٤٤م تولى حكم اليهودية ابنه هيرودس أغريباس الثانى حتى سقوط أورشليم وهو الذى خطب امامه بولس الرسول (أع ص ٢٥) .

كان سبب نفى بيلاطس أنه اقام تماثيل لقيصر فى الهيكل مخالفاً للناموس ، وابتز أموال القرابين فى اقامة قناة ماء تغذى أورشليم ، مما سبب هياجاً وشغباً فقتل كثيرين من اليهود .

وقد نفاه كاليجولا إلى فينا وانتحر هناك ومن ثم أضاف كاليجولا حكم اليهودية إلى صديقه هيرودس أغريباس .

وفى أيام كومانوس الوالى حدثت مجاعة وهى التى تنبأ عنها أغابوس فى سفر الأعمال (أع ١١ : ٢٨) وكانت فى أيام الإمبراطور كلوديوس دروسوس (٤١ ــ ٤٥م) أدت المجاعة الى ظهور عدد كبير من اللصوص حاملى الخناجر (سيكرز) وأشاعوا قتلاً كثيراً خاصة أيام الأعياد ، ثم كانوا يخفون الخناجر مُتظاهرين بالبحث عن القتلة .

وفى أيام فيلكس الوالى قُتل يوناثان رئيس الكهنة ، كما حدث نزاع بين الكهنة ورؤساء الكهنة .

وفى أيام فلوروس الوالى سنة ٦٦م فى السنة الثانية عشر لحكم نيرون (٥٤ ــ ٦٨م) قامت ثورة عارمة باليهودية قتل بسببها كثير من أشراف اليهود ، واشتدت المجاعة وهرب الأثرياء وصارت رؤى للقديسين المسيحيين للهروب من المدينة . وأرسل القائد فاسبسيان الذى أخمد الثورة ثم نُوديَ به إمبراطوراً لروما سنة ٦٩ م وأكمل ابنه تيطس حصار أورشليم حتى سقطت سنة ٧٠ م .

استمر الحصار خمسة أشهر من أبريل (عيد الفصح) حتى ١٠ أغسطس (وهو نفس اليوم الذى تخربت فيه سابقاً على يد نبوخذنصر ملك بابل) .

حاول تيطس أن يتفاهم مع اليهود ، وكان يوسيفوس المؤرخ مترجماً ، ولكن ثورة المتشددين وإحرازهم بعض النجاح فى الهجمات المضادة ، جعلهم يرفضون الإستسلام رغم إن تيطس كان يصلب نحو ٥٠٠ يهودى كل يوم .

وفى يوليو سقطت قلعة أورشليم (حصن أنطونيا) وكان تيطس ينوى الإبقاء على الهيكل ولكن جنوده أحرقوه بسبب عنف المقاومة .

قام تيطس بأسر ٩٧ ألف يهودى وهدم أورشليم ولم يبقى سوى الحائط الغربى وأجزاء من قصر هيرودس . استمرت مقاومة اليهود حتى سنة ٧٣م ضد روما وقتل ١,١٠٠,٠٠٠ نفس من بينهم ١١٠٠٠ ماتوا جوعاً .

كان الشعب أيام الحصار فريسة للدجالين والأنبياء الكذبة ، واستخفّوا بالإعلانات الإلهية عن خراب المدينة ، فوصل بهم البؤس أيام المجاعة لأكل أولادهم بعد ان نفذت الحيوانات

والحشائش والأعشاب ، وامتلأت الشوارع بجثث الموتى حتى أنهم كانوا يطرحونها من فوق الأسوار ، وذهب كثيرون للقبور يرقدون فيها منتظرين الموت .

وفى عام ١١٦م قامت ثورة أخرى لليهود أيام الإمبراطور تراجان (٩٨ ـ ١١٧م) بسبب اقامة جوبتر مكان الهيكل ، وكانت الثورة بقيادة مسيح كذاب يدعى باركوكبا أدت إلى تشريد اليهود تماماً سنة ١٣٥م أيام هدريان (١١٧ ـ ١٣٨م) .

ثم قامت محاولة لإعادة بناء الهيكل أيام يوليانوس الإمبراطور البيزنطى الجاحد المُرتد عن المسيحية (٣٦١ ـ ٣٦٣م) فحدث زلزلة هدمت الأساسات ، وخرجت كرات نارية منعت البناء .

ثانياً : مصر وأفريقيا

أ ـ مصر : يبدأ التاريخ السياسى لمصر بما يسمى بالإسرات بعد توحيد البلاد على يد مينا أو الملك نارمر وكانت منف عاصمة لها (ميت رهينة حالياً) وكان ذلك حوالى سنة ٣٤٠٠ ق.م وكانت القبور فى هذا الوقت تقام كالمصاطب .

ثم بدأ بُناة الأهرام ابتداء من الأسرة الثانية بهرم زوسر المدرج بسقارة ثم الملك سنفرو الذى بنى هرمين بدهشور وميدوم وأخضع بدو سيناء لمصر ثم تلاه خوفو وخفرع ومنقرع بأهرامهم حتى الأسرة الرابعة سنة ٢٧٥٠ ق.م .

وابتداء من الأسرة الخامسة بدأ بناء المعابد الملحقة بالأهرامات مثل هرم أوناس بسقارة . وفى أيام الأسرة السادسة غزا الملك بيبى الأول بلاد النوبه وضم سيناء ثم بدأ الضعف يدب فى الملوك لتنتهى الدولة القديمة .

بدأت الدولة الوسطى بظهور طيبه وتأسيس الأسرة الحادية عشر بواسطة أمنمحعت الأول سنة ٢٠٠٠ ق.م . ثم اتخذ خلفاؤه الفيوم عاصمة لهم وحموا حدود مصر وأقيم سد فى اللاهون لزيادة الرقعة الزراعية واتسعت العلاقات الخارجية لجلب الأحجار والأخشاب والمعادن وازدهر الفن المصرى .

وفى الأسرة الثانية عشر بدأ عصر الإنحطاط بدخول الهكسوس مصر وكان تفوقهم بسبب العجلة الحربية التى تجرها الخيول ولم تكن تعرفها مصر .

وأقام الهكسوس عاصمتهم فى شرق الدلتا لتكون على مقربة من موطنهم بآسيا ورغم تمصر ملوكهم وعبادتهم لعبادة المصريين ، قامت حرب الإستقلال سنة ١٦٢٠ ق.م وانتهت بإستيلاء الأمير أحمس على منف وطرد الهكسوس . ومع بداية الدولة الحديثة فى الأسرة الثامنة عشر ، بدأت الفتوحات المصرية بقيادة تحتمس الأول سنة ١٥٨٠ ق.م ، واهتمت الملكة حتشبسوت وتحتمس الثانى بالتجارة والبناء . ثم قام تحتمس الثالث بغزوات كثيرة وأخضع الأسيويين وكان مقره فى طيبه وأدى ذلك إلى ارتقاء شأن معبودها آمون .

ومع خلفه أمنحتب الثالث بدأ الإضمحلال بسبب الإنهماك فى الترف وكيد كهنة رع لآمون الذى انتهى بثورة أمنحتب الرابع الدينية وزوجته نفرتيتى (والتى كان أبوها أسيوياً) وكان ذلك سنة ١٣٦٧ ق.م فأبطل المعبودات كلها إلا القوة السمائية الممثلة فى الشمس وسماها آتون وأطلق على نفسه اسم اخناتون ثم انتهت هذه العبادة بموته وخلفه الملك الصغير توت عنخ آمون ثم حور محب .



صورة الإمبراطورية المصرية

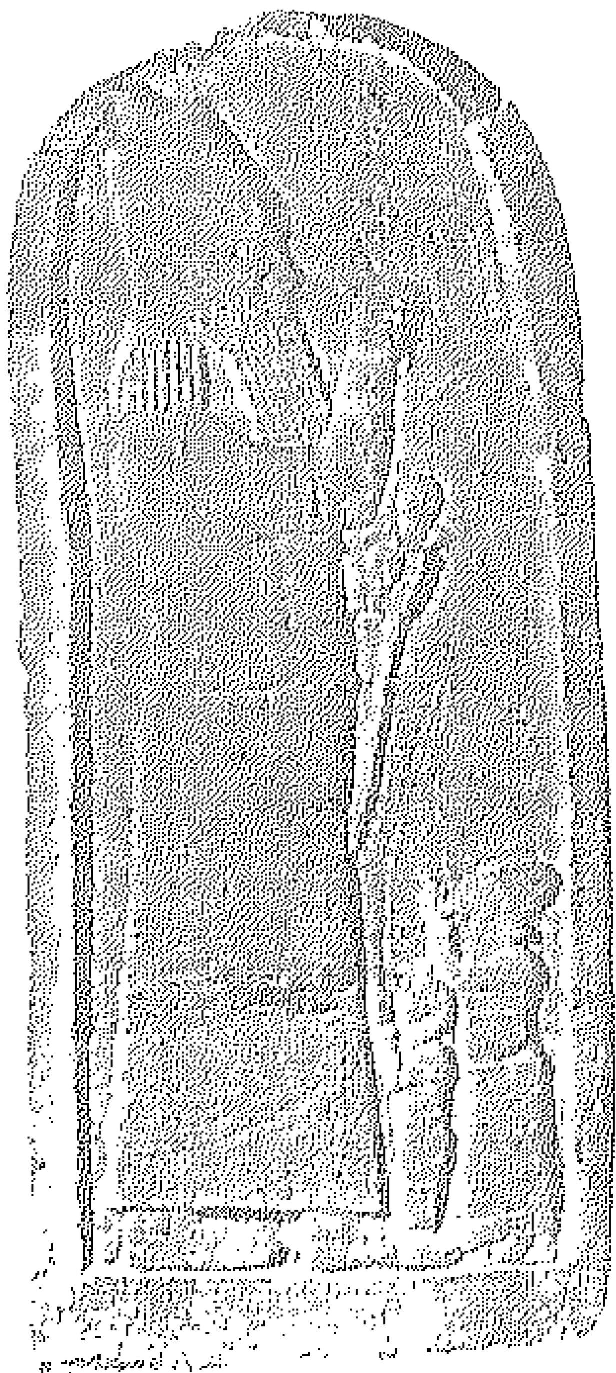
وفى عام ١٣٥٠ ق.م بدأت الأسرة التاسعة عشر التى أسسها رمسيس الأول وأعاد خلالها سيتى الأول أملاك مصر المفقودة فى آسيا ، وتلاه رمسيس الثانى الذى حكم قرابة ٦٠ عاماً وأقام حرب مع الحيثيين ثم تزوج ابنة ملكهم وخلفه منفتاح .

وفى عام ١٢٠٠ ق.م تأسست الأسرة العشرون برمسيس الثالث الذى أعاد الحروب مع الحيثيين وهزمهم ثم قضى الأشوريون على بقيتهم سنة ١١٠٧ ق.م .

خلف رمسيس الثالث ملوك ضعاف سيطر عليهم الكهنة وحصلوا على الحكم . أدى ذلك إلى تنازع الأجانب حكم مصر ، فحكم الليبيون وادى النيل فى الأسرة ٢٢ ، ٢٣ من سنة ٩٤٥ - سنة ٧١٢ ق.م وكان مقرهم مدينة بسطة فى الدلتا وأشهر ملوكهم شيشنق على أيام حكم سليمان ، وفى أيامهم ظهرت قوة الأشوريين بآسيا ، ثم اغار النوبيون على مصر فى الأسرة ٢٤ سنة ٧٢٢ ق.م ثم الأثيوبيون فى الأسرة ٢٥ سنة ٧١٢ ق.م .

وفى عام ٦٧٠ ق.م تغلب أسرحدون الأشورى ونازع الأجانب حكم مصر ، حتى قام أمير مصرى يدعى بسماتيك فى مدينة سايس غرب الدلتا واستعان بجنود مرتزقة من الاغريق ، واستقلت مصر سنة ٦٥٢ ق.م بالأسرة السادسة والعشرين ، ولكنه شجع الاغريق على الإستيطان ، وابتدأ بما يسمى عصر النهضة المصرية .

خلف بسماتيك الأول الملك نخاو وآخرون يميلون للإغريق الذين أقاموا مدينة نيوقراطس غرب النيل تحالفاً معهم خوفاً من الفرس . ومع ذلك ففى عام ٥٢٥ ق.م غزا قمبيز الفارسي مصر فى عهد بسماتيك الثالث وبقوا بها حتى دخول الإسكندر الأكبر سنة ٣٣٢ ق.م فى أيام مازاكيس الوالى الفارسى لمصر خلال حكم دارا الأكبر .



أسرحدون الملك الأشورى

وبموت الإسكندر الأكبر سنة ٣٢٣ ق.م وتقسيم قواده للإمبراطورية ، كانت مصر من نصيب بطليموس الأول (سوتر) سنة ٣٠٥ ق.م .



الأسكندر الاكبر (٣٣٢ - ٣٢٣ ق م)

استمر البطالمة فى حكم مصر حتى بطليموس الحادى عشر (أوليتس) الذى طُرد من مصر سنة ٥٨ ق.م وأوصى أن يخلفه بطليموس الثانى عشر وأخته كليوباتره . ثم طرد بطليموس أخته فاعادها قيصر بنفوذه وأشرك أخاها بطليموس الثالث عشر .

حاولت كليوباتره بعد ذلك اكتساب تأييد قيصر ، وانجبت منه قيصرون ، وبعد اغتيال قيصر سنة ٤٤ ق.م لجأت إلى أنطونيوس القائد الرومانى . وفى عام ٣١ ق.م هزم أكتافيوس القائد الرومانى (أوغسطس قيصر فيما بعد) هزم أنطونيوس فى موقعة أكتيوم ، لينتحر بعدها أنطونيوس ثم كليوباتره لتصبح مصر مقاطعة رومانية .

ب ـ قرطاجة : تقع قرطاجة على الساحل الشمالى لأفريقيا ، أسسها الفينيقيون أيام ازدهار حضارتهم سنة ٨١٤ ق.م ومن ثم ورثت عظمة صور .

حكمت قرطاجة المستعمرات الفينيقية فى أفريقيا وصقلية وأسبانيا كما ورثت عن صور عداوتها للإغريق والرومان . قامت الحروب بينها وبين روما من سنة ٢٦٤ ـ ١٤٦ ق.م بما يعرف بالحروب البونية الأولى والثانية للصراع على المستعمرات الفينيقية . وفى عام ٢٣٨ ق.م أخذ الرومان سردينيا وكورسيكا . ثم تحالف هانيبال فى أسبانيا مع فيليب الخامس حاكم مقدونيا ضد روما ، ولكن روما انتصرت وفتحت صقلية سنة ٢١٢ ق.م .

وفي عام ١٤٦ ق.م وقعت حرب بين قرطاجة وجيرانها سكان نوميديا المتحالفين مع الرومان فهُزمت قرطاجة وتحولت إلى ولاية رومانية اسمها أفريقيا .

ثالثاً : الكريتيون والإغريق والرومان

أ ـ الكريتيون : سبقت الحضارة الإغريقية حضارة قديمة فى كريت ترجع إلى سنة ٣٠٠٠ ق.م وكانت أزهى عصورها سنة ١٦٠٠ ق.م ، وكانت على اتصال بحضارة مصر القديمة ، فكانت آنيتهم تشبه الأوانى المصرية ، وكتابتهم مأخوذة عن الرموز الهيروغليفية . وقد خضعت كريت للسيادة المصرية فى عهد تحتمس الأول وحتشبسوت سنة ١٥٨٠ ق.م . وبنى الكريتيون طروادة بساحل أسيا الصغرى سنة ٢٥٠٠ ق.م أيام الحيثيين ، وانتهت حضارة كريت سنة ١٠٠٠ ق.م .

ب ـ الإغريق : لم يكن الإغريق فى أول ظهورهم دولة واحد بل دول كثيرة لا تزيد أرض الواحدة منها عن مدينة واحدة ، ولكل منها ملكها وشريعتها وجيشها ومعبدها وعبادتها . فبلاد الإغريق جبلية وسواحلها كثيرة الخلجان ، ويمتد بينها وبين آسيا الصغرى عدة جزر فى بحر الأرخبيل منها كريت ورودس وغيرها .

أما اصل الإغريق فكان من المراعى قرب بحر قزوين حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م وانحدروا إلى شبه جزيرة البلقان وقضوا نحوا ١٠٠٠ سنة فى الإستقرار فى شبه الجزيرة وأسسوا مدينة أسبرطة حوالى سنة ١٥٠٠ ق.م ، وما حلت سنة ١٠٠٠ ق.م إلا وقد استقر الإغريق فى شبة جزيرة البلقان والجزر وسواحل آسيا الصغرى .

ولم يكن الإغريق يعرفون كتابة ولا زراعة ، وتعلموا الكثير من الحضارة الكريتية وأسسوا المدن ، كما تعلموا أيضاً من الفينيقين وأخذوا حروف الهجاء منهم حوالى سنة ٩٠٠ ق.م ، وكما علمنا أنها قد أُخذت من الديموطيقية المصرية . وقد عُرف كثير من تاريخ الإغريق من شعر هوميروس الكفيف (٧٥٠ ق.م) الذى وصف حصار الإغريق لطروادة فى قصيدة الإلياذه ، وما جرى لأحد أبطالها فى قصة الأوديسا .

كانت معظم معتقدات الإغريق كريتية وفينيقية الأصل ، واعتقدوا أن آلهتهم تسكن جبل أوليمبوس منهم ٦ ذكور ، و ٦ أناث ، وكبيرهم زيوس أبو الآلهة والناس ومنهم أبوللو إله الموسيقى والنور وأفروديت آلهة الجمال مما سنعرفه فيما بعد .

لم تبق المدن الإغريقية منفصلة ، بل تحالفت لأغراض دينية وتجارية بل ورياضية ، فقد أقاموا الألعاب الأوليمبية كل ٤ سنوات منذ عام ٧٧٦ ق.م حتى أنهم أرّخوا بها الحوادث ، كما كانوا يحتفلون بأبوللو سنوياً فى جزيرة ديلوس .

تحالفت المدن وكانت أهم الأحلاف حول أثينا فى الشمال وأسبرطة في الجنوب . وكانوا يتحدثون بلغة واحدة متعددة اللهجات ، واتخذوا لأنفسهم اسماً واحداً هو أبناء هلاس (ومنها الهلينية) وبذلك شعروا أنهم أمة واحدة بالرغم من استقلال مدنهم . كان الهيلينيون فى نظر أنفسهم هم الناس ومن عداهم من البشر هم برابرة .

أما سياسياً فقد تطورت المدن من حكم الملوك إلى حكم الأشراف إلى حكم العامة ، أى صار الحكم ديموقراطياً (*) رغم أنهم كانوا يعتقدون أن الملوك من نسل الآلهة ، وكان يصاحب الملوك مجلسان أحدهما للشيوخ وآخر لأحرار الناس .

ومع سنة ٧٥٠ ق.م كانت قد ألغيت الملكية فى اكثر المدن الإغريقية ، ثم بظهور الخلافات السياسية فى المدن ، وتعلمهم صناعة السفن من الفينيقيين ، ورغبتهم فى التجارة بسبب طبيعة أرضهم ، انتشروا فى أماكن مختلفة ، وأسسوا مدينة بيزنطة على البحر الأسود سنة ٦٥٨ ق.م ، وانتزعوا من الفينيقيين جزيرة صقلية سنة ٧٣٤ ق.م وامتدوا إلى جنوب ايطاليا وجنوب فرنسا حتى أن مارسيليا الحالية أصلها مستعمرة ماسيليا الإغريقية .

وناصب الهلينيون العداء لقرطاجة على الساحل الأفريقى الشمالى وأخيراً انتزعوا التجارة من الفينقيين ، وسكّوا النقود بدلاً من المقايضة . ثم ابتدأ الإغريق مع ثرائهم يهتمون بالتمثيل والأدب وفن البناء وصنع التماثيل ويبحثون في الفلسفة والعلم .

ومع قدوم سنة ٥٤٦ ق.م فتح كورش ملك الفرس مملكة ليديا الإغريقية بآسيا الصغرى ومدّ قمبيز دولته لتشمل فينيقيا وقبرص ومصر ومستعمرات الإغريق فى افريقيا . وفى عام ٥١٣ ق.م. تقدم نحو أوربا فثارت المدن الإغريقية .

فعندما قام دارا بحملة سنة ٤٩٢ ق.م ثم أخرى سنة ٤٩٠ ق.م انتصر فيها الإغريق فى ماراثون . ثم قام ابن دارا بحملة ثالثة سنة ٤٨٥ ق.م ودمر أثينا فعاد الإغريق وانتصروا بحراً وبراً سنة ٤٧٩ ق.م واحتفظوا بإستقلالهم . ورغم اشتراك الإغريق كلهم فى الدفاع

(*) ديموس : شعب ، قراطوس : حكم

فقد كان العبء الأكبر على أثينا ، فأقاموا حلفاً يدعى حلف ديلوس ، نسبة إلى الجزيرة التى كانوا يحتفلون فيها بأبللوس وكانت بها خزانة الحلف . كان الحلف يقضى بتقديم كل مدينة لعدد من السفن أو مقدار معين من المال لأثينا لزوم الدفاع ، وبهذا قويت أثينا وضعفت المدن الأخرى ثم نقلوا خزينة الحلف لأثينا حتى أصبح الحلف فى حقيقته ملك لأثينا .

أثار هذا خلافاً بين أثينا وأسبرطة ، وخاصة وأن أثينا كانت ديموقراطية وتهتم بالفن والفلسفة بينما أسبرطة أرستقراطية ولا تهتم إلا بفن الحرب . فقامت الحروب الأولى بين الإثنين سنة ٤٥٩ ـ ٤٤٥ ق.م والثانية سنة ٤٣١ ق.م والثالثة سنة ٤٠٤ ق.م استولت فيها أسبرطة على أثينا .

وفى سنة ٣٦٠ ق.م تغلبت مقدونيا بقيادة فيليب الثانى على المدن الإغريقية . وقد كان المقدونيون لغتهم إغريقية ولكنهم كانوا فى نظر الإغريق أشبه بالأجانب لقلة رفاهيتهم وحضارتهم وهى أصلاً بلاد تقع شمال بلاد الإغريق وفيها سهول خصبة .

بدأ فيليب بالمستعمرات الإغريقية شمال بحر الأرخبيل (إيجه) وتغلب عليها وهزم أثينا سنة ٣٣٨ ق.م ولم تبق سوى أسبرطة . ثم قُتل فيليب سنة ٣٣٦ ق.م وخلفه ابنه الإسكندر وأخضع الإغريق سنة ٣٣٤ ق.م ، ثم اتجه نحو آسيا وانتصر على دارا الثالث ، وأخضع المدن الفينيقية ثم مصر التى كانت تحت الحكم الفارسى .



ثم ارتحل الإسكندر إلى سوريا ثم فارس وهرب ملكها وقتله أحد قواده . ثم توغل الإسكندر واستولى على نفائس وخزائن الفرس وعاد إلى بابل سنة ٣٢٣ ق.م بعد سبع سنين قضاها فى فارس والهند ، ومهّد الطريق لنشر الحضارة الإغريقية ، واتخذ بابل عاصمته وتزوج ابنة دارا الثالث وأعد السفن لإخضاع ايطاليا وصقلية وقرطاجة ولكنه مات بالحمى فى الثالثة والثلاثين من عمره وانقسم ملكه لقواده ، بطليموس فى مصر وسلوقيوس بسوريا وأنتيجونيس بمقدونيا .

جـ ـ روما والرومان : أنشيئت روما سنة ٧٥٣ ق.م ، وأنشأها رومليوس ، وقد تكونت على عدة تلال يتوسطها وادٍ ، وتكونت من اتحاد شعوب صغيرة أكثرها من اللاتين .

كان يحكم روما منذ نشأتها ملك يتولى العرش بالإنتخاب لا بالوراثة ، ويحد من سلطانه هيئتان : الأولى مجلس السناتو من ١٠٠ شيخ (آباء Patres) ، وكان مجلساً استشارياً رأيه غير مُلزِم . والهيئة الثانية جمعية شعبية تتألف من العشائر ، تمنح الملك سلطاته عقب انتخابه .

كان فى الدولة طبقتان : الأولى هى الأشراف ، وكان أكثرهم مزارعين أغنياء ، وموظفين سابقين مدنيين وعسكريين ، والطبقة الثانية هى طبقة العامة ، وكان أغلبها مقهورين بوصفهم أتباعاً .

كان الدستور المبكر يقضى بأن يُنتخب كل عام قنصلان ، يتمتع كل منهما بسلطة الملك الكاملة ، تمتد إلى الجيش والشرطة والقضاء .

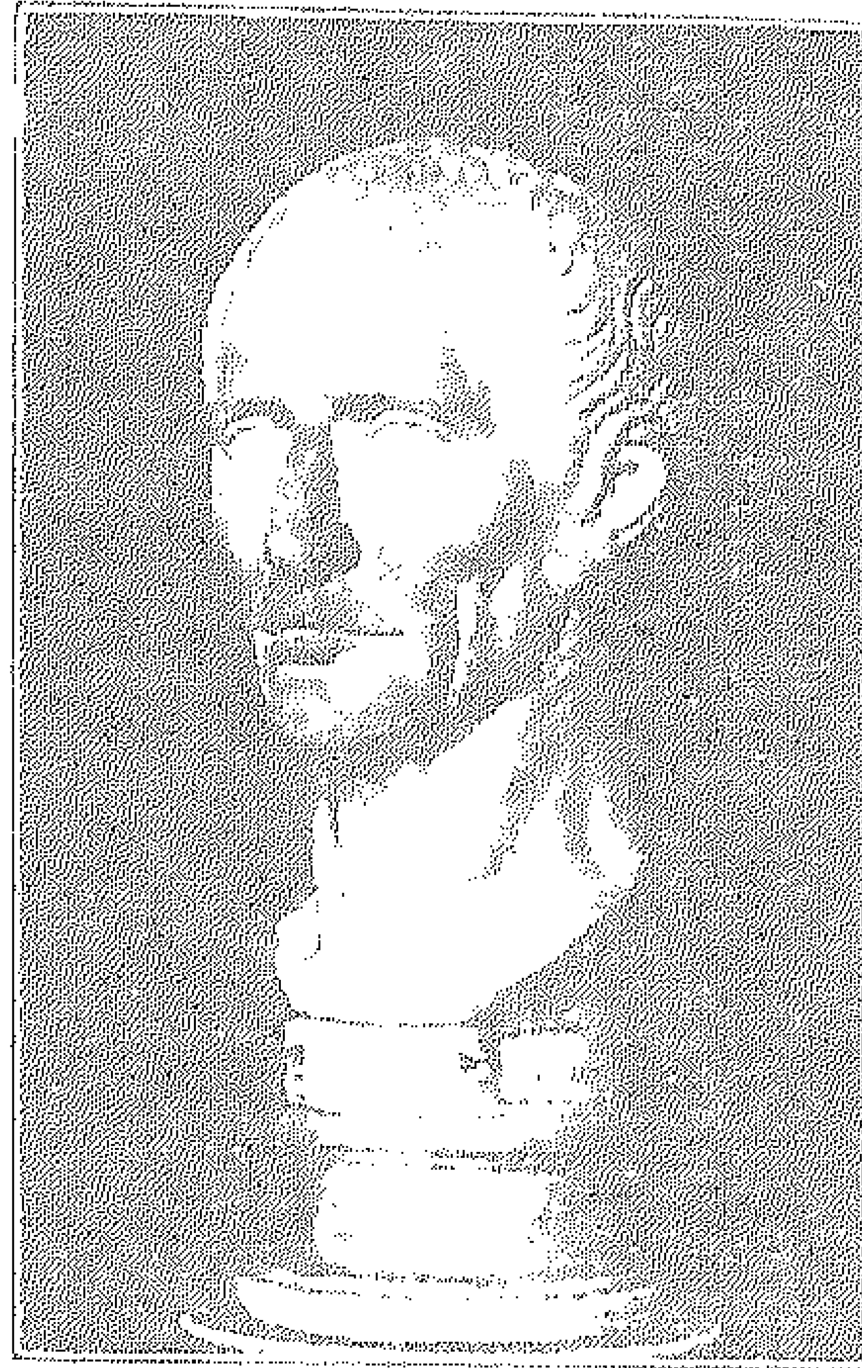
كانت روما تتعرض لغارات مختلفة من القبائل المحيطة ، مما إضطر روما إلى توسيع رقعة نفوذها شيئاً فشيئاً فى البحر المتوسط ، وأدى هذا إلى انشاء طبقة من الفرسان حتى أصبحت منافساً للسناتو .

نشأت عدة حروب مع قرطاجة بما يسمى الحروب البونية والتى انتهت بهزيمة هانيبال وانتحاره سنة ١٨٣ ق.م ، وحروب مع مقدونية التى تحالفت مع هانيبال كما سبق القول ، وانتهت بهزيمة فيليب الخامس سنة ٢٠٥ ق.م فانضمت إلى ممتلكات روما : أسبانيا وصقلية وشمال أفريقيا غير سردينيا وكورسيكا ثم قامت الحروب مع خلفاء الإسكندر :

السلوقيون فى الشام والبطالمة فـى مصـر وانتهى الأمر بخضـوع الشـعوب للإمبراطورية الرومـانية فى القرن السابق لميلاد السيد المسيح .

وقد قامت عدة ثورات للعبيد ضـد رومـا ، كـانت الأولى سـنة ١٣٥ ـ ١٣٢ ق.م بقيادة يونس السورى والذى أطلق على نفسه اسم أنتيوخوس . وكانت الثانية سنة ١٠٣ ـ ٩٩ ق.م بقيادة تريفون . والثالثة سنة ٧٣ ق.م بقيادة سبارتكوس ، والتى أخمدها القائد بومبى . وفى سنة ٦٨ ق.م هزم الرومان قراصنة البحر الأبيض .

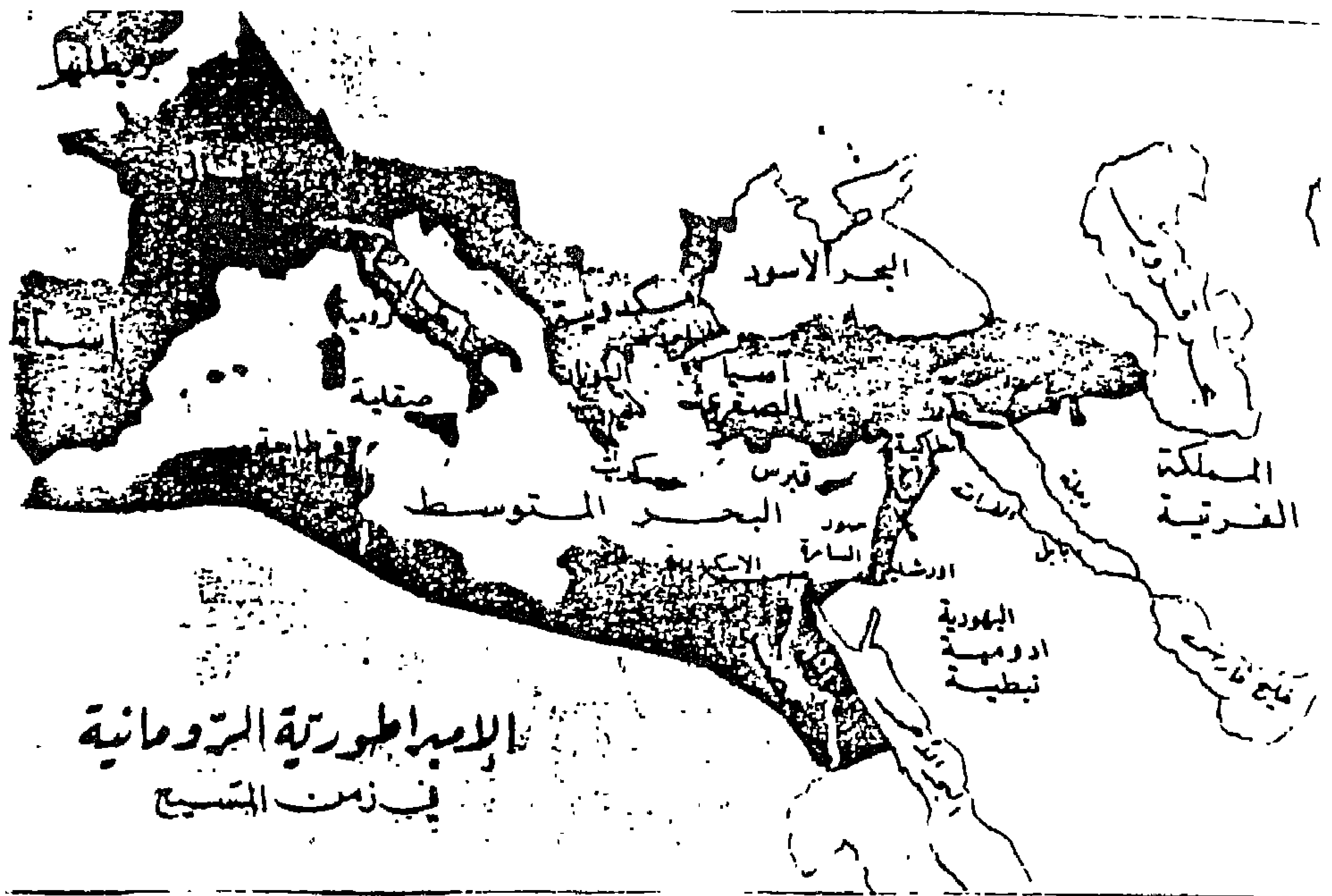
وفى عـام ٦٠ ق.م تكـون حكـم ثلاثـى لرومـا مـن بومبـى وكراسـوس ويوليـوس قيصـر ما لبث أن تفكك سنة ٥٤ ق.م وانفـرد قيصـر بـالحكم . وفـى سنة ٤٥ ق.م أصلـح قيصـر التقويم كما عرفه المصريون ثم قُتل سنة ٤٤ ق.م .



صورة للإمبراطور يوليوس قيصر

قام بعد قيصر حكم ثلاثى آخر من أنطونيـوس ، و أوكتـافيوس ، وليبيـدوس ، ثـم انفـرد أوكتافيوس بالحكم بعد تنحية ليبيدوس وهزيمة أنطونيوس فى موقعة أكتيوم سـنة ٣١ ق.م . ثم أطلق أوكتافيوس علـى نفسـه لقـب أوغسـطس (أى الفخـم) . وبعـد انتحـار أنطونيـوس بسبب هزيمته ثم انتحار كليوباتره صديقته والتى كانت آخر الملوك البطالمـة فـى مصـر ، اعتبر أوغسطس مصر مُلكاً خاصاً للإمبراطور (*) ، يديرها قائد يقوم بتعيينه وبذلك يعتبر عصر أوغسطس من سنة ٣١ ـ ١٤ ق.م هو فجر الإمبراطورية الرومانية .

(*) وكان لقب إمبراطور لا يعنى فى هذا الوقت سوى قيادة الجيش .



الهون
الصقالبة
القبائل الجرمانية
ارمينيه
بارثيا
أثينا
الأمبراطورية الرومانية
١٢٠ ميلادية

شكل توضيحى للإمبراطورية الرومانية

كانت روما تمنح الأمم المغلوبة حياة متمدينة منظمة ، كما كانت تقطع الوعود بمنحهم حقوق المواطنة الكاملة فى نهاية الأمر ، حيث كانت الجنسية الرومانية تُعطى كمنحة من الدولة ، أو بسبب الخدمة العسكرية ، أو الشراء بالمال (*) . وكان حمل الجنسية يُمنح للأحرار ويتمتع حاملها بحماية القانون الرومانى ، مثل عدم وضع القيود فى يديه دون محاكمة رسمية ، وعدم الجلد ، وحق المثول أمام قيصر ، وكانت تُورث للأبناء (ومن خلال هذه المزايا نستطيع أن نفسر ما وقع مع بولس الرسول أثناء خدمته) .

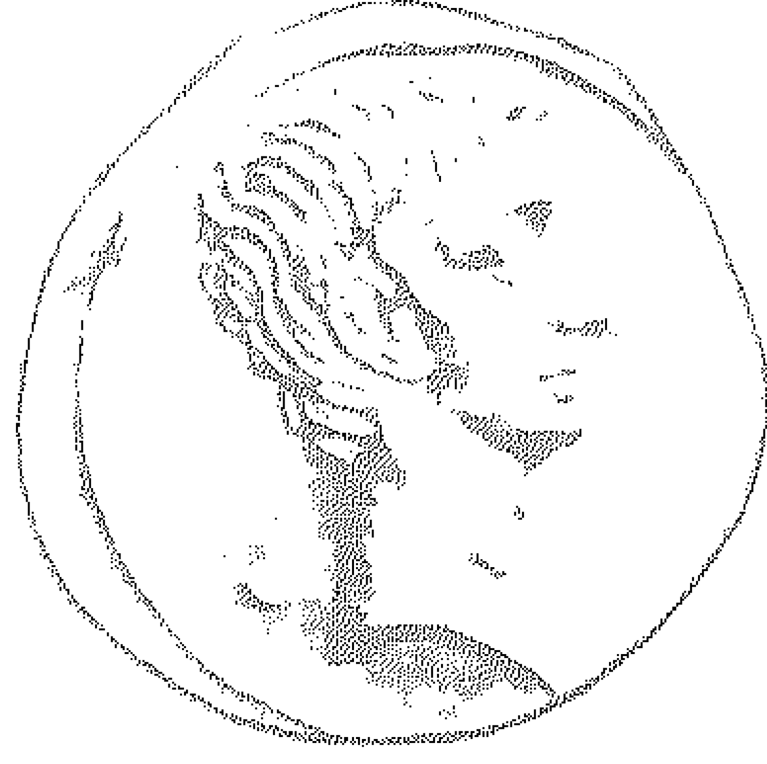
وفى عهد أوغسطس سادت العدالة ، واستتب النظام ، وتأمنت الطرق ، واهتم الرومان بالطقوس الدينية لضمان إرضاء الآلهة ، حتى أطلقوا على روما " المدينة الخالدة " وعلى أوغسطس " أبو الوطن " .

كانت روما ترسل بعض أعضاء السناتو لدراسة الولايات المختلفة ومواردها لتحديد نوع الحكم فيها ، لهذا اختلفت أنظمة الحكم من ولاية لأخرى . كما كانت تُجبى الضرائب من الأفراد أو الأرض أو المناجم ، واستلزم هذا الأمر للإكتتاب العام ، كما حدث أيام ميلاد السيد المسيح حيث صعد يوسف ومريم إلى بيت لحم ليُولد المسيح فيها حسب النبوات .

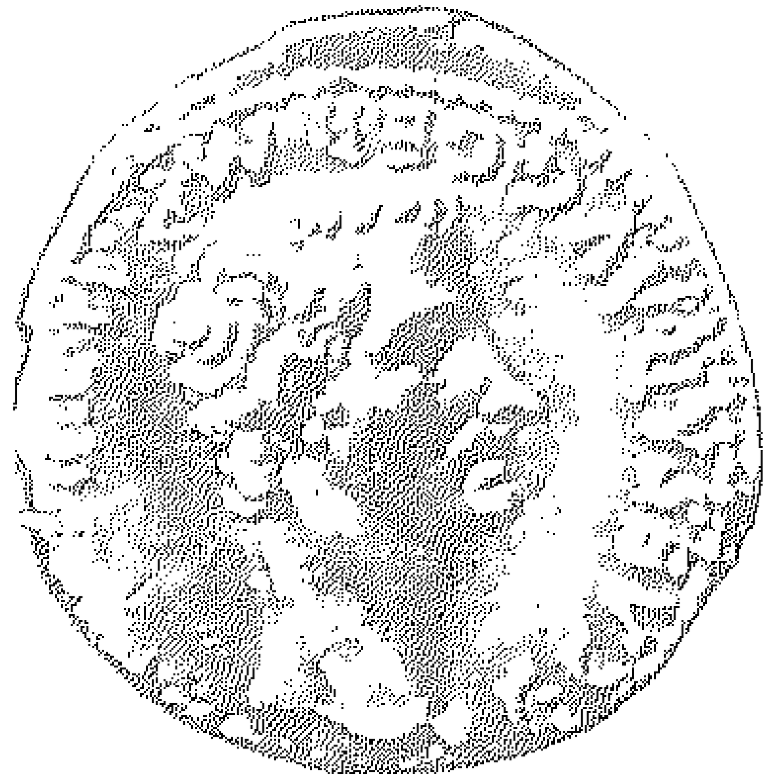
ويمكننا تتبع سلسلة الأباطرة حتى قسطنطين على النحو التالى : -

- **أوغسطس** (٣١ ق.م - ١٤ م) وفى زمنه تم ميلاد السيد المسيح وكان هيرودس الكبير معاصراً له والذى مات وقت أن كان السيد المسيح فى مصر .
- **طيبريوس** (١٤ - ٣٧ م) وفى أيامه تم الصلب وكان هيرودس أنتيباس معاصراً له .
- **جايوس " كاليجولا "** (٣٧ – ٤١م) وقد أصيب بجنون العظمة ، وعاصره هيرودس أغريباس الأول الذى سجن بطرس وأكله الدود فى أع ص ١٢ .
- **كلوديوس الأول " دروسوس "** (٤١ - ٥٤م) وعاصره هيرودس أغريباس الثانى الذى خطب امامه بولس الرسول فى أع ص ٢٥ .

(*) أنظر (أع ٢٢ : ٢٨) .









أوغسطس ، كلاديوس ، طيباريوس ، كاليجولا

- نيرون (٥٤ - ٦٨م) وهو الذى نظر دعوى بولس بعد وقوفه أمام فيلكس الوالى سنة ٦٠م وقد قام نيرون بحرق روما واتهم المسيحيين بذلك ، وفى عهده قامت ثورة اليهود سنة ٦٦م وأرسل القائد فاسبسيان ثم تيطس ابنه لإخمادها والذى أسقط أورشليم سنة ٧٠م . وقد انهى نيرون حكمه بالإنتحار .

- جالبا (٦٨ - ٦٩م) وفى عهده حدث خلاف بين السناتو والحرس الإمبراطورى .

- فاسبسيان (٦٩ - ٧٩م) وابنه تيطس (٧٩ - ٨١م) وفى أيامهما سُمح بالمبادئ الدينية والفلسفية للشعوب ، وأيام تيطس حدث بركان فيزوف سنة ٧٩م .

- دومتيان (٨١ - ٩٦م) وقد اساء الظن باليهود والمسيحيين ، وهو الذى عذّب يوحنا البشير .

- نيرفا (٩٦ - ٩٨م)

- تراجان (٩٨ - ١١٧م) وقد أمر بإعدام من لايسجد للألهة ، وفى عهده استشهد إكليمنضس أسقف روما ، وأغناطيوس أسقف أنطاكية ، وسمعان أسقف أورشليم ، وفى عهده ظهرت بدعة الأبيونية وحدثت ثورة اليهود سنة ١١٦م .

- هادريان (١١٧ - ١٣٨م) وكان غيوراً للوثنية ، وفى أيامه قامت ثورة اليهود بسبب اقامة جوبتر مكان الهيكل وقاد الثورة باركوكبا سنة ١٣٢ - ١٣٥م وأدت إلى تشريد اليهود من اليهودية .

- أنطونيوس بيوس (١٣٨ - ١٦١م) .



نيرون من عام ٥٤ - ٦٨ م.



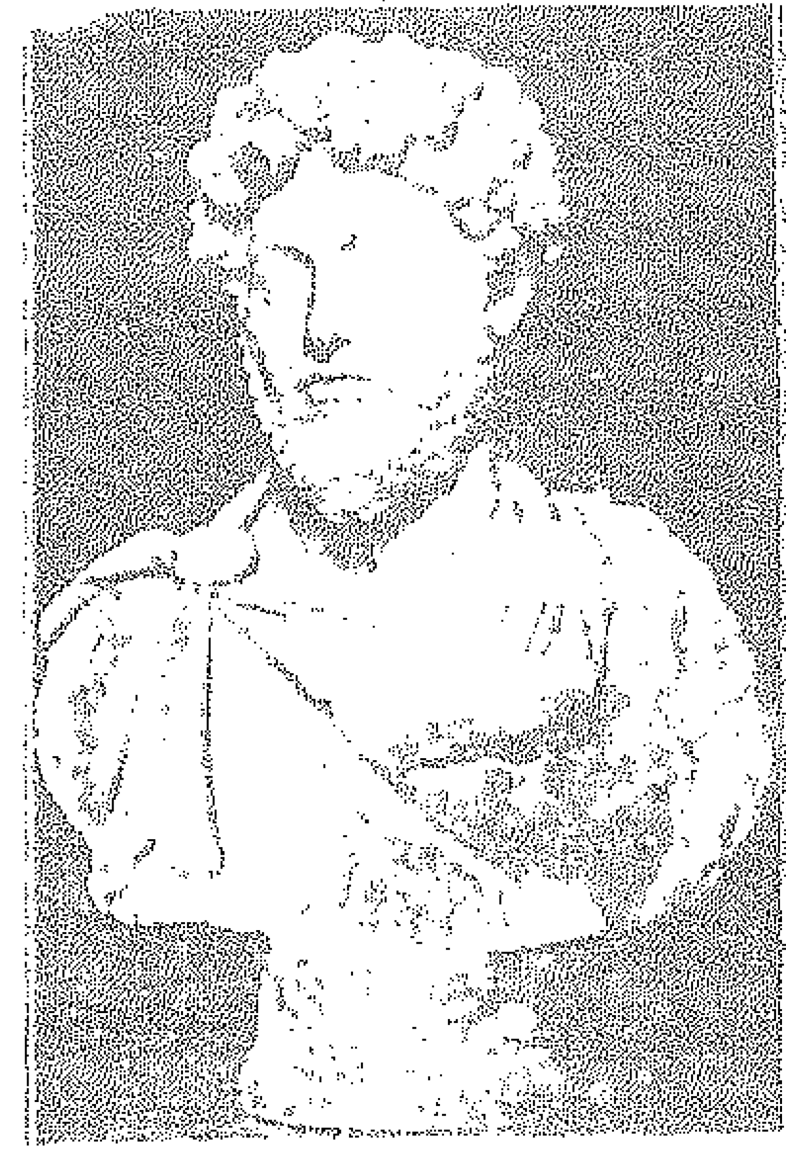
تيطس الذى حكم من عام ٧٩ - ٨١ م.



فاسبسيان الذى حكم من عام ٦٩ - ٧٩ م



دومتيان الذى حكم من عام ٨١ - ٩٦ م.



ماركوس أوريليوس



هادريان



تراجان

- ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م) وكان فيلسوفاً وأمر بإضطهاد المسيحيين .

- **كومودوس** (١٨٠ - ١٩٣م) .
- **سبتيموس سافيروس** (١٩٣ - ٢١١م) وقد منع اعتناق المسيحية ، وفى عهده استشهد إيرناوس أسقف ليون ، وبربتوا وبوتامينا .
- **كاراكالا** (٢١١ - ٢١٧م) .
- **ماكرينوس** (٢١٧ - ٢١٨م) .
- **أجابالوس** (٢١٨ - ٢٢٢م) .
- **سفيروس الإسكندر** (٢٢٢ - ٢٣٥م) وفى عهده تأسست الإمبراطورية الفارسية " الساسانية " الجديد على يد أردشير .
- **ماكسيمينوس** (٢٣٥ - ٢٣٨م) .
- **جورديانوس** (٢٣٨ - ٢٤٤م) وقد اصدر كلٍ من مكسيمينوس وجورديانوس مرسوماً باضطهاد المسيحيين .
- **فيليب العربى** (٢٤٤ - ٢٤٩ م) وقد تصالح مع الفرس ولم يضطهد المسيحيين وكانت زوجته مسيحية .
- **دكيوس** (٢٤٩ - ٢٥١م) أجبر المسيحيين على اعتناق الوثنية ، وقُتل فى حربه مع القوط .
- **جالوس** (٢٥١ - ٢٥٣م) اضطهد المسيحيين لإسترضاء الآلهة .
- **فاليريان** (٢٥٣ - ٢٦٠م) وابنه **جالينوس** (٢٦٨م) وفى أيامهما نُفى عدد من الأساقفة واستشهد كبريانوس أسقف قرطاجة .
- **كلوديوس الثانى " القوطى "** (٢٦٨ - ٢٧٠م) .
- **أوريليان** (٢٧٠ - ٢٧٥م) .
- **تاكتيوس** (٢٧٥ - ٢٧٦م) .
- **بربوس** (٢٧٦ - ٢٨٢م) .
- **كاروس** (٢٨١ - ٢٨٣م) ومن أيام كلوديوس حتى كاروس كانت فترة راحة للكنيسة .
- **دقلديانوس** (٢٨٤ - ٣٠٥م) والذى بدأ الإضطهاد العام للمسيحيين سنة ٣٠٣م .

دعا دقلديانوس شريك له فى غرب الإمبراطورية هو مكسيميانوس وصار لكل منهما مساعد برتبة قيصر فكان **جاليريوس** قيصراً فى الشرق **وقسطنطيوس** فى الغرب .

قام جاليريوس بإضطهاد المسيحيين بقسوة ، وفى سنة ٣٠٥م تنازل دقلديانوس وشريكه مكسيميانوس عن الحكم ، فاختار جاليريوس قيصراً له يدعى **مكسيمينوس** (ماكسمين دازا) وكان أكثر بطشاً بالمسيحيين ، وصار **مكسنتيوس** (*) قيصراً للغرب .

وفى سنة ٣٠٦م توفى قسطنطيوس وحل ابنه قسطنطين مكانه . وفى سنة ٣١١م مرض جاليريوس وأوقف الإضطهاد . ثم توفى وحل محله أحد قواده هو ليكينيوس .

ثم حدث نزاع بين قسطنطين وقيصره مكسنتيوس ، فهزمه قسطنطين بعد ظهور علامة الصليب له ، عام ٣١٢م ، وأصدر مرسوم ميلان بعد لقائه مع ليكينيوس سنة ٣١٣م ويقضى برد أملاك المسيحيين .

وفى سنة ٣٢٤م وقع خلاف بين قسطنطين وليكينيوس فهُزم الأخير وأصبح قسطنطين الحاكم الأوحد للسلطة الرومانية حتى سنة ٣٣٧ م وبهذا عادت الإمبراطورية إلى وحدتها .



قسطنطين الكبير

(*) وهو ابن مكسيميانوس الذى كان شريك دقلديانوس فى الغرب .

الفصل الثالث



العالم الفكري والروحي قبل وإبان عصر الرسل :

أولاً : اليهــــــود

- اليهـود اجتماعيـاً .
- اليهـود فكريـــاً .
- اليهـود روحيـاً : الهيكـــــل والمجـــــامع .
  الذبـائح والتقدمـات والنــذور .
  الأعيــــــــــــــاد .

- تعليق على الجانب الروحـى لإختيار شعب اللـه .

ثانياً : الأمــــــم

١ - الفلسفات والأساطير :

أ) الفلسفة اليونانية : - الأبيقوريـــــــــة .
- الرواقيــــــــــة .
- المانويـــــــــة .

ب) الأساطير الإغريقية والرومانية .

٢ - أديـــان الشـــرق : - البوذيـــــــــة .
- الكنفوشــــــــية .
- الشـــــــنتوية .
- الزرادشـــــــتية .

٣ - ديانــة المصريين القدمــاء .

- تعليق على الجانب الفكرى والروحـى للشعوب قبل المسيح .

العالم الفكرى والروحى قبل وإبّان عصر الرسل

كما لاحظنا أن العالم كان قد تهيأ سياسياً لإستقبال السيد المسيح بقيام الإمبراطورية الرومانية ، وكذلك فإنه بدراسة العالم فكرياً وروحياً ، قبل مجئ السيد المسيح ، فإننا نجد مدى تشوق العالم إلى التجسد الإلهى بالصورة التى تممها السيد المسيح ، رغم تباين الحالة الفكرية والروحية بين شعوب العالم .

والمعروف أن الفكر والروح فى الإنسان تتأثران بعدّة حقائق ، وكما سنرى فإن هذه الحقائق لا تجد شبعاً فى الإجابة عليها إلا بالإيمان بالسيد المسيح ، ولعل هذا ما عبّر عنه السيد المسيح بقوله : " من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة " يو ٨ : ١٢ .

على إن أهم الحقائق التى يتأثر بها الإنسان نراها فى الأمور الآتية : ـ

١ ـ الكون وحقيقتة ، الخليقة ومنشؤها ومصيرها ، والخلود من عدمه .

٢ ـ الصراع بين الخير والشر الكائن فى الإنسان .

٣ ـ الموت .

والعقل فى الإنسان يدفعه إلى فكرة الخلود ، والعقاب والثواب على الأعمال . أما الملكات الروحية فيه ومعرفة الخير والشر ، فقد أفرزت له أدياناً مختلفة وأظهرت له حقيقة الأخلاق ، وإن كان إرتباط الأخلاق بالدين يتذبذب حسب سلوك الشعوب ومعتقداتها .

أما أذا دخل للإنسان عنصر الإعلان الإلهى ، فتضحى هذه الحقائق غير خاضعة لإجتهاد الإنسان فكرياً أو روحياً . وعلى هذا يمكن تقسيم الشعوب قبل التجسد الإلهى فى المسيح إلى قسمين ، اليهود والأمم .

كان اليهود خاضعين للتوجيه الإلهى ، أما الأمم فقد خضعت للفكر الإنسانى وملكاته الروحية . أما العجيب حقاً أن يجد الإثنان فى المسيح ما تطلعوا إليه فكرياً وروحياً .

أولاً : اليهود

اليهود اجتماعياً :

كان اليهود شعب الله المختار ، صاحب المواعيد والإشتراع والعبادة والآباء والأنبياء والهيكل .

كان اليهود قبل مجئ السيد المسيح ، فى حالة اجتماعية تميل إلى الفقر ، كما يظهر من أمثلة السيد المسيح عن صديق نصف الليل الذى طلب الأرغفة من صديقه (لو ١١) ، ومثل الدرهم المفقود من الأرملة التى ظلت تفتش عنه باجتهاد (لو ١٥) ، والعمال البطالين حتى الساعة الحادية عشر (مت ٢٠) ، وفى مقابل ذلك قلة من الأغنياء كما فى مثل الغنى ولعازر (لو ١٢) .

ويظهر الخلل الإجتماعى من وجود اللصوص وقطاع الطرق كما فى مثل السامرى الصالح (لوقا ١٠) ، كما أن ضرائب الرومان قد أضافت إلى فقرهم بالإضافة إلى جشع العشارين .

ورغم تمسك اليهود بأرض الميعاد ، إلا أنه كانت لهم جاليات فى ولايات الإمبراطورية وهو الأمر الذى ساعد على أنتشار المسيحية فى الأيام الأولى وقد دُعى اليهود خارج أرض الميعاد **بيهود الشتات** . وعلى ذلك نجد أن والد بولس الرسول من كليكية بآسيا الصغرى ، ووالد مرقس الرسول من القيروان بشمال أفريقيا ، وبرنابا من قبرص . ولأن كثيرين من هؤلاء الذين فى الشتات تكلموا اليونانية فقد دُعيوا أيضاً باليونانيين (أع ١٣) .

وقد كانت لهم مجامع تجمعهم لإقامة الصلاة ، وبعض الطقوس دون تقديم الذبائح ، وهى التى لا تقدم إلا فى هيكل أورشليم .

وقد كان وجودهم بالخارج مصدراً لتعريف الأمم بإيمانهم ؛ مما حدا ببعض الأمميين للدخول فى الإيمان اليهودى ودُعيوا **بالدخلاء** .

ويبدوا أن الكتبة والفريسيين كانوا يشجعون انضمام الدخلاء لحظيرة اليهودية كما يظهر من قول السيد المسيح : " تطوفون البر والبحر لتكسبوا دخيلاً واحداً " مت ٢٣ : ١٥ .

وقد كان على الدخيل أن يُختتن حسب وصية موسى . أما الذين لم يعتنقوا اليهودية فقد دعيوا " **خائفى الله** " مثل كورنيليوس القائد الوثنى .

وقد كان لترجمة التوراة أيام بطليموس الثانى (٢٥٥ ـ ٢٤٦ ق.م) وسيلة لتعرف الأمم على الإيمان اليهودى .

وقد برز فى المجتمع اليهودى قبل السيد المسيح عدة طوائف : ـ

١ ـ **الفريسيون** : كان نتيجة الإحتلال الإغريقى هو ثورة المكابيين السياسية ، ولكنها أيضاً أدت إلى ظهور جماعة الأتقياء (الحسيديين) للحفاظ على التراث اليهودى ، فكانوا ضد الحرب أيام السبت ، وضد قيام رؤساء الكهنة من غير أولاد هارون ، والذين كان يعزلهم المحتلون . أدّى ذلك إلى ظهور طبقة الفريسيين أى المفرزين ، الذين تمسكوا بأهداب الناموس ، فميزهم الشعب وأجلّهم ، فأصابهم ذلك بالتعالى والتمادى بمظاهر التقوى الكاذبة والرياء .

٢ ـ **الكتبة** : كانوا كتبة الناموس من أيام عزرا ، وبالتالى صاروا خبراء بأحكامه ، وأصبحوا مُعلمى الناموس ، وإلتقوا مع الفريسيين فى الهدف والرياء ، ولهذا وبّخ السيد المسيح كُلاّ من الإثنين (مت ٢٣ : ٢) .

٣ ـ **الصدوقيون** : ويعود اسمهم ـ بصفتهم من الكهنة ـ إلى صادوق الكاهن ، وبسبب نفوذهم فى الهيكل كانت ضرائب الهيكل تصل إلى أيديهم فصاروا أغنياء ، وانصرفوا إلى حياة اللهو ، مما دفع الشعب إلى الإلتفاف حول الفريسيين والكتبة ، فناصب بعضهم البعض العداء . وقد كانوا يعارضون الناموس الغير مدوّن ، والذى تمادى فيه الفريسيون مما زاد الشقاق بينهم . كما أنهم لم يكونوا يعتقدون فى القيامة ، وهكذا سألوا السيد المسيح عن مصير الزوجة التى تزوجت سبعة اخوة (مت ٢٢) ، كما أنكروا حقيقة الملائكة والأرواح (أع ٢٣ : ٨) .

٤ ـ **الأسينيون** : وهم جماعة من اليهود الذين اعتزلوا الحياة المدنية بسبب فسادها ، وازدهرت هذه الجماعة فى القرن السابق للميلاد حتى خراب أورشليم سنة ٧٠م ، وأطلقوا على أنفسهم " جماعة الله " .

عاش الأسينيون حياة اشتراكية متمسكة بالناموس والأنبياء ، فكان لهم تأثيرهم على الحياة الدينية فى المجتمع اليهودى . وقد عُرف الكثير عنهم من آثار خرائب قمران قرب البحر الميت والمكتشفة سنة ١٩٤٨م .

٥ ـ السنهدريم : كان يُعتبر مجلس اليهود الأعلى ، ويتكون ما بين ٧٠ ، ٧٢ عضواً على حسب ما عيّن موسى فى سفر العدد ص ١١ .

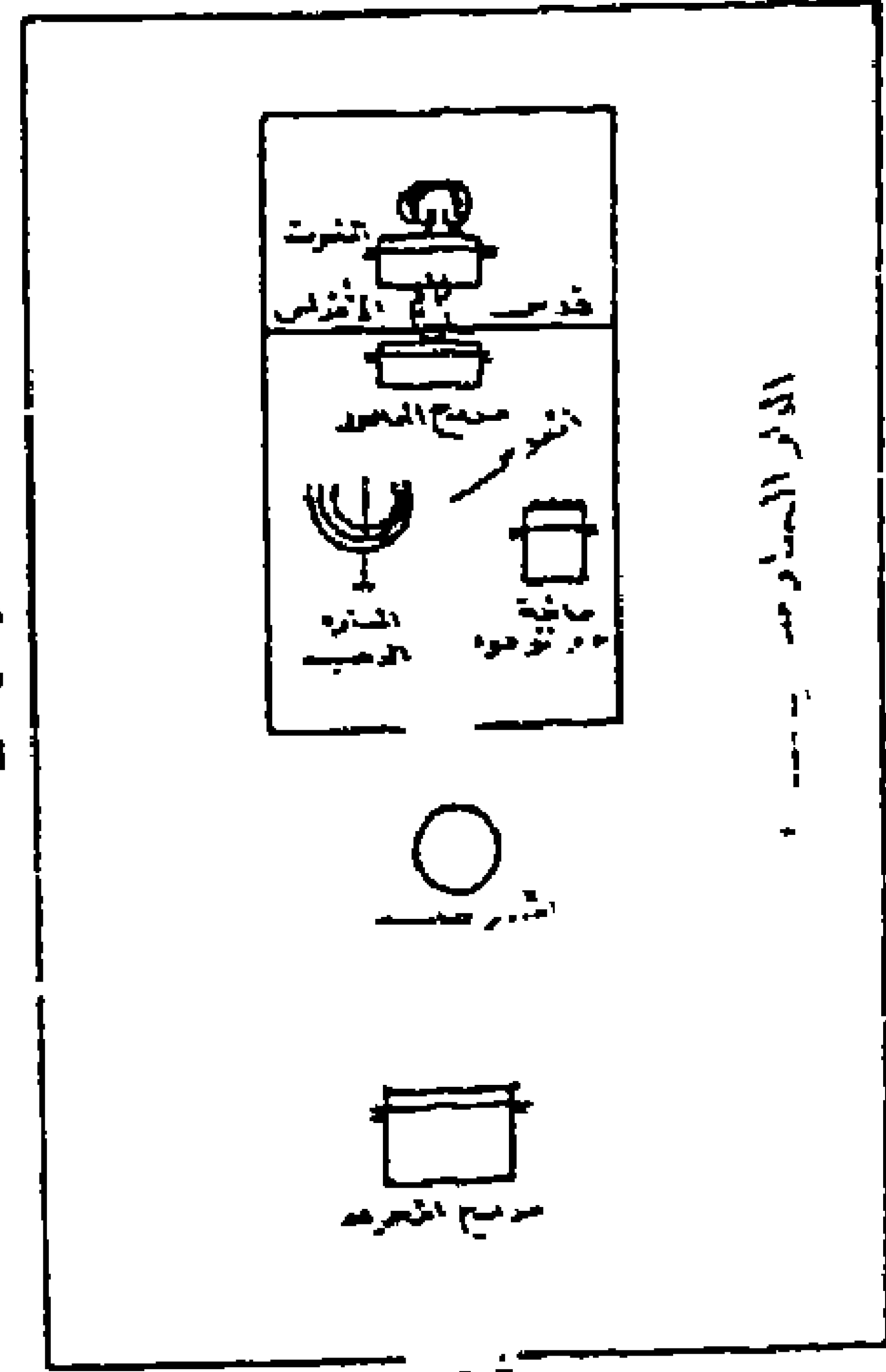
كان يتألف من رؤساء الفرق الكهنوتية الأربعة والعشرين ، ورؤساء الأسباط أى الشيوخ والكتبة وكان يرأسه رئيس الكهنة . وكان للمجلس سلطان القبض وحكم الأعدام ، وهو الذى سحبه منهم الاحتلال الرومانى ، وبهذا السلطان سعى بولس أى شاول للقبض على المسيحيين فى دمشق لتسليمهم إلى أورشليم .

اليهود فكرياً :

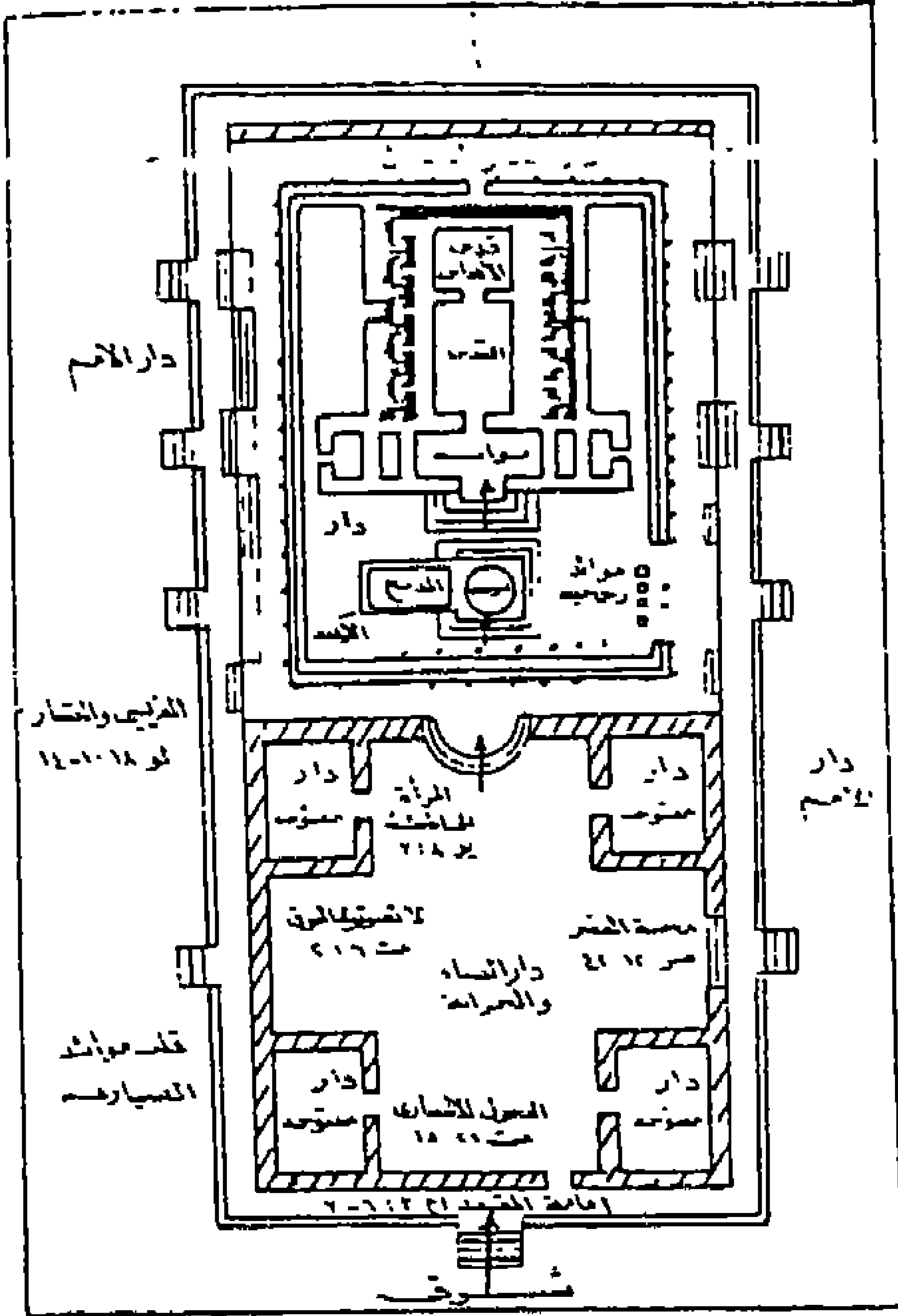
رغم أن اليهود كانوا مرتبطين بيهوه وأورشليم والهيكل ، إلا أن احتلالهم بالإغريق جعلهم يتأثرون بالفكر الهيلينى ، حتى أن أحد رؤساء الكهنة ويدعى ياسون فكّر أن يحول أورشليم إلى مدينه هيلينية ويغير اسمها إلى أنطاكية . ويذكر سفرى المكابيين انحراف بعض الكهنة وتأديتهم العاباً هيلينية .

اليهود روحياً : (٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٧٥)

كانت الحياة الروحية لليهود تتركز على العبادة فى الهيكل من ذبائح وتقدمات يقابلها خارج أورشليم المجامع اليهودية ، كما كانت الأعياد تمثل أحد الظواهر الرئيسية فى الحياة الروحية لليهود .



خيمة الاجتماع ، وأماكن إقامة الأسباط
حول الخيمة (خر ٢٥ـ٢٧)



النظام الداخلى لهيكل أورشليم

منظر الخيمة والهيكل

أولاً : الهيكل والمجامع

أ ـ الهيكل : أقام الهيكل الملك سليمان بعد أن أعدّ له أبوه داود الملك أدوات البناء (١مل ٦ : ١) . وقد بنى الهيكل على غرار خيمة الإجتماع التى أوصى بها الله موسى لبنائها وأعطاه أوصافها .

وهنا يضيق المقام لشرح كل الأهداف الروحية وراء هذا البناء ومحتوياته ، وقد يظهر بعض من هذه المعانى فى شرح الذبائح والتقدمات .

أقيم الهيكل فى أورشليم ، مدينة الملك ، وكان على كل ذكر أن يظهر أمام الله فى أورشليم ثلاث مرات فى السنة فى أعياد الفصح والحصاد والمظال (خر ٣٤ : ٢٣ ، مت ١٦ : ٦) .

ب ـ **المجامع** : كما رأينا ، فإن الهيكل هو المكان الذى تقدم فيه الذبائح والتقدمات فقط ، وأما بقية المدن فكان يقام فيها ما يدعى بالمجامع ، تُتلى فيها الصلوات ، وتجمع الصدقات ويتم الختان ، ولكن لا يقدم فيها ذبائح أو تقدمات . وكما ذكرنا فقد كان هناك مجامع أيضاً خارجاً في بلاد الأمم فى أماكن التجمعات اليهودية .

ثانياً : الذبائح والتقدمات والنذور

أ ـ **الذبائح** : كانت الذبائح تقدم من الحيوانات الطاهرة كما علّم الله موسى (تث ١٤) . وكانت تُفحص لتكون بلا عيب ، وكان يقدم أيضاً على المذبح تقدمات الدقيق أو العجين ، الملح ، اللبان ، الزيت والخمر ، ولا يخفى المعانى الروحية وراء كل هذه الأمور . وكان للذبائح والتقدمات مواعيد ثابتة ، هذا عدا الذبائح التى تقدم للتكفير عن الخطايا والآثام : ـ

ـ كان هناك ذبيحة وتقدمة يومية صباحاً ومساءً (خر ٢٩ : ٣٨ ـ ٤٥ ، عد ٢٨ : ١ ـ ٧)

ـ وكان يوم السبت له تقدمة خاصة (عد ٢٨ : ٩ ـ ١٠) .

ـ وكذلك رؤوس الشهور (عد ٢٨ : ١١ ـ ١٥) .

ـ وأعياد الفصح (عد ٢٨ : ١٦ ـ ٢٥) .

ـ والمظال (عد ٢٩ : ١٢ ـ ٣٩) .

ـ والأبواق (عد ٢٩ : ١ ـ ٦) .

ـ والكفارة (عد ٢٩ : ١١ ـ ٢٧) .

كانت الذبائح لأهداف محدودة ، ويختلف طقسها حسب الهدف منها ، وأحياناً حسب شخص مقدمها على النحو التالى : ـ

١ ـ **ذبيحة المُحرَّقة** : وتقدم من ذكر البقر أو الغنم أو الطير وتحرق بأكملها ويخرج رمادها خارج المحلة (لا ١ : ١ ـ ١٧ ، لا ٦ : ٨ ـ ١٢ ، لا ٧ : ٨) .

٢ ـ **ذبيحة السلامة والشكر** : وكانت تقدم من البقر أو الغنم أو الماعز ذكراً أو أنثى ، ويحرق شحمها ، ويعطى للكاهن الصدر والساق اليمنى ، ويأكل منها مقدمها ، ولا تبقى لليوم التالى وإلاّ تحرق (لا ٣ : ١ ـ ١٧ ، لا ٧ : ١١ ـ ٢١ ، لا ١٩ : ٥ ـ ٨) .

٣ ـ **ذبيحة الخطية** : وهذه إن قُدمت عن الكاهن أو الشعب كله فإنه يُنضح من دمها سبع مرات أمام الرب لدى حجاب القدس ثم على قرون مذبح البخور العطر فى خيمة الإجتماع. أما إن كانت مقدمة عن رئيس أو عامة الشعب فلا يدخل دمها إلى القدس بل يُجعل على قرون مذبح المحرقة ويُصب الدم إلى أسفل مذبح المحرقة خارج خيمة الإجتماع ، ويحرق شحم الذبيحة ويعطى اللحم الكاهن (لا ٤ : ١ ـ ٣٥ ، لا ٦ : ٢٤ ـ ٣٠) .

٤ ـ **ذبيحة الإثم** : كانت تقدم من أنثى الأغنام " أو يمام أو حمام " ، ويُرش الدم مستديراً حول المذبح ، وشريعتها تشبه شريعة الخطية (لا ٥ : ١ ، لا ٦ : ٦) . وكان هناك ذبيحة إثم لكل من أخطأ سهواً من أقداس الرب ، أو أحد مناهى الرب ، أو من خان خيانه أو سلب أو اغتصب قريبه ، أو حلف كذباً .

٥ ـ **ذبيحة القربان** : وكانت تقدم من دقيق أو فطير مخبوز ويوضع عليه زيت ولبان ويخلو من الخمير أو العسل ولكن يُملّح . وكان يحرق منه على مذبح المحرقة والباقى يعطى للكاهن (لا ٢ : ١ ـ ٣ ، لا ٦ : ١٤ ـ ١٨ ، لا ٧ : ٩ ـ ١٠) .

كما كان هناك أيضاً ذبائح خاصة تقدم لتقديس الكهنة والنذير ، وللتطهير من الولاده أو البرص أو السيل وتطهير النجاسة (كمن مسّ ميت) ، وكانت تقدم أيضاً ذبائح الباكورات ، هذا عدا الذبائح الخاصة بالأعياد .

ب ـ **التقدمات** : كان هناك تقديم أبكار الحيوانات (خر ١٣ : ٢٢ ـ ٣٠) ، (لا ٢٧ : ٢٦ ـ ٢٧) ، أوائل الحصاد (لا ٢٣ : ١٠) وعُشر الأرض من الحبوب وثمار الشجر (لا ٢٧ : ٣٠) وذبائح السلامة والخطية عن الشعب .

جـ ـ **النذور** : وهى غير ما يقدم عن الأبكار . وكان يقدم فضة عن الإنسان النذير ، كما كان يقدم نذور أيضاً من البهائم (أو فكاك البهائم إذا كانت نجسة مما لايُقدم قرباناً) وكذلك البيوت والحقول ، ويضاف قيمة الخُمس على تقويمها عند فكاكها (لاويين اصحاح ٢٧) .

ثالثاً : الأعياد

كانت الأعياد اليهودية على النحو التالى : ـ

١ ـ **عيد الفصح والفطير** : وكانا يقاما فى شهر أبيب الذى يعتبر رأس الشهور ، وفى عيد الفصح يأخذ كل بيت (أو البيت مع جاره أن لم يكن كفواً) ، فى اليوم العاشر شاة ذكر صحيحة ابن سنة ، ويحفظ حتى اليوم الرابع عشر ويشوى بالنار فريضة أبدية ويؤكل على أعشاب مرة ولا يبقى للصباح .

أما عيد الفطير فيبدأ مساء اليوم الرابع عشر من الشهر حتى الحادى والعشرين ، سبعة أيام يأكلون فطيراً ويُعزل الخمير (خر ١٢ : ١ ـ ٢٥ ، ١٣ : ٦ ، ٢٣ : ١٤ ، ٣٤ : ١٨) وأيضاً (لا ٢٣ : ٦) . أما الذبائح التى تقدم فى العيد فمدوّنه فى (عدد ٢٨ : ١٧) .

٢ ـ **عيد الحصاد** : (عيد الأسابيع) وهو عيد حصاد الحنطة ، ويقام بعد سبعة أسابيع من تقديم أول حزمة حصاد (خر ٣٤ : ٢٢) ، (عد ٢٥ : ٢٦ ـ ٣١) ، والذبائح التى تقدم فيه مدوّنة فى (لا ٢٣ : ٩ ـ ٢٢) .

٣ ـ **عيد المظال** : وكان يقام فى الخامس عشر من الشهر السابع ولمدة سبعة أيام ، وفى اليوم الثامن محفل مقدس ، وتكون المظال من سعف النخل وأغصان الشجر والصفصاف (خر ٢٣ : ١٦) ، (لا ٢٣ : ٣٤ ـ ٤٣)، والذبائح التى تقدم فيه مدوّنة فى (عدد ٢٩ : ١٢) وكما ذكرنا سابقاً فإن أعياد الفصح والحصاد والمظال لابد لكل ذكر فوق ١٢ سنة أن يظهر فيها أمام الله فى أورشليم .

٤ ـ **عيد الأبواق** : ويقام فى اليوم الأول من الشهر السابع الذى يقام فيه عيدى الكفارة والمظال (عد ٢٩ : ١ ـ ٦) .

٥ ـ **يوم الكفارة** : ويقام فى اليوم العاشر من الشهر السابع (عد ٢٩ : ٧ ـ ١١) .

تعليق على الجانب الروحى لإختيار شعب اليهود :

إذا أردنا أن ندرك الأبعاد الروحية لإختيار شعب اليهود ومقاصد الله منه فيمكننا تفهمها من بعض العبارات فى العهد القديم كما يلى : -

- " فتعلمون إنى أنا الرب " (خر ١٠ : ٢)
- " سبوتى تحفظونها علامة بينى وبينكم لتعلموا إنى أنا الرب الذى يقدسكم " خر ٣١ : ١٣
- " الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون " (خر ١٤ : ١٤)
- " لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا " (خر ٢٠ : ٢٠)
- " فيصنعون لى مقدساً لأسكن فى وسطهم " (خر ٢٥ : ٨)
- " فتتقدسون وتكونون قديسين لأنى أنا الرب الهكم ، وتحفظون فرائضى وتعملونها أنا الرب مقدسكم " (لا ٢٠ : ٧ - ٨)
- "وتكونون لى قديسين لأنى قدوس أنا الرب وقد ميزتكم من الشعوب لتكونوا لى" (لا ٢٠ : ٢٦)
- " أكون لكم إلهاً وتكونون لى شعباً " (لا ٢٦ : ١٢)
- " إذا قام فى وسطك نبى أو حالم حلماً وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التى كلمك عنها قائلاً تذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها وتعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب الهكم يمتحنكم لكى يعلم هل تحبون الرب من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم " (تث ١٣ : ١ - ٣)
- " أنتم أولاد الرب الهكم " (تث ١٤ : ١)
- " يقيم لك الرب الهك نبياً من وسط شعبك من اخوتك مثلى له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب فى يوم الإجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهى ولا أرى هذه النار العظيمة لئلا أموت قال الرب قد أحسنوا فيما تكلموا ، أقيم لك نبياً من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبهُ " تث ١٨ : ١٥ - ١٩ .

ولعلنا الآن نستشف مقاصد الله من شعب إسرائيل لنخرج منها بالمعانى الآتية : -
الله الذى اختار شعب بنى إسرائيل وميزه هو الذى أعد له شعباً من المُختارين ، والله الذى أنقذ بنى إسرائيل من عبودية مصر هو الذى أنقذ مختاريه من عبودية العالم ، ودم الخروف الذى أنقذهم من الملاك المهلك هو دم السيد المسيح على الصليب ، والهروب وغرق فرعون فى البحر هو سحق الشيطان فى المعمودية ونجاة الإنسان ، وأورشليم السمائية هى مسكن الله الملك مع الناس ، والخيمة والهيكل هما الكنيسة ، وميراث إسرائيل فى الأرض التى منحها لهم الله هى ملكوت السموات ، والذبائح فى مجموعها هى أبعاد ذبيحة السيد المسيح ، والأعياد هى شرح لعمل الخلاص .

ثانياً : الأمـــم

كانت قصة اليهود هى الجانب المعلن من التخطيط الإلهى للإعداد للتجسد الإلهى ، وبقى الجانب الآخر الذى أظهر فيه الإنسان عجزه بفكره وفلسفته للوصول إلى معرفة الله الحقيقية ، وهكذا من خلال اليهود والأمم بات واضحاً احتياج الإنسان للتجسد الإلهى ، خاصة وأن ميول الإنسان الروحية وقد أفرخت له أدياناً مختلفة ، صارت أيضاً فى مجموعها - رغم الأرتقاء إلى معان روحية سامية - اظهاراً لحاجة الإنسان المُلِحّة أن يعلن الله عن ذاته بالتجسد ليتعرف الإنسان عليه .

لقد عجز اذكاء الفكر بالفلسفة أن يصل إلى معرفة الله، ولكنها أفادت فى احاطة الإنسان بجوانب كثيرة عن الحقائق الإلهية . وبالمثل عجز اذكاء الروح عن طريق اذلال الجسد . - كما اتبعته الديانات البوذية والهندوسية - أن يصل الإنسان إلى إشباع تطلعاته الروحية ، حيث أن العقبة الحقيقية ليست هى الجسد المادى للإنسان ، بل ضرورة اعلان الله عن ذاته للإنسان .

أما عن الفكر الدينى المصرى القديم ، فقد تميز بعبادة إله لهذا الكون ، لكنه رآه يبتعد كثيراً عن متناول الإنسان ، وهنا يحاول البشر الإقتراب إليه عن طريق الهة مختلفة تربطه به ، مما يوجب علينا دراسة هذا الفكر كإحدى محاولات الإنسان الدؤوبة للوصول إلى معرفة الله الحقيقة دون تدخل من جانب الله ليعلن ذاته للإنسان .

١ - الفلسفات والأساطير :

أ) **الفلسفة اليونانية** (٣١) : بدأت الفلسفة فى القرن السادس قبل الميلاد ، وتبلور فكرها فى القرن السابق مباشرة لميلاد السيد المسيح .

اتجهت الفلسفة فى بداية عهدها إلى البحث فى الوجود ، ومن هنا دعيت **الفلسفة الطبيعية**.
نظر طاليس (٦٢٤ - ٥٤٧ ق.م) إلى الطبيعة ككائن حى ، وإن الروح الحالة فى كل شئ هى سبب الحركة .

أما تلميذه انكسمندريس فقال إن العلة المادية والعنصر الأول للأشياء ليس شيئاً من العناصر المألوفة مثل الماء ، بل مادة مختلفة عنها لا نهاية لها ، ومنها تنشأ جميع السموات والعوالم ، واللانهائى دائم أزلى وخالد لايفنى .

أما فكر تلميذه أنكسمينوس (٥٨٨ ـ ٥٢٥ ق.م) هو إن المادة الأساسية للكون هى الهواء وهو سبب الحياة ، ثم تلاه هيراقليطس (٥٤٤ ـ ٤٨٣ ق.م) بقوله أن الأشياء تتغير فى الوجود إلا قانون التغيير نفسه ، الذى هو حكمة الكون (أو ما يُدعى اللوغوس) ومثّلها فى أجلى صورها بالنار العاقلة .

ثم انتقلت الفلسفة الطبيعية إلى الفلسفة التصوفية ، التى استوحت مبادئها من الديانة الأوليمبية فى اسطورة جعلت من الطبيعة البشرية مزيجاً من عنصرين إلهيين أحدهما للشر والآخر للخير واعتقدت بتناسخ الأرواح ، ثم نادى انكساجوراس (٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق.م) أن العقل الكونى هو أنقى الأشياء ، عالم بكل شئ ، فائق القدرة ، مطلق .

أما ديموقريطس (٤٦٠ ـ ٣٧٠ ق.م) فنادى بأنه نسبى ، ودعا فيثاغورس بالعلم والفلسفة لتطهير الروح بدلاً من الطقوس الشكلية . ودعا بارمنيدس إلى تطهير الروح بالمنطق ، ووصل فكره إلى أن الوجود هو الله ، وأنه ليس له بداية ولا نهاية ، وكان أول من أعتقد بوجود صلة بين الفكر والوجود .

انتقلت الفلسفة بعد ذلك الى ما يوصف بالفلسفة الإنسانية " أو السفسطائية " التى تطرقت إلى المبادئ الأخلاقية ، وجعلتها خاضعة لقانون التغيير فأصبحت مسألة نسبية . قال بروتاجوراس (٤٨٠ ـ ٤١٠ ق.م) أنه لا يُجزم بوجود إله من عدمه ، وأن هناك عوائق كثيرة تحول دون الوصول إلى المعرفة الصحيحة . وتلاه جورجياس الذى أوسع دائرة الشك ، وفصل العقل عن المحسوسات وقال عنه أنه خادع لأنه غير محسوس وأن الحواس هى مصدر المعرفة .

ثم انتهت الفلسفة اليونانية إلى فلسفة العقل التى بعكس السوفسطائيين ـ جعلت العقل مصدر المعرفة الحقة ، وجعلت للأخلاق مبادئ مطلقة ، وأن الخير والشر والجمال والقبح هى أمور مطلقة ، لا تقبل التغير حسب الزمان والمكان .



صورة للفيلسوف اليونانى سقراط

نادى سقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م) بأن الإنسان مُركب من عنصرين الجسد والروح ، وأن الروح هى مركز النشاط العقلى والأخلاقى .

ثم طوّر أفلاطون الفكرة (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) ، أن الكائنات نوعان : حقيقية أطلق عليها المثل ، وأخرى تبدو حقيقية أسماها الصور ، والصور تتغير فى اتجاه المثل وليس بمقدورها التطابق . والله عند أفلاطون صانع وليس بخالق ، صنع العالم كصورة متحركة تجاه الأزلية ، وقال أن الله صنع الروح الإنسانية خالدة لا تفسد ، وأنها تتكون من ثلاثة أجزاء العقل والعاطفة والشهوة . وجعل أفلاطون من الدولة صورة مكبرة من الفرد ، وبتناسق الأمور الثلاثة يحصل الفرد على السعادة ، ويحصل المجتمع على العدالة .

ثم أتى أرسطو (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م) وقال أن الخير هو السعادة ، والسعادة الحقيقية هى الحياة العقلية ، حياة المعرفة والعلم والفلسفة ، وأن حياة التأمل هى حياة الإله نفسه ، أنها تفكير يُدرك به الله ذاته . والسعادة المتزنة فى رأى أرسطو تجمع بين الحياة العقلية والتأملية ، أما الفضائل الأخلاقية فلا تعدو أن تكون أوساط الأمور فى الحياة ، لا افراط فى شئ نتحاشاه ولا تفريط فى شئ يجب اقتناؤه . وقد كان أرسطو معلم الإسكندر الأكبر .

بعد ذلك نسمع عن **الفلسفة الأبيقورية** [٣٠] وهـى فلسـفة مادية بطلها أبيقـور (٣٤٢ ـ ٢٧٠ ق.م) الذى نظر إلى الخير أنه اللذة ، والشر هو الألـم ، وأن أكثر ما يؤلم الإنسان هو الإيمان بآلهة ! ، والخوف من الموت ، وهكذا خلت الأبيقورية من الخلود ودافـع الخـير أى " نأكل ونشرب لأننا غداً نموت " .

أمـا **الفلسـفة الرواقيـة** [٣٠] وبطلهـا زينـون (٣٣٥ ـ ٢٦٤ ق.م) والتـى ارتقـت عنـد الرومان أكثر من الإغريق [*] ، فقد تقاربت فيها الفلسفة مع الدين ، والإيمان بإله واحد .

لقد وصلت الفلسفة الرواقية إلى أن أصل الخليقة هو اللوغوس ، وهو روح العـالم الحـى وعقله ، وأن العقل البشرى هو جزء من اللوغوس ، وأنها هبة أن يكون الإنسان ابنـاً للـه ، وإذا فارقت الإنسان روحه فهى تعود وتمتزج بالنار الفاعلة العاملـة التـى تبعـث الحيـاة فـى العالم . والسعادة فى الرواقية هى إزالة الإضطراب الناشئ عن شعور النقص فـى شـرف أو نبل أو رغبات لا يمكن تحقيقها ، وأن الحكمة والفضيلة هى أن نعتبر مـا هـو خـير فيمـا يقع تحت أيدينا ، ويتساوى عندنا ما لا يمكننا امتلاكه من ثـروة أو مجـد أو جمـال . وعلـى هذا فالرواقية هى عقيدة الأقوياء وأصفياء النفوس .

أما **الفلسفة المانوية** وبطلها مانى الفارسى ، فقد اعتبرت أن جسد الإنسان هو شر .

وحين اكتشـفت الفلسـفة حقيقـة جفافهـا فـى إشـباع روح الإنسـان ، مـالت إلـى التصـوف خاصة بعد اندمـاج الشـرق مـع الإغريـق والرومـان فـى دولـة واحـدة ، وهـو مـا نتـج عنـه الغنوسية ، والتى صارت عقبة فى أيام المسيحية الأولى كما سنرى فيما بعد .

هكذا تعكس الفلسفة اليونانية تطور الفكر الإنسانى تجاه الله وحقيقتة حتـى وصلـت إلـى توحيده ، وخلوده ، وعمله فى الخلق وإرتباط الإنسان به ، ولكن إن كانت الفلسفة هى غذاء المفكرين ، فالأساطير هى غذاء الشـعوب ، حيـث يتـأثر الإنسـان بـالمؤثرات الطبيعيـة مـن شمس وقمر ونجوم ، وثورات للطبيعة من بحـور وأنهـار وريـاح ، ومـوارد للغـذاء وثمـار الأرض ، ومحاولة لتفاديه المـرض والمـوت ، وتـأثره بقـوى الضمـير والشـهوات ، وعـالم الغيب والقدر ، وهكذا تنسج الشعوب حسب حضارتها وظروفها ، أساطيرها وآلهتها .

(*) ذكرت فى سفر الأعمال الإصحاح ١٧ عندما تقابل معهم بولس الرسول فى أثينا .

ب ـ الأساطير الإغريقية والرومانية (٤٠) :

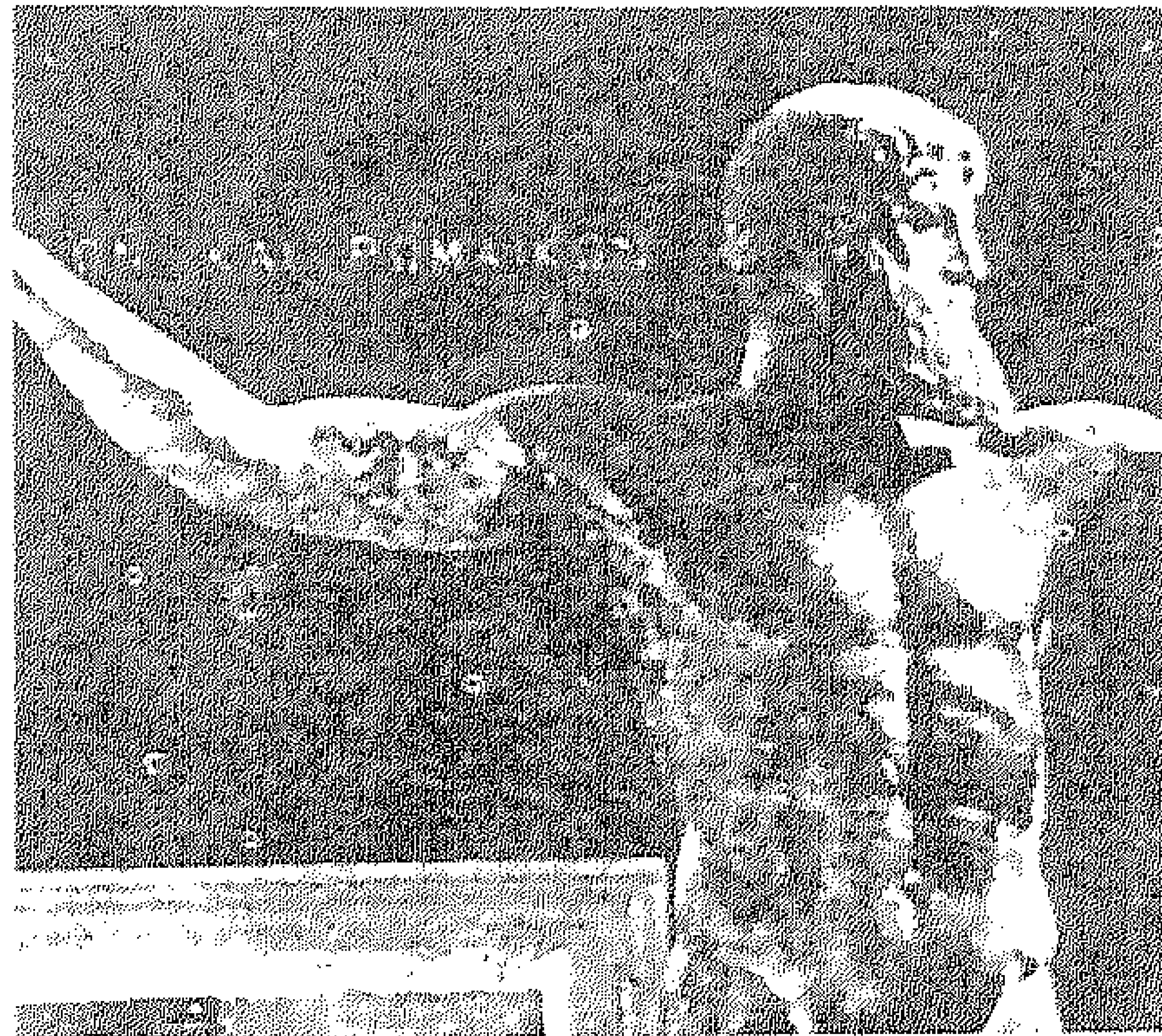
الإنسان يمتلك سمات روحية ، وهذه أفرزت للإغريق والرومان نسيجاً اسطورياً للآلهة بالصورة الأتية :

كان الخاوس Chaos هو حالة العالم الأزلية البدائية ، هى مادة موجودة أبد الأباد ، آلهة بدائية ولكنها قادرة على الإخصاب . أنجبت أولاً الليل لإعتقاد الناس دائماً أن الليل سبق للأشياء كلها ، فآلهة الظلمات هى أم الآلهة . ثم أنجب الخاوس الإرب The Erébe وهو أبو الأثير والنهار . هذا الإنجاب هو بفضل قوة إلهية أبدية كعناصر الخاوس نفسه ، يستحيل التعبير عنها وتدعى الإيروس Eros ، هو إلهة الاتحاد والمُصاهرة بين المخلوقات كلها ، ولا يستطيع إنسان التخلص من سلطانها .

كان الأثير أو النهار هو تزاوج الإرب وآلهة الليل . ودعى الإغريق آلهة الليل " إيفرونيا " ودعاها الرومان إلهاً اسمه نوكتورنوس Nocturnus ثم أنجبت آلهة الليل آلهة أخرى دون أن تجتمع بإله آخر ، ودُعى هذا الإله القدر Destin الذى تقع السموات والبحر والدار الأخرة تحت سلطانه ، وكانت سُننه مدونة أبد الآباد .

تزوجت الأرض (وتدعى بالإغريقية Gaia) من " أورانس " أو السماء ابن الأثير والنهار ، فأنجبا آلهة أخرى كثيرة من بينها " ساتورن " ويدعى بالإغريقية خرونوس Cronos التى تعنى الزمن .

زفس (جوبتر) وهو يرمي الصاعقة



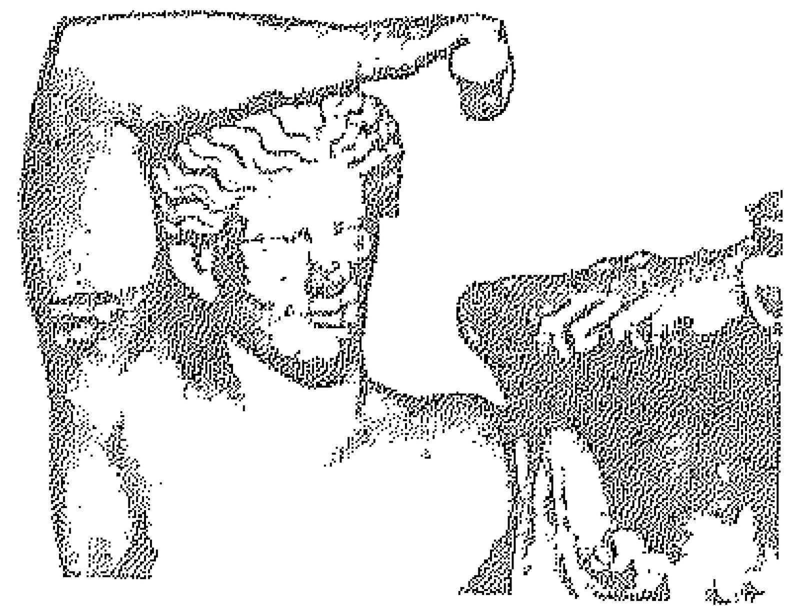
صورة للإله جوبتر

كان خرونوس إلهاً يأكل أطفاله (اشارة إلى الزمن) ولكن ابنه " جوبتر " أنقذ من فمه وهو الذى وُلِدَ من الإلهة ريا Rhéa " أو كيبيل Cybéle " والتى أعتبرت أم الآلهة ، كما أنجبا " فستا " إلهة النار " وكيريس " إلهة الحصاد .

ومنذ عهد جوبتر " وبالإغريقية زيوس Zeus " فإن الشخصيات الآلهية أضحت أكثر تمييزاً عن ذى قبل ، بعد أن كان لبعض الآلهة أسماء مختلفة .

أما القبة السماوية فإنها تحمل ذلك القصر الغامض ، قصر السيد المطلق أبى الآلهة والبشر الأوليمبوس أو الأمبيريا ، ويشرف منه جوبتر على أحداث العالم وتطوراته ويرقب الشعوب ، ويحقق مطالب الناس ، ويشهد منازعاتهم ويتعقب المذنبين ويحمى الأبرياء ، ويدعو سائر الآلهة للإجتماع فى بلاطه الأوليمبى .

وأطلق الشعراء على أعلى جبل فى بلاد الإغريق جبل أوليمبوس ، وأطلقوا لقب الأوليمبيين على الأثنى عشر إلهاً الرئيسيين ومنهم نبتون وبلوتون ومارس وفستا ومنيرفا وكيريس وديانا وفينوس .



أبولو



ديانا (أو أرطاميس)



بوسيدون (أو نبتون)



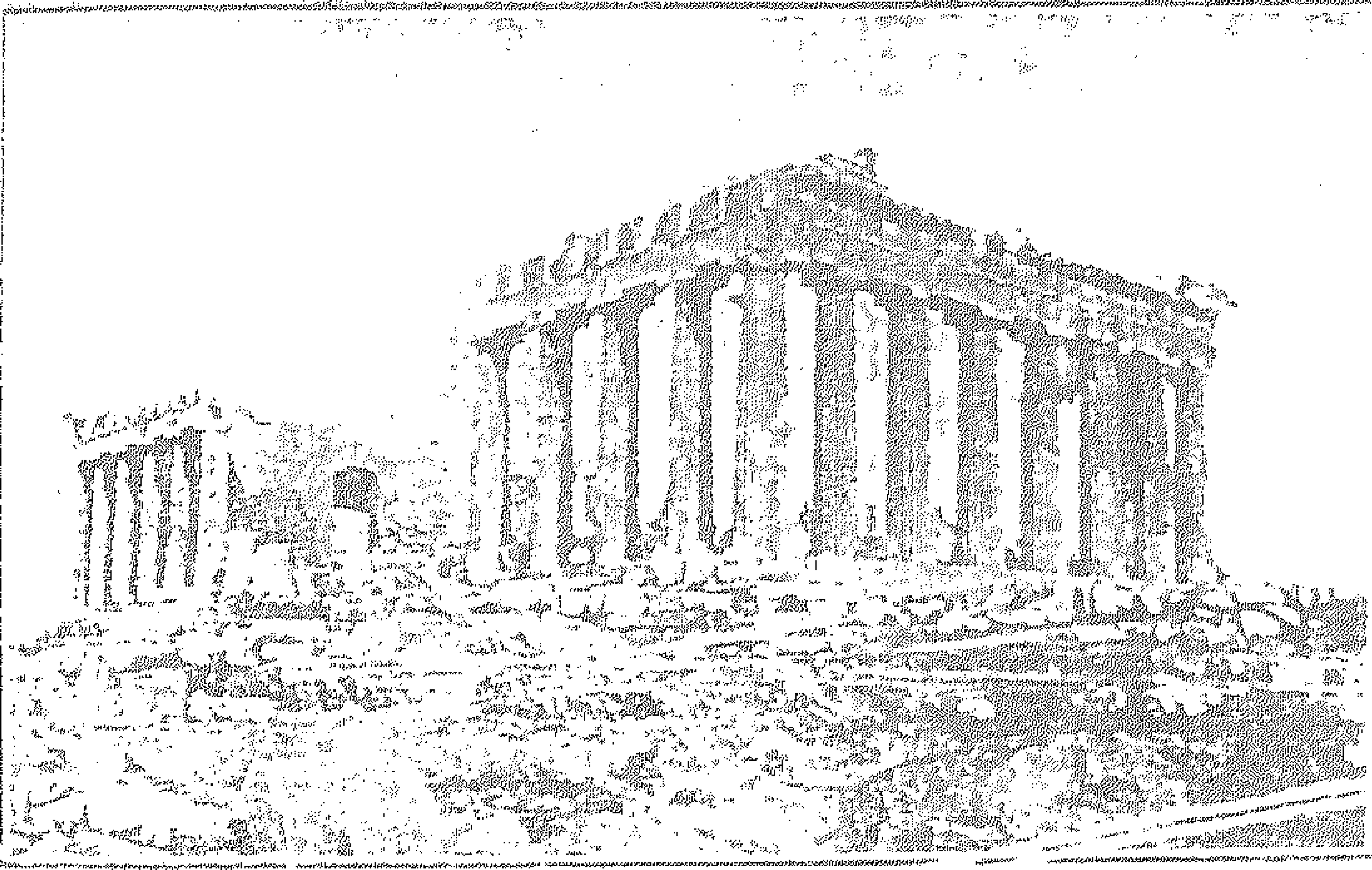


أفروديت (أو فينوس)

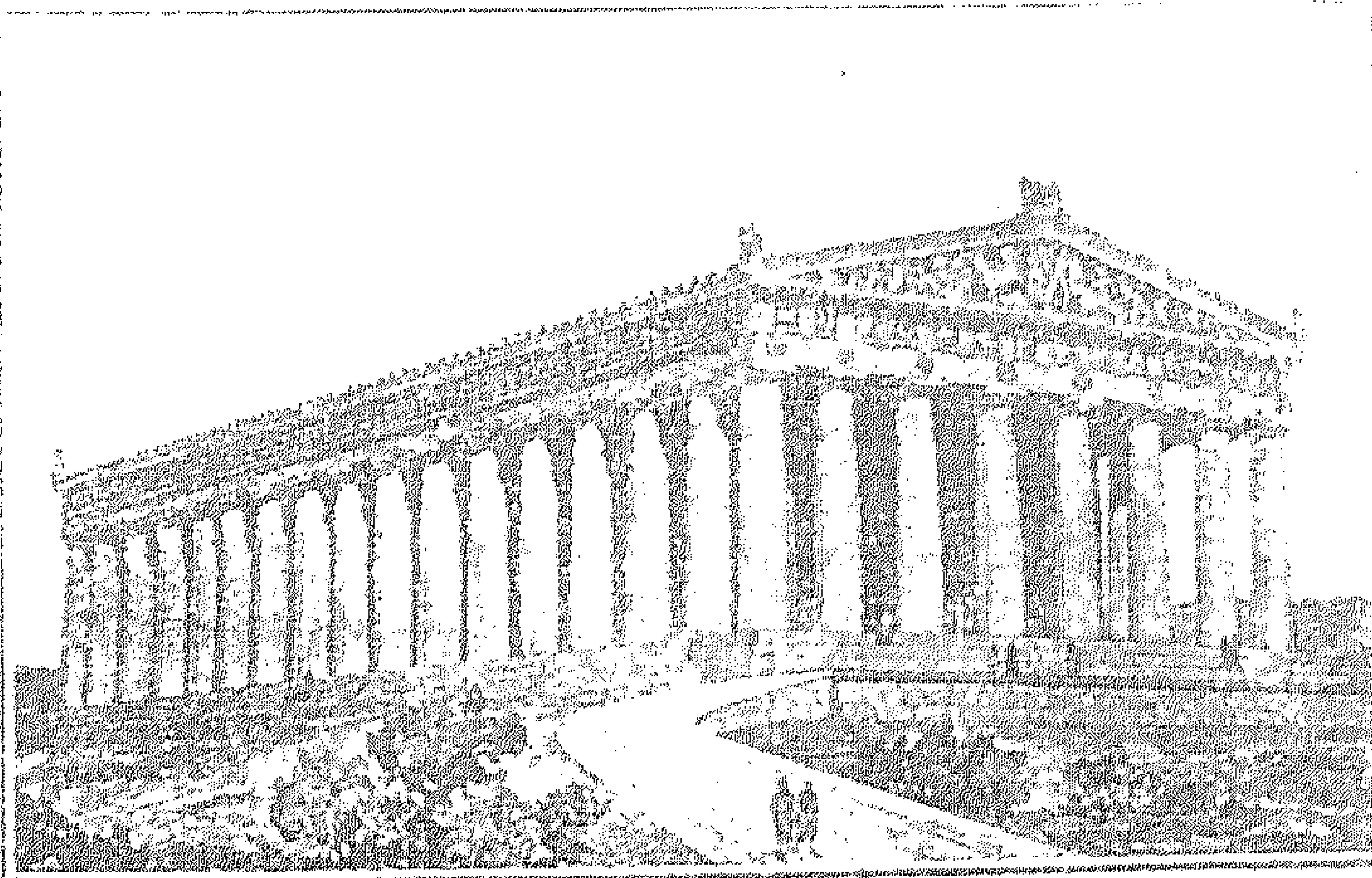
كانت السماء لجوبتر والبحر لنبتون والجحيم لبلوتون . تزوج جوبتر من جينــون Junon (وبالإغريقية Héra) وهى ابنة ساتورن وريـا وأخـت جوبـتر . كـانت المشـاحنات بينهما تمثل قلاقل الهواء والسماء واضـطراباتها .

بعض آلهة الإغريق والرومان :

ـ منيرفا Minerva (وعنـد الإغريـق Athéne أثينـا) : هـى ابنـة جوبـتر ، وهـى آلهة الحكمة والحرب والعلوم والفنون . كانت تمنح روح البنـوة ، وتطيـل أعمـار النـاس وتهب السعادة بعد الموت. كانت عذراء وأطلق اسمها على مدينة أثينا وأقيم لها معبد " البارثيون " المشهور أى معبد العذراء .

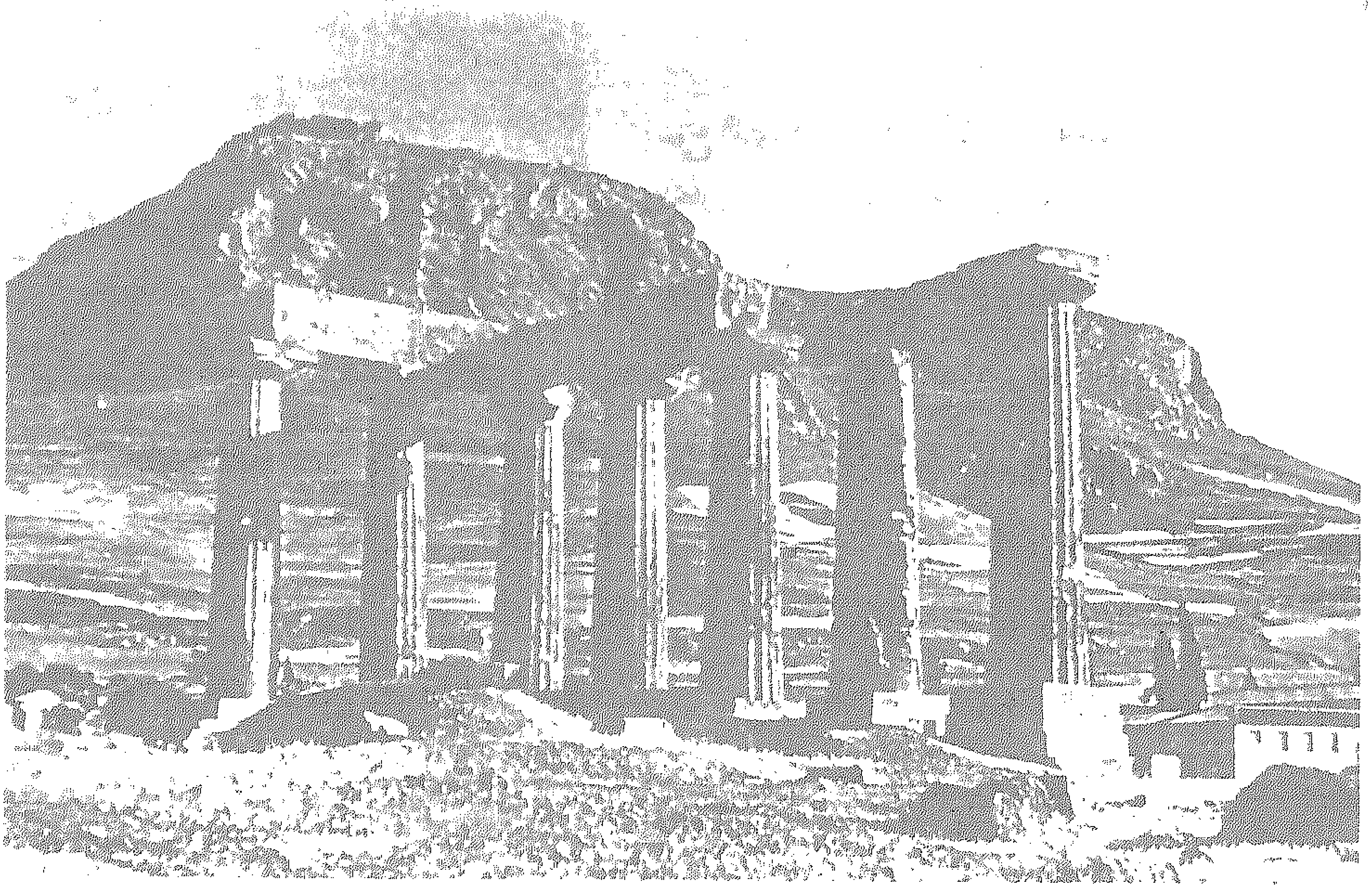


البارثيون فى حالته الراهنة



البارثيون كما كان

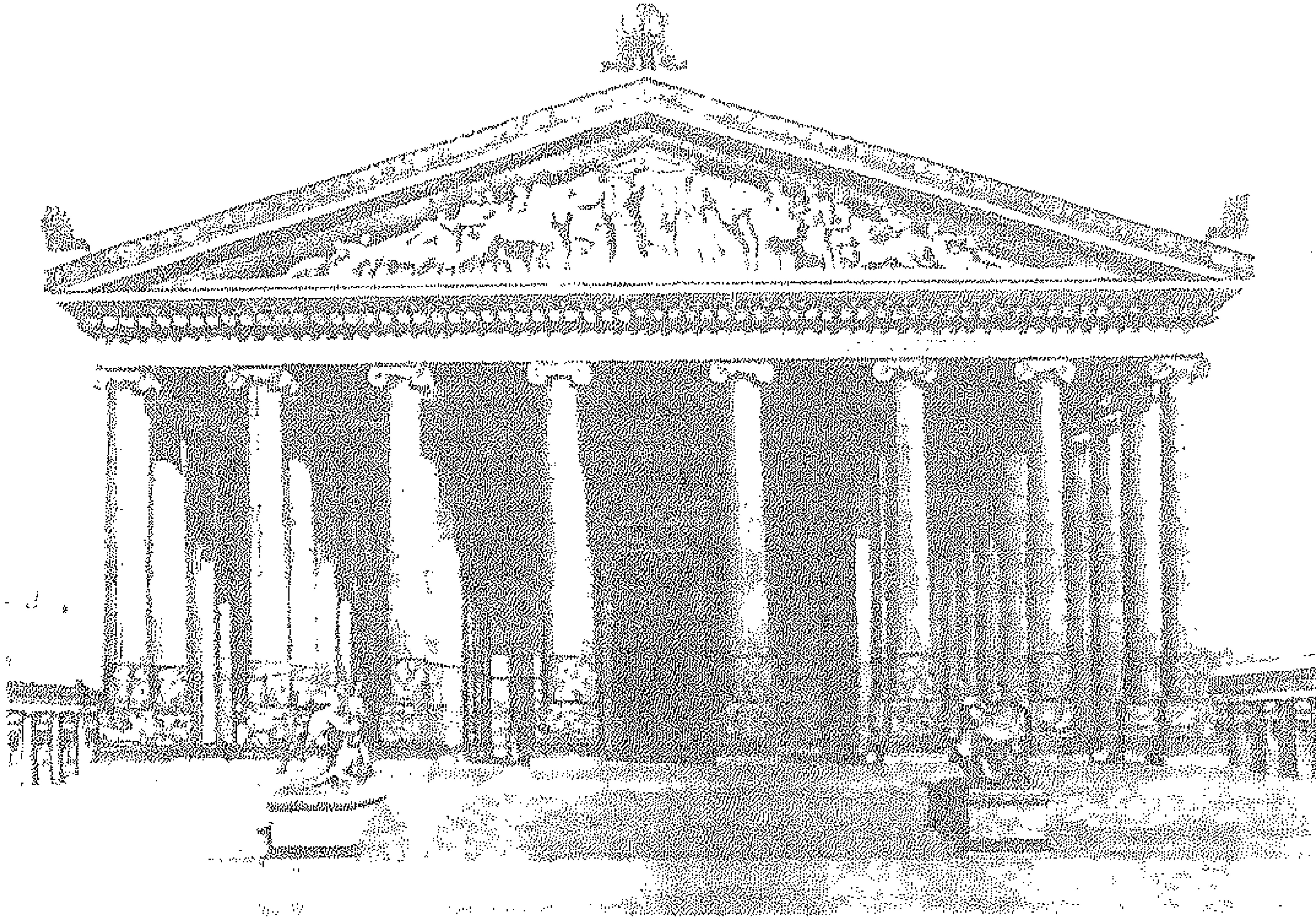
ـ فستا Vesta (وبالإغريقية هستيا Hestia) : هى آلهة النار أو النار نفسها ، وهى عذراء وكان معبدها خال من التماثيل ، وفى وسطه مذبح للضحايا تشتعل عليه النار المقدسة ، ويتولى رعايتها فتيات عذراوات .



كورنثوس : هيكل ابولو

منظر هيكل أبوللو

ـ أبوللو Apollon (أو فيبوس Phebus) : ومعناه الشمس ، وهو ابن جوبتر ولاتونا وأخو ديانا التوأم . هو إله الموسيقى والشعر والفصاحة والطب والفنون ، وكان مقره فى دلفى . اعتقد الإمبراطور أوغسطس أنه مدين لأبوللو فى انتصاره بموقعة أكتيوم فأقام فى قصره معبداً له . يُصوَّر شاباً بدون لحية لأن الشمس لا تشيخ ، ويرمز القوس والسهام إلى الأشعة ، وترمز القيثارة إلى هارمونيه (أى توافق) السموات . -



معبد ديانا المرمم في أفسس

ـ ديانـا Diane (وبالإغريقيـة أرطـاميس (*) Artémis) : هـي ابنـة لاتونـا وجوبـتر ، وطلبت من جوبتر أن تبقى عذراء فسلحها جوبتر بقوس وسهام . كان اسمها علـى الأرض ديانا وفى السماء تدعى القمر حيث تسطع بعد أن يختفى أبوللو (أى الشمس) وراء الأفق. كان أشهر معابدهـا فـى أفسـس وأشـهر تماثيلهـا يمتـلأ بـأثداء كثيرة وعلـى الجـزء السـفلى حيوانات وأشجار مختلفة وكلها رموز للطبيعة وغلاتها ، ولكنها فى الفن الإغريقى الصميـم كانت تُمثل بأمرأة ممشوقة القوام على رأسها هلال رمز القمر .

ـ كيريس Céris (وبالإغريقية ديمتير Deméter) : هى ابنة ساتورن وأوبس ، علّمـت الناس فن زراعة الأرض وحصاد القمح وصنع الخبز ، فاعتبرها الناس آلهة الزراعة .

ـ ميركور Mercure (وبالإغريقيـة هرمـس Hermés) : هـو ابـن جوبـتر ومايـا ابنـة أطلس ، وهرمس تعنى المترجم (**) أو الرسول . وهـو إلـه الفصاحـة والبيـان والمسـافرين والتجار ، وهو سفير الآلهة المفوض منها ، يحضر المعاهدات وابتكر حروف الكتابة وأنشأ الشعائر الدينية ، ودائم المشغولية لأنه الإله الحارس .

(*) أنظر أع ص ١٩

(**) أنظر أع ١٤ : ١١ ـ ١٢ " فالجموع لما رأوا ما فعل بولس رفعوا أصواتهم بلغة ليكاؤنية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا ، فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم فـى الكلام " .

ـ مارس Mars (وبالإغريقية أريس Arés) : اسمه يعنى الشجاع ، هو ابن جوبتر وجينون . ومارس هو إله الحرب الذى كان النصر فى صحبته على الدوام ، وعرف فى روما أكثر من الإغريق .

ـ فينوس Vénus (وبالإغريقية أفروديت Aphrodite) : آلهة الجمال .

ـ باخوس Bacchus (وبالإغريقية ديونسيوس Déonysos) : هو إله الخمر وكاهناته السكارى ومهرجاناته الداعرة .

ـ كيوبيد Cupidon (أو الحب Amour) : هو إله الحب ، فى السابعة أو الثامنة من عمره ، مُسلح بقوس وكنانة ، وتارة أعمى لأن الحب لا يرى العيوب الموجوده فى المحبوب .

كانت هذه الآلهة فى الأوليمب فوق السحب والنجوم ، ولكن الخلاء الذى بين الأوليمب وسطح الأرض ملأه الشعراء بالآلهة ، لأنه ليس ثمة موضع خالٍ من الآلهة . لهذا أُضيف من الآلهة تحت الأوليمبية :

ـ إله الفجر أورورا Aurore (وبالإغريقية إيوس Eus) .

ـ إله الشمس (وبالإغريقية Hélios) .

ـ إله القمر (وبالإغريقية Séléne) .

وجعلوا من النجوم أصلاً مقدساً انضمت إلى صفوف الآلهة ، وكذلك علامات الزودياك Zodiaque أى البروج الأثنى عشر لكل منها اسطورته ، كما كان هناك ألهة النار وإله الرياح .

أما على الأرض فكان هناك آلهة البحر والمياه ، والمحيط (أوكيانوس) وهو فى مفهوم الأقدمين نهراً شاسعاً يحيط بالأرض ، وهو أول آلهة المياه ابن أورانوس وجايا (السماء والأرض) . وكان هناك أيضاً آلهة الأنهار والينابيع والجبال والغابات ، وآلهة الوطن ، والآلهة الحارسة ، كما كان هناك الجن Les Génies ومنهم الجان الطيب والجان الشرير ولكل إنسان جنيّة ، كما كان هناك آلهة الحظ La Fortune ، وإله الزواج Hymen وإله النوم Morphée وإله السرور كوموس Comos ومومس إله السخرية Momus .

أما الدار الآخرة فى الأساطير الإغريقية والرومانية هى الأماكن التى تحت الأرض ، والتى تنزل إليها الأرواح بعد الموت لتحاسب وتتلقى العقاب أو الثواب .

كان الشانزيليزيه Champs - Elysées أى الحقول المثمرة هى مقر الأرواح الفاضلة ، أما جحيم الأشرار فهناك الزمهرير والقيظ تحكمها آلهة الغضب والموت ثاناتوس Thanatus .

ومع ظهور الأبطال الذين برزوا بقوتهم وشجاعتهم ، أعطوا الفكرة أنهم أبناء أحد الآلهة وواحدة من البشر وأطلق عليهم Héros مثل هرقل الطيبى Hercule وبالإغريقية هيراكليس ابن جوبتر وامرأة اسمها أمفيرتون .

كما كان هناك بعض الآلهة الرمزية مثل هاربوكراتس Harpocrate إله السكون وبلوتوس Plutus إله الثروات ، وآلهة أخرى للعدالة والحذر والجوع والفقر والفضيلة .

كما كان هناك الناطقين بالوحى البيثيا Pythia اشارة إلى بيتونيس أو أبوللو إله التنبؤ . وكان هناك العرافين والكهان وهو نوع من العرافة تفسر تغريد الطيور والظواهر الجوية والسماوية .

كما كانت هناك الألعاب العامة ولها طابع دينى فى أساسه . وكان الزمن يقاس بفقرات ، كل منها أربع سنوات وتسمى أوليمبياد Olympiade تُستهل وتختتم بالألعاب الأوليمبية والتى بدأت أول دورة لها سنة ٧٧٦ ق.م .

أما مجمل الحياة الدينية ، فكنتيجة للبعد عن الإله الحقيقى فكانت لا تعدو كونها درءاً لشر الآلهة ، أو أحياناً جزء من العبادة لأفروديت آلهة الجمال فى كورنثوس ، وساعد على الفساد وجود الرق ، وأدى إلى انحطاط المرأة ووأد الأطفال الغير الشرعيين ، أو تقديم الضحايا البشرية التي أبطلها السناتو سنة ٩٥ ق.م .

وكما نرى فى مراجعة هذه الأساطير ، فإنه يتضح أن الإنسان أدخل الآلهة فى كل مقومات الحياة ، من الكون إلى الطبيعة إلى جميع الأنشطة ، حتى المشاعر الإنسانية ، والعادات الطبيعية مثل النوم أو الزواج . لقد أدخل الآلهة فى كل شئ ، ولم يترك مكاناً يخلوا منها ، وجعلها مسئولة عن حياته وبعد موته ، حتى أنه ـ بكل أسف ـ استخدم الآلهة سبيلاً لإشباع شهواته الجسدية ، وهذا هو الإنسان بدون معرفة الله الحقيقية والذى ينطبق عليه قول السيد المسيح : " من لايتبعنى يمشى فى الظلمة " .

٢ ـ أديـان الشـرق :

كما تصورت الفلسفة أن تصل إلى معرفة الله بالفكر ، فـإن الديانـات الشـرقية رأت فـى الجسد عائقاً للوصول إلى هذه المعرفة ، فكان سبيلها إذلال الجسد وإذكـاء الـروح ، وهكـذا ظهرت البوذية فى جنوب شرق آسيا (وكانت نوعين شمالية وجنوبيـة) ، والكنفوشـية فـى الصين ، والهندوسية فى الهند .

كلمة بوذا تعنى الرجل المستنير ، ولعل واضع البوذية الأول هو " غوتاما " ، والله فـى البوذية هو العلة الأولى لهذا الكون ، ومحظور على البوذى التقى أن يبحث فيه ! . أما فـى الهندوسية فهو جوهر الكون ، وهو على صورتين أحدهمـا مجـرد هـو روح العـالم ويسـمو بصفاته ، وصورة أخرى هى أشباح متجسده تشبع رغبات الإنسان من حيث تعيين صفـات الله وتحديد لها بالشر والخير .

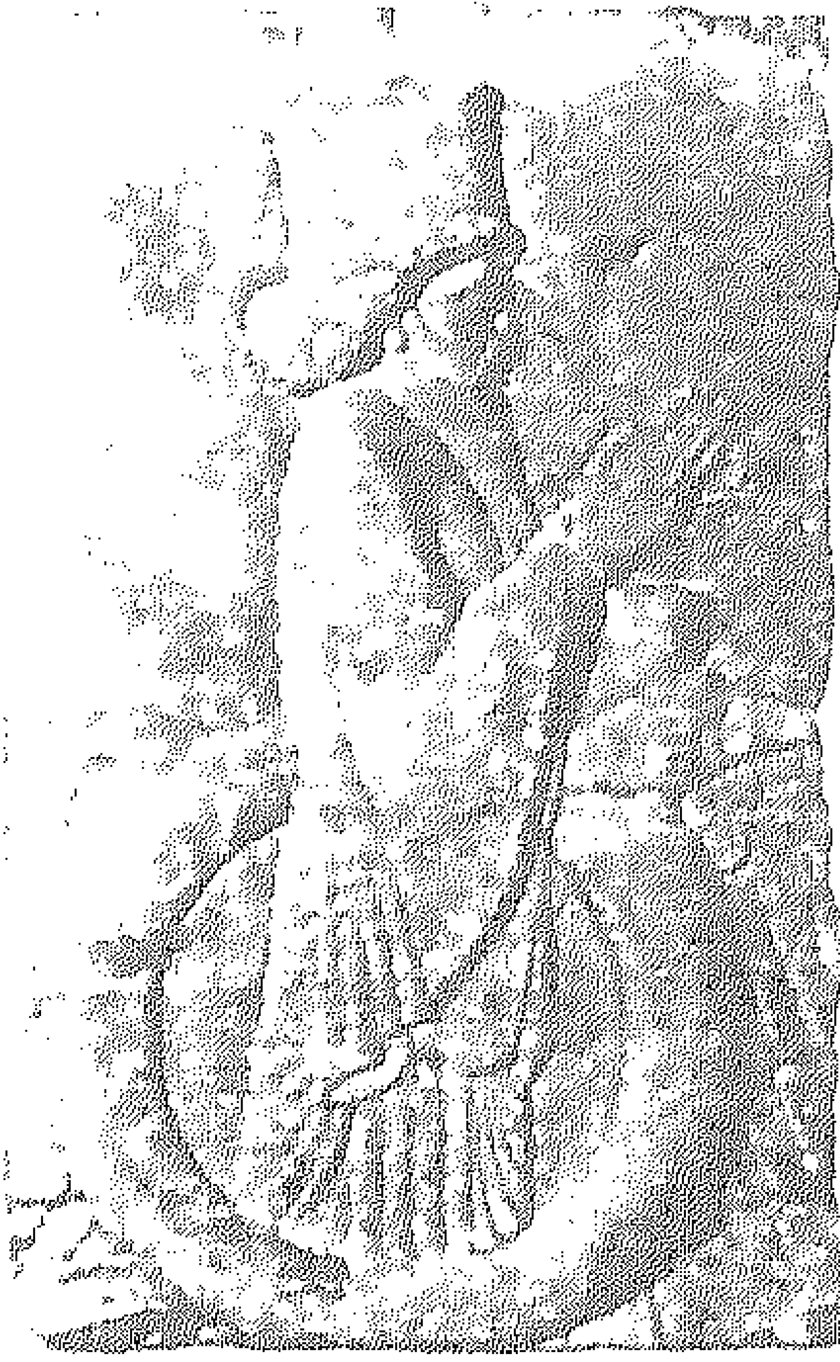
والروح الإنسانية فى البوذية والهندوسية تتجول من جسد لأخر .

والأخلاق هى معالجة الخير والشر . ونجد فى البوذية كمـاً هـائلاً مـن الأحكـام والفصـل بين الفضـائل والرذائل ، تنتهى بالإنسان إلى تحطيم قيود النفس ، وتجريـده مـن الرغبـات ، تسمى بحالة الإندماج فى الله .

أما فى الهندوسية فبالزهد والتصوف ، تستجلى النفس البشرية طلعة " براهمـا " ـ كنايـة عن الله ـ والإندماج فيه ، والأعمال الصـالحـة هـى كفـارة عـن الأعمـال الشـريرة . وتقسـم الهندوسية البشر إلى طبقات حسب اقترابها من البراهما ، تبدأ بالبراهمة وتنتهى بالمنبوذين.

أما الكنفوشية فاتجهت أساساً إلى علاقة الإنسان بالإنسان ، ولم تعبأ بعلاقتـه مـع اللـه ، بل عبدت الأرواح والأسلاف ، لأنها تأبى الخوض فى أمور لا تدركها .

أما الديانة الشنتوية فى اليابان ، فهى طراز من الوطنية الدينية المتطرفة . الإمبراطور والدولة هما كل شـئ ، ولا تقيـم للفـرد وزنـاً ، ولا تهتـم بـالأخلاق بقـدر اهتمامهـا بالنظافـة الشخصية .



أما الزرادشـتية فهـى ديانـة الفـرس . وقد أعلن زرادشت أن " أهورامـازدا " هو خالق الكون ، وتحـت امرتـه خلائـق إلهية أو صفـات مجسـمه ، يلتقـى فيـه روح الخير وروح الشر .

وتؤمـن الزرادشـتية بعقيـدة الآخـرة ، يقدم فيها الإنسـان حسـاباً عـن أعمالـه .

وتجعل الزرادشتية من الزمن اثنى عشر ألف عاماً ، تقسمه إلى أربعة أقسام كل منها ثلاثة آلاف .. فى الأولى كانت أرواح الأسلاف جنيات ، والثانية إنسان بدائى ، والثالثة تسلطت فيها قوى الشـر علـى الإنسـان ، وفـى الرابعـة يـأتى ثلاثـة مـن المخلصيـن ، آخرهـم " المسيا " ويولد بطريقة معجزية من عذراء طاهرة .والبارسيون أتباع الزرادشتية ، عليهم ألا يفكروا إلا فى الحق ، ولا يعملوا إلا الخير ، ولا ينطقوا إلا بالصدق ، ويمارسوا طقوس النار فى هياكلهم ، يتقربون بها إلى حضرة الإله " أهورامازدا " .

وهكذا نـرى فـى الأديـان الشـرقية ، صـراع الإنسـان بيـن الخير والشـر ، وتطلعـه إلـى " الخلاص " ، ومحاولة الإنسان الوصول والتطلع إلى الله عن طريق اخضـاع جسده المادى الذى يعيقه ، وفى المقابل يجعل البعـض مـن اللـه بعيد المنـال لإستحالة الوصـول إليـه ، وينصرف البعض الأخر للإهتمام بالمجتمع كإحساس بالإحتماء فيه .

ولعل كل هذه الحقائق هى شرحٌ بديعٌ ، لإحتياج الإنسان إلى الله ، فتعجـزَ عنهـا قدراتـه الإنسانية فيمشى فى طريق الظلمة ، إلا إذا أعلن الله عن ذاته للإنسان ليستنير ، وهكذا فـى التجسد الإلهى فى السيد المسيح ، يتلامس الإنسان مع الله ، ويطمئن إلى مسـتقبله السـمائى ويتقدس الإنسان فيه كمثال السمائيين ، حين ينسكب روح الله علـى الإنسـان كعربـون لهـذه العطية ، وبها يسيطر الإنسان على شهواته ، ويدرك أسـرار اللـه بـروح اللـه ، ولا يصبـح الجسد عائقاً فيما بعد : " إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون " (رو ٨ : ١٣).

٣ ـ ديانة المصريين القدماء (٤٨ ، ٤٩) :

قد لا يختلف أحد على أن الديانة المصرية القديمة هى ديانة وثنية ، ولكنها تكشف جانباً هاماً وخطيراً فى علاقة الإنسان بالله !.

لقد وجدنا فى الفلسفة محنة العقل ، وجفاف العلاقة الفكرية بين الإنسان والله ، ووجدنا فى الأديان الشرقية عدم جدوى قهر الجسد فى الوصول إلى معرفة الله الحقيقية ، ووجدنا فى الأساطير الإغريقية الرومانية احتياج الإنسان إلى تلامس الله معه فى كل نواحى الحياة حتى فى إشباع غرائزه ، فظهرت الأساطير يلتقى فيها الله مع الإنسان ليُشبع حاجته ومن خلالها يسترضى الإنسان الله إبتغاء لدرء الشرور عن نفسه .

ولكن الناحية المشرقة والهامة فى الديانة المصرية القديمة هى احساس الإنسان بسر دفين يربط الله بالإنسان . فبينما وصلت الفلسفة إلى خلود الروح ، اعتقدت فى تناسخ الأرواح وانتقالها من إنسان لآخر حال مماته ، ففقدت هدفاً أسمى يحيا من أجله الإنسان . وبينما حاولت الأديان الشرقية التطلع إلى ما يُدعى إلهاً ، فقدت الهدف نفسه فيما اعتقدت بتناسخ الأرواح .

أما الديانة المصرية القديمة ـ رغم وثنيتها وعدم خلوها من الأساطير ـ فقد آمنت بالخلود والقيامة من الأموات ! كما اشتركت مع الأساطير بضرورة الثواب والعقاب لأعمال الإنسان .

لقد اعتقدت الديانة المصرية أن البشر يحوون قبساً إلهياً ، ويمكنهم أن يصبحوا آلهة حال مماتهم ، فيما عدا الملك الذى يمكن أن يؤلّه أثناء حياته .

وفى الديانة المصرية نجد ما يدعى قرين الإنسان ، وهو ما أطلقوا عليه " الكا "و" البا ".
" البا " هى القرين غير المنظور للجسد الإنسانى وهى أعظم من مجرد الجسد ، حتى أن الآلهة أيضاً كان لها " الكا " وهى المظهر الخارجى والـ " با " القرين القوى .

كان " الشئ الطيب " عند المصريين هو " العمل الذى يحبه الإنسان وتقره الآلهة " ، كما أن الإنسان مسئول عن أعماله .

وكانت الديانة عملية ، لم تجعلهم ينشغلون بنظريات عن الخير المطلق . وبسبب اعتقادهم فى حياة أخرى فقد آمنوا بثواب فى الآخرة على خير لم ينالوا جزاءه فى الأرض ، ولهذا لم يكن التشاؤم أمراً طبيعياً فى المصريين .

لقد افترضوا أن الموتى يبدون اهتماماً بالأحياء ، بل أنهم بعد موتهم يصيرون أقوياء بما فيه الكفاية لمساعدتهم ! . وإن كانت الشمس والنيل قد عُبدا كمصدرين للحياة ، ولكن الأعظم من هذا فإن الغروب والشروق عند المصريين كانا يشيران إلى الحياة التى ستمنح للإنسان بعد الموت ، والجفاف ثم الفيضان يشيران إلى بعث الحياة والخضرة ، ولهذا برعوا فى تحنيط الأجساد ، بل ووضعوا أحياناً تمثال حجرى للرأس خوفاً من تحلل جسد الميت ! .

لقد كانت الديانة المصرية فى عصورها المبكرة يطلق عليها " فيتشية " وهو اصطلاح يرمز إلى عبادة الرموز المادية ، والتى يعتقد أن بها قوة خفية يتم التحدث معها ، ويُصلَّى إليها وتُقدَّم لها القرابين .

ولما كانت أقاليم مصر مستقلة ومشرذمة فى العصور المبكرة ، فكان لكل اقليم معبوده الخاص به ، والذى يختلف من مكان إلى آخر ، وعادة ما يكون من الحيوانات ، اشارة إلى القوة والسيطرة ، مثل اللبوة (سخمت) والتمساح (سوبك) وفرس النهر (تاروت) ، وكان يُنظر إليه باعتباره حامى المدينة . وكانت الأعمدة وساريات الأعلام تعبر عن هذه المعبودات ، وأطلقوا على العلامة الهيروغليفية المعبرة عن الإله كلمة " نوتى " (*) .

ومع التطور أصبحت القيم المعنوية التى يتميز بها الإنسان أكثر تأثيراً ، فصارت الأرباب بصورة بشرية برؤوس حيوانات أو طيور ، مثل الصقر (حورس) والكبش (خنوم) وفرس النهر (تاروت)، أو بشرى كامل كما نجد فى الآلهة (بتاح) و (أتوم) و (آمون) و (أوزوريس) .

(*) والتى صارت فيما بعد تعنى الإله فى ترجمة الإنجيل إلى القبطية .



١ ـ آمون ـ رع



٢ ـ انوكيس



٣ ـ انوبيس



٤ ـ باسقت



٥ ـ شو



٦ ـ حراختى



ـ حرسافس



٨ ـ حتحور



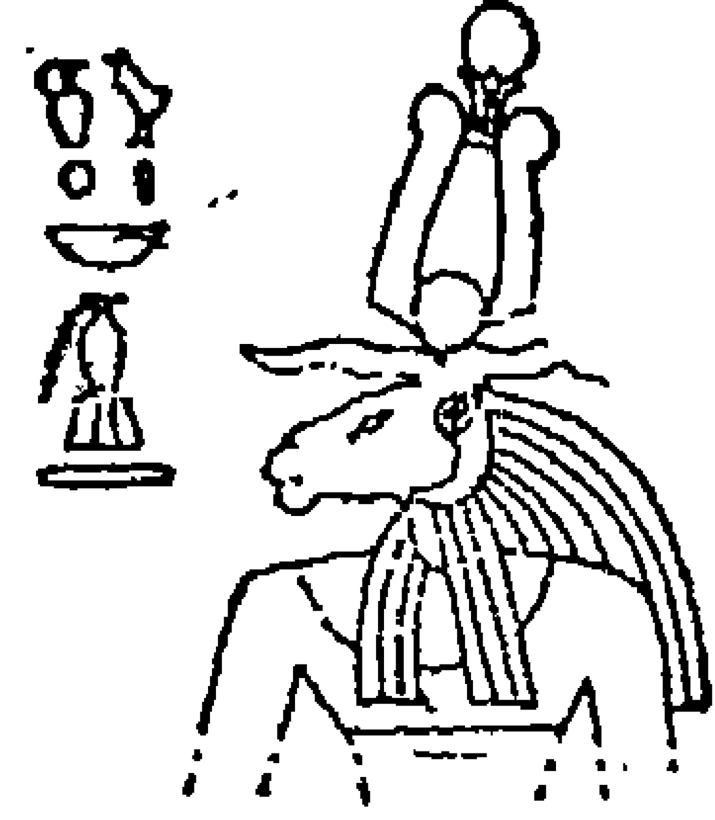
٩ ـ حرويرس



١٠ ـ حربقراط

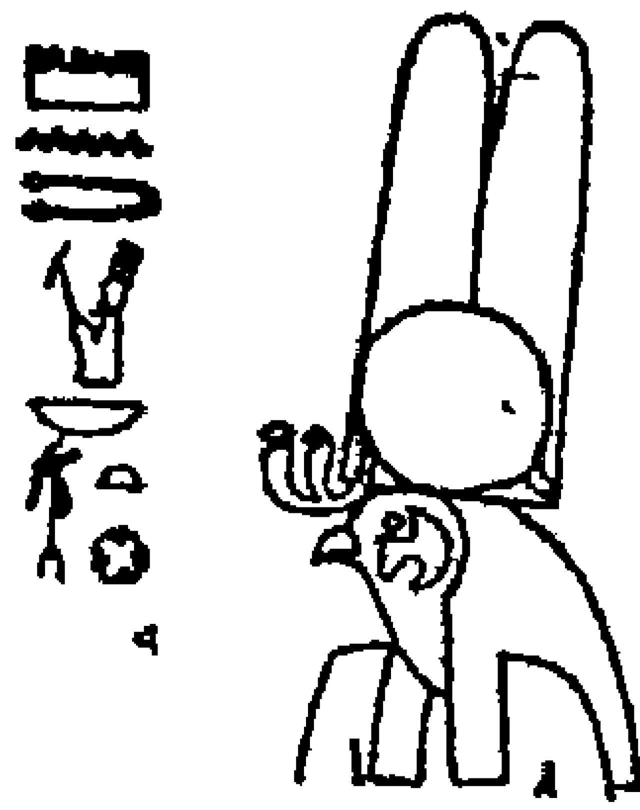


١١ ـ ايزيس



١٢ ـ خنوم

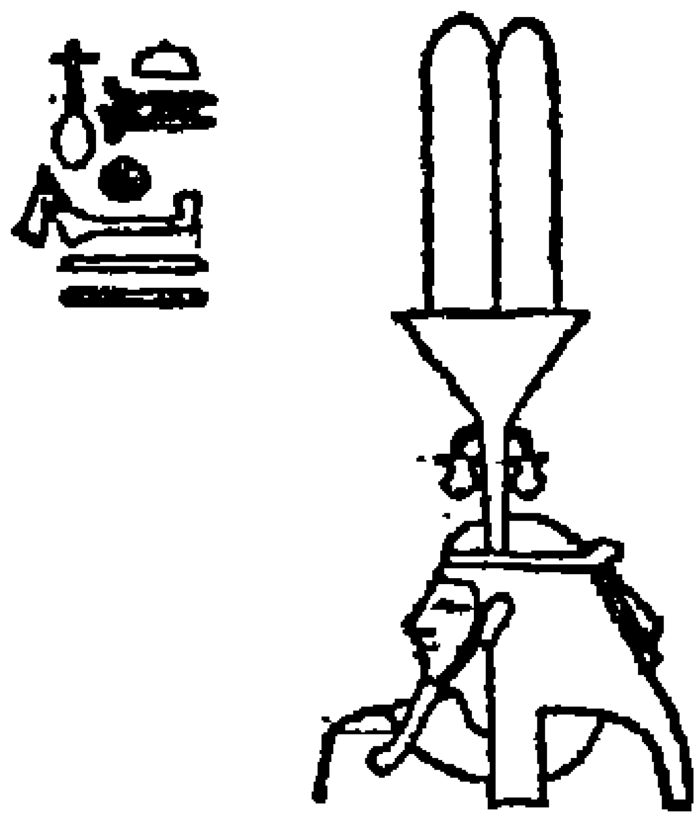

١٥ ـ مـون


١٤ ـ منتـو

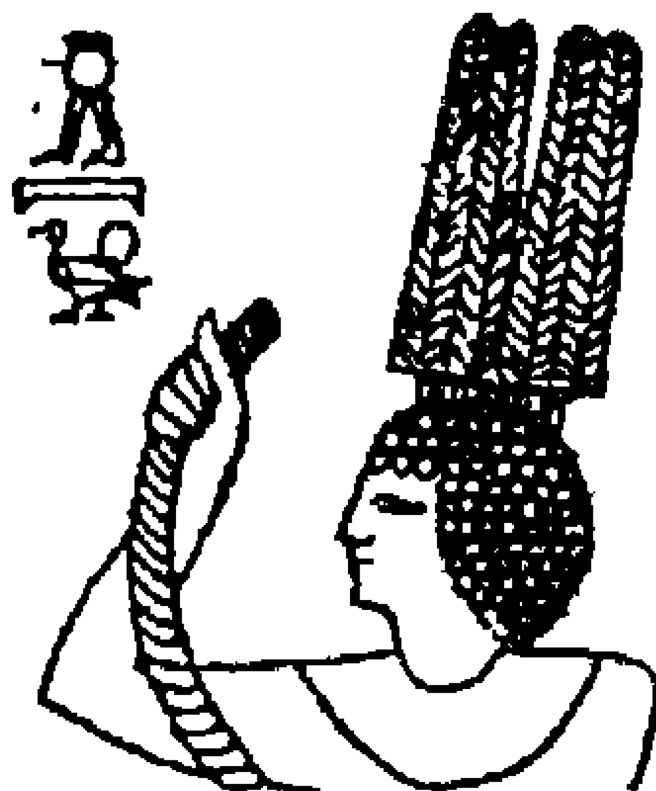

١٣ ـ خنسـو


١٨ ـ نخبت


١٧ ـ نايت

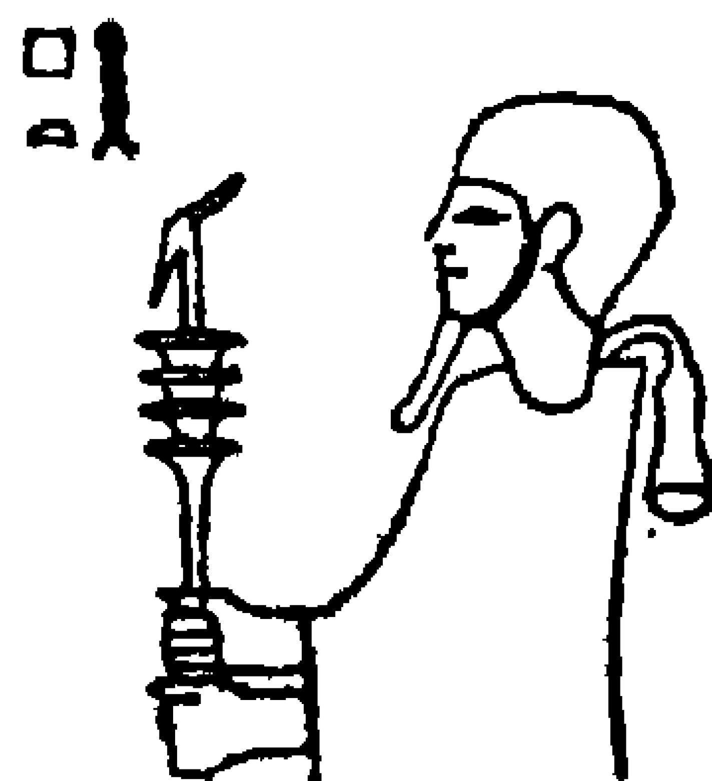

١٦ ـ نفرتوم


٢١ ـ اوزيريس


٢٠ ـ اونوريس


١٩ ـ نفتيس

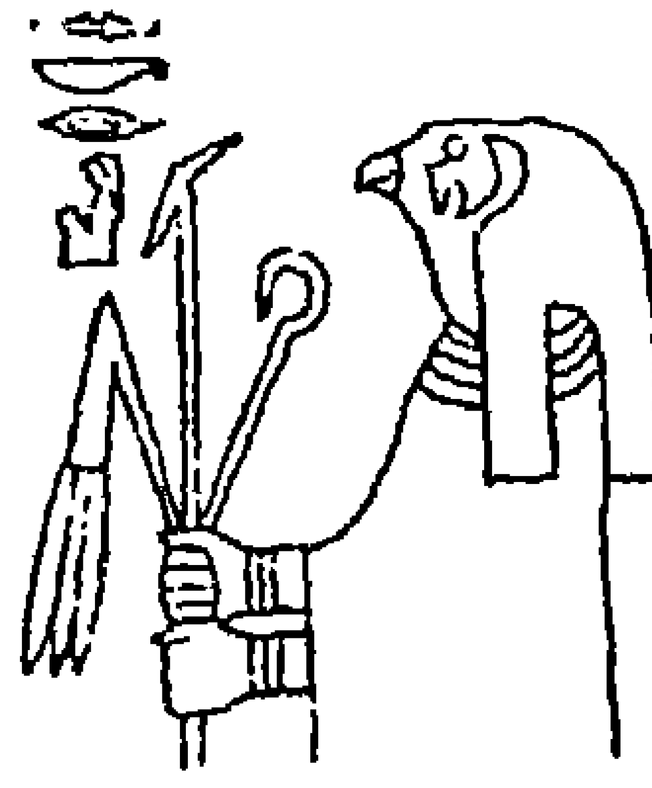

٢٤ ـ سـاتيس


٢٣ ـ بتـاح

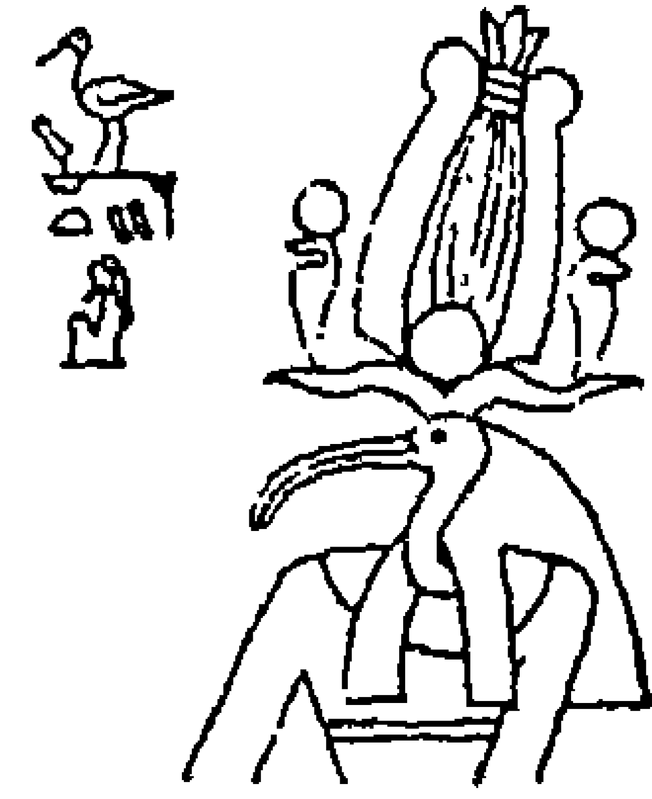

٢٢ ـ اوتو



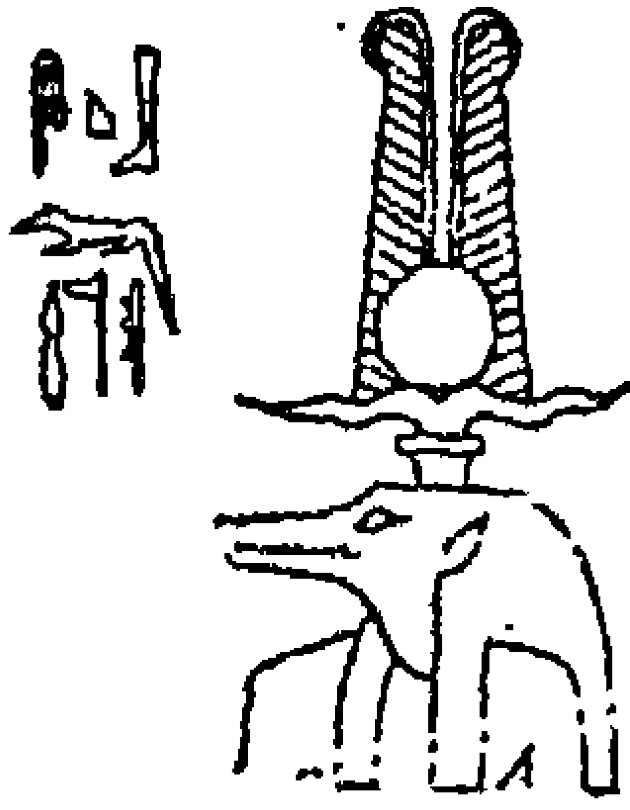
٢٨ ـ ست



٢٩ ـ صوكاريس



٣٠ ـ تحوت



٣٥ ـ سبت



٣٦ ـ سخمت



٣٧ ـ سنتيس

ثم لعبت الأحداث السياسية تأثيراً فى الآلهة ، وأصبح إله عاصمة الأقليم هو المعبود الرئيسى ، والآلهة المحلية مجرد " أقانيم " متساوية له .

وعلى هذا فالديانة المصرية ليست من خلق مفكر واحد ، ولكنها النتاج العام للعديد من مختلف التيارات اللاهوتية والسياسية . هذا عدا الآلهة الكونية على رأسها الشمس " رع " والقمر " تحوت " والأرض " جب " والسماء " نوت " والنيل " نون " أو المياه الأزلية .

كما كان هناك الآلهة المعنوية مثل إله الحكمة والمعرفة " توت " وآلهة الحق والصدق والعدالة " ماعت " وعلى رأسها ريشة نعام وآلهة السنة " رونبت " ، وإله الذهب " نوب " ، وإله الصحراء " حا " ، والإله سيد السحر ومخترع الكتابة الإله القرد " بابون " ، والإله " بس " القزم ذو الوجه العريض لجلب الحبور والسعادة .

لقد كانت طبيعة الآلهة عند المصريين أنهم سادة الحياة ، أقوياء وطيبون ويشعون جمالاً.
والآلهة عند المصريين تخلق البشر ، فمثلاً الإله " خنوم " (يمثل الكبش فى قوة الإخصاب) يشكل الطفل وقرينه ، وزوجته الآلهة " حكات " تعطيه الحياه (أونخ) .
والآلهة تحفظ الحياة ، فكان هناك " أرنوتت " الألهة الحاضنة (جسد امرأة ورأس كوبرا)، و " شوى " إله القدر .

كان للآلهة قوة غامضة ، أطلقوا عليها " حكا " وتعنى القوة السحرية ، وأى اتصال بين الآلهة مع الأحياء والموتى ، وكل فعل دينى ، هو سحر " حكا " ورغم تعدد الآلهة عند المصريين لم يكُن هناك تعصب عقيدى ، بل كان هناك تسامحاً دينياً بين المصريين ، ورغم اعتقادهم أن الآلهة تساعد الفرعون فى الحرب لم تكن هذه الحرب تبشيرية فى وقت من الأوقات .

لقد تصور المصريون لخطة أزلية ، تخلَّقت فيها الآلهة ، وهنا ـ وبدون الإعلان الإلهى ـ كان طبيعياً أن تنقسم الآراء وتختلف الأساطير : -

- **فى هليوبوليس** ، فإن الإله " آتوم " انبثق من الأزل ، وآتوم فى اللغة المصرية تعنى الكامل أو المطلق ، وهو ذو ثلاث صفات رئيسية " الأقدم ـ الأزلى ـ الأوحد المنفرد بذاته " والإله أتوم نفخ الإله " شو " وقرينته " تفنوت " ، شو يمثل الهواء أو الأثير وهو معطى الحياة والأنفاس ، وتفنوت تمثل الرطوبة . وهكذا من آتوم وشو وتفنوت صار ثالوث من جوهر واحد .

- **وفى منف** (الأسرة ٣ ـ ٥) كَوّنوا تاسوعاً من الإله " بتاح " الذى خلق من ذاته " شو " و " تفنوت " ، اللذان تزوجا وأنجبا " نوت " إله السماء ، " وجب " إله الأرض ، اللذان تزوجا أيضاً وأنجبا " أوزوريس " و " إيزيس " و " وست " و " نفتيس " .

وبعد الثورة الإجتماعية فى الأسرة الحادية عشر ، ظهر الإله آمون ، وأبنتاه " أمونيت " وهم أعضاء فى مجمع مقدس تجسد منهم المحيط الأزلى من عناصر أربعة : الماء " نون ونونيت " ، الظلام " كوك وكوكيت " ، القوة الدافعة " حوح وحوحيت " ثم الروح اللطيف

الخفى " آمون وأمونيت " . ثم اصبح آمون رباً للهواء وصورة أصلية من إله الشمس " آمون ـ رع " . وقد عظم أهمية آمون بعد النصر على الهكسوس فى الأسرة الثامنة عشر.

وبعد كيد كهنة رع لآمون ، قام أمنحتب الرابع بثورته الدينية ليبطل المعبودات كلها إلا القوة السمائية الممثلة فى الشمس وأطلق عليها اسم " آتون " ، ثم أطلق على ذاته اسم " أخناتون " ولكن لم تلبث هذه الفكرة أن ماتت بموته وتوجد آثارها بتل العمارنة حالياً قرب المنيا .

ومن غير الإنصاف أن نقول أن المصريين اعتبروا الحيوانات أو الأشياء آلهة فى حد ذاتها ، ولكنهم فى الحقيقة قد ألتمسوا الإتصال بالقوى فوق الطبيعة ، فى اطار محدود ومرئى ، يمكن أن تتجمع فيها الصفات لهذه القوى ، التى لغير المنظور ولنا أن نتأمل فى هذه الإبتهالات التى وجدت فى المقابر كما دُونت فى البرديات :ـ

" التحية لك يا قرص أتون النهار ، الذى خلق الناس وجعلهم يعيشون ، الصقر القوى ذو الريش المُتعدد الألوان ، الذى جاء للوجود ليرفع نفسه ، الذى جاء إلى الوجود من تلقاء ذاته دون أن ينجبه سواه ، حورس الأكبر الذى يقيم فى نوت السماوية ، عند طلوعه يبتهج الإنسان ، وعند غيابه يحدث للمرء مثل هذا .. ذاك الذى يدير القطر المزدوج من أعظم كائن إلى أصغره ، أم الآلهة والناس ، صانعة الخير ، الفنان الساهر الذى لايعرف الكلل عندما يخلق أعماله التى لا عد لها ، الراعى القوى الذى يقود قطيعه ... " .

" إن أمون بداية بدء ، أوحد ، إنك الأوحد الذى صنع كل ما يوجد ، الواحد وهو يظل أوحد ، الذى صنع الكائنات ، ذاك الذى بدأت صيرورته أول أمره ، آمون الذى أنجب نفسه فى البدء دون أن يُعرف سره ، لم يوجد إله قبله ولم يكن يوجد إله آخر معه ليحدثه عن شكله ، ولم تكن له أم لتصنع اسمه ، ولم يكن له أب نسله وقال هذا هو أنا ، ذاك الذى قام بنفسه بصنع بيضته ، القوى الغامض الميلاد الذى خلق جماله ، الإله الآلهى الذى جاء للوجود من تلقاء ذاته " .

" إنه خفى عن الآلهة ، لا يعرف المرء مظهره ، أنه أبعد من السماء ، أنه أعمق من الجحيم ، إن أى إله لا يعرف شكله الحقيقى ، إن صورته لا تبسط فى مطوى الكتب .. ، أنه بالغ الخفاء حتى أن مجده لا يُكشف ، أنه أكبر من أن يُفحص . وأعظم من أن يُعرف ،

ان المرء ليسقط في الحال ميتاً من الرعب إذا تلفظ باسمه الخفي الذى لا يستطيع أحد معرفته ... " .

" إن الناس سعداء عندما تطلع ، إن حبك يوجد في سماء الجنوب ، ورفقك في سماء الشمال . إن جمالك يخلب القلوب ، وحبك يجعل الأذرع تهوى ، وشكلك بالغ الكمال يسلب الأيدى القوة ، إن القلوب تنسى كل شئ لأنها تطلعت إليك .. " .

وفى ابتهال إلى آمون " الإله المحبوب الذى يصغى إلى تضرع البسطاء ، والذى يمد يده إلى المتواضع ، والذى ينقذ الضعيف ، والذى يسمع إلى ابتهالات المُصلين ، والذى يُقبل على صوت المُعوز المكروب والذى يمنح الحياة حتى إلى الشرير " .

وفى ابتهال إلى تحوت " أننى أنا الذى ردد قسماً كاذباً أمام الإله القمر تحوت .. والذى جعلنى أدرك عظمة قوته أما جميع الأرض .. أنت أيها الواحد الرحيم ، إنك قادر أن ترفع هذا البلاء عنى " .

وفى ابتهال إلى أوزوريس " إن تربة الأرض فوق ذراعيك ، وأركانها تستقر فوقك حتى عمد السماء الأربعة ، وإذا تحركت فإن الأرض ترتعد ، إن كل ما يوجد فوق الأرض يظل فوق ظهرك ، وكل شئ يستقر فوق عمودك الفقرى ، إنك أب الناس وأمهم ، أنهم يعيشون بأنفاسك ، إنهم يُطعمون لحم جسدك ، الإله الأزلى هذا هو اسمك " .

وهكذا تميزت الديانة المصرية بهذا النوع الفريد من التوحيد الإلهى ، والتى تحوم حول السر الخفى الذى يربط الإنسان بالله ، وفى ملاحظاتها لما حولها من مظاهر كونية وطبيعية ، ما قد جعلها تعبر عن هذه العلاقة المتعددة الأبعاد بمظاهر إلهية مختلفة ابتداء بالخلق وامتداداً بالرعاية ، وانتهاء بخلود الإنسان بعد قيامته من الموت ، لينال ما يستحق ، ولكنها لا تكف عن طلب المغفرة والإعتراف بالتقصير ، وأدركت فى النهاية أنها تعيش بأنفاس الله وتطعم لحم جسده .

ولعلنا الآن ندرك ـ دون تميز ـ مدى رُقى العبادة المصرية القديمة وتميزها دون بقية الأديان والفلسفات ، ولكنها فى ذات الوقت تكمل تلك الصورة الحية لكافة شعوب الأرض لتستعد لقبول الله المتجسد ، مما جعل الله ينطق على فم أشعياء النبى : " مبارك شعبى مصر وعمل يدىّ أشور وميراثى إسرائيل " أش ١٩ : ٢٥ .

تعليق على الجانب الفكرى والروحى قبل المسيح :

ويمكننا الآن أن نفسح المجال لنسجل ما كتبه الفيلسوف المعاصر أرنولد توينبى فى كتابه " تاريخ الحضارة الهيلينية " [٣٨] مؤكداً لهذه الحقيقة بقوله : " وقد حوت الديانة المسيحية كل ألوان الجاذبية والسحر التى كانت تحظى به الديانات الأخرى المنافسة لها ، فقد كان إله المسيحية هو الإله الواحد الحق الكُلي القدرة الذى عرفته الديانتان اليهودية والزرادشتية ، وقد يبدو الله فى مثل هذه الصورة التى تثير الرهبة والخوف ، إلهاً يكاد يكون من المحال الإتصال به والإقتراب منه . غير أن إله " الصلاح " اليهودى كان أيضاً فى نظر المسيحيين إله المحبة الآب ، وفى " الله الإبن " تصافح الرب مع عباده فى شخص المسيح الذى ظهر على صورة البشر وكان الله الإبن ، مثل البوذيساتفا (الذى تحدثت عنه البوذية) منقذاً ضحى بنفسه ، راعياً أميناً للقطيع البشرى الضال ، إلا أن التضحية التى قدمها كانت حقيقة تأسر النفوس ، إذ بدافع من حبه لخلقه " أخلى ذاته " بإرادته كى يصبح الإنسان يسوع ، ويواجه حكم الإعدام بالتعذيب الذى يوقع على القتلة والمجرمين ، وعلى غرار الملك الأسبرطى الطيب القلب الشهيد آجيس ، وعلى نهج المواطن الأرستقراطى الرقيق الشعور طيبريوس جراكوس ، قدم يسوع حياته قرباناً لشعبه دون أن يلجأ إلى العنف حتى لمجرد الدفاع عن النفس .. وكما أنه قد حُكم بالإعدام على كل من آجيس وطيبريوس والملك الصقلى العبد زينون والمصارع المتمرد سبارتكوس فقد أُعدم المسيح أيضاً ، ولكنه مثل إله الزرع المقتول أوزوريس المصرى ، تغلّب على الموت بأن بُعث إلى الحياة من جديد .. ومثل أوغسطس والأسكندر وكل الفراعنة كان يسوع ابن إله ، ولد من أم بشرية ، إلا أن الآب السماوى الذى ينتسب إليه يسوع لم يكن مجرد عضو فى مجموعة من الآلهة بل كان الإله الواحد الحق .. كما شابه متراس (الإله الفارسى) بمقاومته الأعداء بالقيام بدور الزعيم السياسى الشعبى وكذلك رفض الإغراء بالإرتداد أمام محنة الصليب ، كما أنه سيعود مثل الإله هداد إله الزوابع فى دوليكى المدينة السورية ، آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، وهو أيضاً فى كل هذه الأحوال " العقل الخلاق السرمدى " أى اللوغوس الكلمة الذى عرفه المفكرون الهيلينيون منذ جيل انكساجوراس ، أنه الحقيقة المطلقة الكامنة وراء مظاهر الكون وعبدوها كذلك " .

ويستطرد الفيلسوف توينبى قائلاً : " .. ولكن مريم الآدمية أم المسيح ، ظلت باقية تحتل مكاني إيزيس وكوبيلا الآلهة الحيثية ، بإعتبارها أم الإله العظيمة ، ولم يكن ليمضى وقت طويل حتى تحل قبور الشهداء المسيحيين محل قبور الأبطال الهيلينيين الأسطوريين ، فإن الشهداء كانوا رجالاً ونساءً عاديين ممن ضحوا بحياتهم فى سبيل الشهادة بعقيدتهم المسيحية ، وإذا كان ثمة مفاضلة ، فمن لا يختار الشهداء الحقيقيين دون الأسطوريين لتوجه إليهم فروض التكريم والتقديس " .

وهكذا كانت كل الشعوب على وجه الأرض فى انتظار انسكاب روح الله القدوس بعمل الفداء الذى للمسيح ، ليعلن الله ذاته للبشر ويصحح مسار تاريخ البشرية ، حسب الخطة الإلهية الموضوعة قبل تأسيس العالم : " إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته .. الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنه إذ عرفنا بسر مشيئته .. التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك " أف ١ : ٥ ـ ١٠ .

الفصل الرابع

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

ميلاد الكنيسة وما واجهته من مشكلات :

- ميلاد الكنيسة .
- كيف نظر المؤمنون من اليهود والأمم إليها .
- المشكلات التى واجهتها الكنيسة :

أولاً : المشكلات الداخلية .

- مشاكل الخدمة وظهور الدياكونية .
- معمودية الروح القدس ومعمودية الماء .
- التهود ومشاكله .

الكيرنثية ، الأبيونية ، الألفيون .

ثانياً : المشكلات الخارجية .

- الصدام مع اليهود .
- المواجهة مع الوثنيين .
- المشاكل مع الفلسفات .
  - الغنوسية واليهودية .
  - الغنوسية والمسيحية .
  - المسيحية والمانوية .
  - الافلاطونية الحديثة .
  - المونارخية والمودالستية .
  - المدافعون والمحامون عن المسيحية .

ميلاد الكنيسة وما واجهته من مشكلات

ميلاد الكنيسة :

الكنيسة المقدسة ـ كما يدعوها الكتاب المقدس ـ هى جسد السيد المسيح " أف ١ : ٢٣ ، وكما اتخذ السيد المسيح جسده الإنسانى من الروح القدس والعذراء مريم ، فقد اتخذ الكنيسة من الروح القدس والرسل الأطهار وكافة المؤمنين باسمه ، فهو الذى نفخ فى وجه الرسل القديسين ليله قيامته قائلاً : " اقبلوا الروح القدس ، من غفرتم لهم خطاياهم غفرت لهم ومن أمسكتموها عليهم أمسكت " يو ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٣ ، " حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب " لو ٢٤ : ٤٥ ، لهذا فميلاد الكنيسة كان يوم الخمسين ، ويوم أن " حُبل بها " كان يوم قيامة السيد المسيح ، وقال لهم : " هكذا هو مكتوب ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأً من أورشليم وأنتم شهود لذلك وها أنا أرسل اليكم موعد أبى فأقيموا فى أورشليم إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالى " لو ٢٤ : ٤٦ ـ ٤٩ .

وكانت كلمات السيد المسيح واضحه للرسل " لا أترككم يتامى .. بعد قليل لا يرانى العالم وأما أنتم فتروننى .. أما البارقليط الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يُعلّمكم بكل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم " يو ١٤ : ١٩ ، ٢٦ .

" إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق .. ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم . كل ما للآب هو لى .. بعد قليل لا تبصروننى ثم بعد قليل أيضاً تروننى لأنى ذاهب إلى الآب " يو ١٦ : ١٢ ـ ١٦ .

" لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " (أع ١ : ٨) .

ولقد كان بعض الرسل فى شكٍ حين قام السيد المسيح مت ٢٨ : ٧ ، مر ١٩ : ١٤ . ولكنه ظل يلقنهم أسرار ملكوت الله فى الأيام الأربعين المقدسة بعد قيامته إلى وقت صعوده إلى السماء . (أع ١ : ٣) .

الكنيسة بالنسبة لليهود والأمم :

لقد كان حلول الروح القدس يوم الخمسين ، هو اليوم الذى تطلعت إليه كل الشعوب وتحققت فيه كل أمانيها :

بالنسبة لليهود ، كان هو " عيد حصاد " البشرية لملكوت الله ، أو عيد أوائل الثمار أوعيد الأسابيع ، أو كمال السنين الخمسين أى اليوبيل اشارة إلى العتق من العبودية . وكما وصف الربيون فى التلمود أن يوم الخمسين هو يوم استلام موسى للشريعة على الجبل ، فقد كان هو يوم استلام شريعة الروح القدس فى القلب للتقديس ، وتحقق ما قيل فى الأنبياء " هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أجعل نواميسى فى أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأنا أكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً ، ولا يُعلم كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً أعرف الرب لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم إلى كبيرهم " عب ٨ : ١٠ ـ ١١ ، أرميا ١١ ، زكريا ٨ ، أش ٥٤ ، مى ٤ : ٢ .

أو كما قال السيد المسيح : " ويكون الجميع متعلمين من الله " يو ٦ : ٤٨ .

وقد كان تواجد اليهود من أنحاء المسكونة فى يوم حلول الروح القدس بأورشليم هو يوم تنفيذ هذه النبوات والوعود المتواترة ، فقد آمن فى هذا اليوم " فرتيون وماديون وعيلاميون وما بين النهرين ، كبادوكيون وبنطس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبيا والقيروان ، رومانيون وكريتيون وعرب " (أع ٢ : ٨ ـ ١١) .

ومنذ يوم الخمسين اتضح للهيلينيين والرومان أن السيد المسيح هو اللوغوس الذى يرجونه ، وبالنسبة للبوذية والهندوسية ، كان هو يوم " الإندماج فى الله " ، وبالنسبة للزرادشتية عُرف السيد المسيح " أنه المسيا المولود من عذراء طاهرة " ، وبالنسبة للديانة المصرية كان هو " الإله الخفى الغير المنظور " ، الذى رأيناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة وإن الحياة أُظهرت " ايو ١ : ١ـ ٢ . وأصبحت الكنيسة أم ولود بالمعمودية من الماء والروح (أع ٢ : ٣٨ ـ ٣٩) .

وكمثل كل مولود ، فهناك مشاكل النمو ، على أنه فى حقيقة الأمر ، فإن مشاكل النمو هى التى تجعل من المولود أصلب عوداً .

المشاكل التى واجهتها الكنيسة :

يمكننا أن نفرق بين نوعين من المشاكل واجهت الكنيسة فى أيامها الأولى : كان النوع الأول هو مشكلات واجهت الكنيسة من داخلها ، وكانت بركة هذه المشاكل اتساع نطاق الخدمة وبلورة الإيمان ، أما المشاكل التى واجهتها من خارج فكانت بركتها تثبيت العقيدة وانتشار الإيمان ! .

أولاً : المشكلات الداخلية

أ ـ كانت إحدى المشكلات بعد أن تكاثر عدد التلاميذ ، ومع احساس الكنيسة بواجبها الإجتماعى تجاه المؤمنين ، أن أصبح ذلك عبئاً على الآباء الرسل ، فكانت النتيجة هى افراز خدمة الدياكونية " وفى تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كُن يُغفل عنهن فى الخدمة اليومية ، فدعا الأثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد ، فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة ، فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس وفيلبس وبروخورس ونيكانور وتيمون وبرميناس ونيقولاوس دخيلاً أنطاكياً ، الذين أقاموهم أمام الرسل ، فصلوا ووضعوا عليهم الأيادى ، وكانت كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان " (أع ٦ : ١ ـ ٧) .

ب ـ واجهت الكنيسة بعد ذلك حقيقة ضرورة الحصول على عطية الروح القدس كختم للإيمان والثبات فى المسيح بعد معمودية الماء والتى كانت قد تمت باسم الرب يسوع فى السامرة أع ٨ ، وبمعمودية يوحنا فى أفسس أع ١٨ ، ١٩ " فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة فانحدر فيلبس إلى مدينة السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح ، وكان الجميع يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عند استماعهم ونظرهم الآيات التى صنعها ... وكان قبلاً فى المدينة رجلاً اسمه سيمون يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً أنه شئ عظيم وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة ... وسيمون

أيضاً نفسه آمن ولما اعتمد كان يلازم فيلبس ، وإذ رأى آيات وقوات عظيمة تجرى اندهش . ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا وصليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على احد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس " (أع ٨ : ٤ ـ ٢٤) .

وكان اعطاء موهبة الروح القدس بوضع اليد مثيراً للدهشة مما جعل سيمون يطلب هذا السلطان ولو بدراهم من الرسل ، فناله التوبيخ من بطرس ، وبهذا اتضح شرطونية وضع اليد لقبول موهبة الروح القدس فى الكهنوت وبالتالى فى التعميد ، حيث كان فيلبس هو أحد الشمامسة السبعة ، وكان يعمد باسم الرب يسوع ومع ذلك لم يكن له سلطان اعطاء موهبة الروح القدس .

وإذا أتينا إلى أفسس " وأما بولس فلبث أيضاً أياماً كثيرة ثم ودع الأخوة وسافر فى البحر إلى سوريه ومعه بريسكلا وأكيلا بعدما حلق رأسه فى كنخريا لأنه كان عليه نذر ، فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك ... ثم أقبل إلى أفسس يهودى اسمه أبولوس اسكندرى الجنس رجل فصيح مقتدر فى الكتب ، كان هذا خبيراً فى طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط ، وأبتدأ هذا يجاهر فى المجمع فلما سمعه أكيلا وبريسكلا أخذاه إليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق ... لأنه كان باشتداد يُفحم اليهود جهراً مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح ، فحدث فيما كان أبولوس فى كورنثوس أن بولس بعدما اجتاز فى النواحى العالية جاء إلى أفسس فإذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ، قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس فقال لهم فبماذا اعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا فقال بولس أن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى المسيح ، فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون " أع ١٩ : ١ـ٦

وهكذا يتضح أن معمودية الماء فى المسيحية وإن كانت تتضمن التوبة " توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا الروح القدس " أع ٢ : ٣٨ ، ولكنها قبول لعمل السيد المسيح الكفارى لمغفرة الخطية ، أو كما يقول الكتاب " دفن وقيامة معه " رو ٦ : ٣ ـ ٩ ، وبالتالى فهى تمهيد لقبول عطية الروح القدس للإشتراك فى جسد

السيد المسيح " لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً " اكو ١٢ : ١٣ .

جـ - أما أبرز المشكلات التى واجهتها الكنيسة من داخلها فقد كانت مشكلة التهود ، فإنه وإن كان السيد المسيح أوصى تلاميذه " فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " مت ٢٨ : ١٩ . " لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لى شهوداً فى أورشليم وكل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض " أع ١ : ٨ ، فإننا إذا تتبعنا الرسل نجد أن الكرازة بدأت أولاً فى اليهودية ، فقد كان التلاميذ يصعدون الهيكل للصلاة أع ٣ : ١ ، وكانوا يتممون الوصية بعدم أكل النجس أع ١٠ : ١٣ ، ولعل هذا خلق جواً لبعض المؤمنين بالسيد المسيح من اليهود أن يتمموا فرائض الناموس من حفظ السبت والختان والعبادة اليهودية بجانب الإيمان بالمسيح ، بل تصور بعض الفريسيين الذين آمنوا أن يفرضوا الناموس اليهودى على المسيحيين الذين ليسوا من أصل يهودى أع ١٥ : ٥ ، وفى المقابل لعل المؤمنين من الأمم ومن بقية اليهود تصوروا أن السيد المسيح قد حررهم من نير الناموس .

وقد امتدت المشكلة إلى خارج اليهودية " أع ١٥ : ١ ، وغل ٢ : ١١ ـ ١٤ " ، ولكن السيد المسيح حسم الأمر فى قصة رؤيا بطرس وتعميد كرنيليوس " أع ١٠ " حتى بدت الحقيقة وكأنها مفاجأة " فسمع الرسل والأخوة الذين كانوا فى اليهودية أن الأمم قبلوا كلمة الله ، ولما صعد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين أنك دخلت إلى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم ، وابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلاً : أنا كنت فى مدينة يافا أصلى فرأيت فى غيبة رؤية اناء نازلاً مثل ملاءة عظيمة مدلاة بأربعة أطراف من السماء يأتى الىّ فتفرست فيه متأملاً فرأيت دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وسمعت صوتاً قائلاً لى قم يا بطرس اذبح وكل فقلت كلا يارب لأنه لم يدخل فمى قط دنس أو نجس فأجابنى صوت ثانية من السماء ما طهره الله لا تنجسه أنت وكان هذا على ثلاث مرات ثم انتشل الجميع إلى السماء أيضاً وإذا ثلاثة رجال قد وقفوا للوقت عند البيت الذى كنت فيه مرسلين إلىّ من قيصرية فقال لى الروح أن أذهب معهم غير مرتاب

فى شئ وذهب معى أيضاً هؤلاء الأخوة الستة فدخلنا بيت الرجل فأخبرنا كيف رأى الملاك فى بيته قائماً وقائلاً له أرسل إلى يافا رجلاً واستدعى سمعان الملقب بطرس وهو يكلمك كلاماً به تخلص أنت وكل بيتك ، فلما ابتدأت أتكلم حل الروح القدس عليهم كما علينا أيضاً فى البداءة فتذكرت كلام الرب كيف قال أن يوحنا عمد بماء وأما أنتم فستعمدون بالروح القدس ، فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن أنا ؟ أقادر أن أمنع الله ؟ ، فلما سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة " أع ١١ : ١ ـ ١٨ .

ثم اتسعت المشكلة بعد أن قام بولس الرسول برحلته الأولى مع برنابا إلى أنطاكية وأيقونية ولسترة ثم انطاكية بسيدية وبمفيلية وبرجة وأتالية " وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا " (أع ١٥ : ١) . " فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرين منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من أجل هذه المسألة " أع ١٥ : ٢ . " فاجتمع الرسل والقسوس لينظروا فى هذا الأمر " أع ١٥ : ٦ . وبعد ما حصلت مباحثة كثيرة تحدث بطرس شاهداً أن الله أعطى الأمم الروح القدس ولم يميز بين اليهود والأمم إذ طهر بالإيمان قلوبهم ، ثم تحدث برنابا وبولس بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب فى الأمم بواسطتهم ، ثم تحدث يعقوب وهذا أنهى المناقشات بقوله " سمعان قد أخبر كيف افتقد الله أولاً الأمم ليأخذ منهم شعباً على اسمه وهذا توافقه أقوال الأنبياء كما هو مكتوب سارجع بعد هذا وأبنى خيمة داود الساقطة وأبنى أيضاً ردمها وأقيمها ثانية لكى يطلب الباقون من الناس الرب ، وجميع الأمم الذين دُعى اسمى عليهم يقول الرب الصانع هذا كله ، معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله ، لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم " أع ١٥ : ١ ـ ٢١ . حينئذ أنفذ الرسل هذه الرسالة : " إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم ، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً لأنه قد رأى الروح

القدس ونحن أن لا نضع ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون ، كونوا معافين " أع ١٥ : ٢٤ ـ ٢٩ .

على أن المشكلة لم تنتهى إلى هذا الحد بل أفرزت فيما بعد نوعين من الهرطقة ، الكيرنثية والأبيونية ، هذا عدا فكرة الحكم الألفى :

الكيرنثية : وهى نسبة إلى كيرنثوس الذى عاصر الرسل وكان يهودياً وتعلم الفلسفة فى الإسكندرية ، ثم ذهب إلى أورشليم ثم قيصرية فلسطين وأنطاكية ثم أفسس . نادى كيرنثوس أن يسوع هو ابن يوسف ومريم بالجسد ـ كما هو مدون بالسجلات اليهودية ـ وأن " أيون " المسيح (*) حلى على شخص يسوع وقت العماد من يوحنا المعمدان ، وحين قاوم الشريعة اليهودية وقُبض عليه ، فارقه " أيون المسيح " قبل الصليب . ثم نادى بحفظ السبت والختان ، كما نادى بملك ألفى للمسيح بعد عودته إلى الأرض مرة أخرى ، وتصور الملكوت بالجنس والشهوة الجسدية .

الأبيونية : (٧٠) وهى بدعة قريبة إلى الكيرنثية فى وصفها بأن المسيح ابن يوسف ومريم ، وفى انكار أزليته ، والتمسك بالختان وحفظ السبت ، وبالحكم الألفى للمسيح ، وقد بدأت بعد خراب أورشليم وصارت مذهباً أيام الإمبراطور تراجان (٩٨ ـ ١١٧م) ، وانتقلت هذه الأفكار مع اليهود إلى مكه واليمن الهاربين من الإضطهاد .

ومن الواضح إن انكار أزلية المسيح ، وعدم وقوع الصلب على شخص السيد المسيح ، وتصور الملكوت الأبدى بالجنس والشهوة الجسدية هى أهم الأفكار التى انتقلت إلى هذه الأماكن (أنظر مقدمة الكتاب) .

(*) كلمة أيون هى كلمة فلسفية سنأتى إليها فيما بعد .

الألفيون : ثمة بدعة يهودية أخرى بطلها الألفيون الذين كانوا ينتظرون المسيا ثم دخلوا المسيحية ، وبسبب فرط اضطهاد الرومان تصوروا اليوم الذى يملك فيه المسيح على الأرض معتمدين على سفر الرؤيا ٢٠ : ٢ ـ ٦ ، وأن الذين استشهدوا سيقومون ليملكوا معه . وقد أنتشرت هذه البدعة فى القرن الثانى الميلادى فى آسيا الصغرى وفريجية ثم فى مصر فى القرن الثالث ، وقد قاومها ديونسيوس بابا الإسكندرية فى مجمع سنة ٢٥٥م وقاومها كاى الكاهن الرومانى سنة ٢١٧م . ومع نهاية الإضطهاد فى القرن الرابع زالت أوهام الألفيين ولكنها تعود للظهور بين حين وآخر مع النشاط اليهودى (*) .

ثانياً : المشكلات الخارجية التى واجهت الكنيسة

كانت المشكلات من خارج الكنيسة تتركز فى أمور ثلاثه : اليهود وحكامهم ، الوثنيين وحكامهم وهرطقاتهم ، ثم الفلسفات المختلفة التى حاولت فهم الإيمان بصورة عقلية .

أ ـ الصدام مع اليهود :

كانت بداية المشاكل مع الصدوقيين الذين ينكرون قيامة الأموات فى حين أن الكرازة بالسيد المسيح تعتمد أساساً على الصليب والقيامة (**) " أع ٣ ، ٤ " ، ثم كان الصدام مع السنهدريم لأنهم أحسوا أن الرسل يجلبون عليهم دم المسيح " أع ٥ " ، وقد ساعد على هذا الأمر أن خدمة الرسل كانت جزئياً فى الهيكل " أع ٥ : ١٢ " ، وكان كسر الخبز يتم فى البيوت " أع ٢ : ٤٦ " : " وجرت على أيدى الرسل آيات وعجائب كثيرة فى الشعب ، وكان الجميع بنفس واحدة فى رواق سليمان ، وكان الشعب يعظمهم وكان جماهير من رجال ونساء يؤمنون وينضمون للرب أكثر .. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه .. وامتلأوا غيرة " أع ٥ : ١٢ ـ ١٧ وهكذا قُبض على بطرس ويوحنا بسبب اقامة المقعد " أع ٤ " ، وحين وُضعا فى الحبس إلى الغد وهددهما الرؤساء أن لا ينطقا البتة ولا يعلما باسم يسوع فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا إن كان حقاً

(*) شهود يهوه والسبتيين .

(**) وقد استخدم بولس الرسول هذه الحقيقة بذكاء أمام السنهدريم أع ص ٢٣ .

أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا ، وبعدما هددوهما أيضاً أطلقوهما إذ لم يجدوا البتة كيف يعاقبونهما بسبب الشعب " (أع ٤ : ١٨ ـ ٢١) .

ثم وضعوا أيديهم على الرسل ووضعوهم فى حبس العامة ولكن ملاك الرب فى الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم ، ثم ذهبوا إلى الهيكل ليبشروا ، فقُبض عليهم ثانية لا بعنف لأنهم كانوا يخافون الشعب لئلا يرجموا " فلما أحضروهم وأوقفوهم فى المجمع فسألهم رئيس الكهنة أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان ، فأجاب بطرس والرسل وقال ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس ، إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه معلقين اياه على خشبة ، هذا رفعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا ونحن شهود بهذه الأمور والروح القدس أيضاً الذى أعطاه الله للذين يطيعونه ، فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم ، فقام فى المجمع رجل فريسى اسمه غمالائيل معلم للناموس(*) مُكرَّم عند جميع الشعب وأمر أن يخرج الرسل قليلاً ثم قال لهم ، أيها الرجال الإسرائيليون احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعين أن تفعلوا ، لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلاً عن نفسه انه شئ ، الذى إلتصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة ، الذى قُتل وجميع الذين انقادوا إليه تبددوا وصاروا لا شئ ، وبعد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الإكتتاب وأذاع وراءه شعباً غفيراً ، فذاك أيضاً هلك وجميع الذين انقادوا إليه تشتتوا ، والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس وأتركوهم لأنه أن كان هذا الرأى أو هذا العمل من الناس فسوف يُنقض ، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضاً ، فانقادوا إليه ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم ، وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسِبوا مُستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه ، وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت مُعلِّمين ومُبشرين بيسوع المسيح " (أع ٥ : ٢٧ ـ ٤٢) .

(*) وهو الذى تعلم بولس الرسول على يديه (أع ٢٢ : ٣) .

أما ما لاقته الكنيسة من حكام اليهود فإن هيرودس أغريباس (٣٩ : ٤٤م) الذى كان والياً على تراخونتيس والذى أعطاه كاليجولا ولاية الجليل وأعطاه كلوديوس اليهودية والسامرة ، فإنه رأى أن اضطهاد المسيحيين يُرضى اليهود ، فقتل يعقوب ابن زبدى أخو يوحنا بحد السيف (أع ١٢ : ١ ـ ٢) ، ثم عاد وقبض على بطرس (أع ١٢ : ٣ ـ ١٧) ولكن ملاك الرب أنقذه وأخرجه من السجن ، وقد ضرب الرب هيرودس فى قيصرية حين لم يُعطِ المجد لله حين عظّمه الشعب فضربه ملاك الله وصار يأكله الدود (أع ١٢ : ٢٢).

ب ـ **المواجهة مع الوثنيين** : مع بداية انتشار المسيحية لم يميز اليونان والرومان بين اليهود والمسيحيين وكأنهم شيعة منهم ، فاستفاد المسيحيون من تساهل الأمم على غرار ما يتساهلون مع اليهود ، ولكن حينما ازداد عدد المسيحيين وظهر أن هناك فارق بين اليهود والمسيحيين انقلب الحال إلى العكس تماماً ؛ فقد لاحظ كهنة الأصنام وصانعوا التماثيل أن المسيحيين لا يترددون على الهياكل الوثنية ولا يسجدون للأصنام أو يقدموا الضحايا ، فكانوا يتهمونهم بالمروق على الديانة الوطنية ولا إله لهم . ومع أن اليونانيين والرومانيين لم يكونوا متحمسين للديانة الشعبية ، ولكنهم كانوا يتصورون أن عدم الإيمان بالآلهة يشكل بالنسبة لهم خطراً داهماً ، كما أن ابتعاد المسيحيين عن المسرات الوثنية أثار فيهم الشكوك وسوء القصد أنهم يمارسون الفجور خفية ، وبذلك يشكلون بالنسبة للعامة خطراً على الحياة العامة .

أما بالنسبة للمثقفين من الوثنيين ، والذين كانوا ينكرون إمكانية ادراك الحق ، خاصة عند الجهلاء ، فقد نظروا إلى المسيحيين باحتقار وسخرية من أجل ثقتهم فى الحصول على معرفة الله الحقيقية ، والذى يُعد بالنسبة لهم جهالة .

أما بالنسبة للحكام الوثنيين ، فإن الأباطرة الأول ، طيباريوس (١٤ ـ ٣٧م) وكاليجولا (٣٧ ـ ٤١م) وكلوديوس (٤١ ـ ٥٤م) ، لم يمكنهم أن يلاحظوا الفرق بين اليهود والمسيحيين ، ولكن حينما أمر كلوديوس بطرد اليهود من روما بسبب شغبهم ، اتضح تميزهم عن اليهود ، وأنهم ينشرون ديناً جديداً ، وهذا على خلاف قوانين الإمبراطورية ، والتى سمحت بالديانات القديمة للشعُوب الخاضعة لها ، فأوجب ذلك على الحكومة ، مطاردة هذه الديانة الجديدة والذين يدينون بها ، خاصة وأنها تنتشر بسرعة مما يُهدّد الديانة

القومية ، وعلى وجه الخصوص أن المسيحيين لم يعترفوا بالإمبراطور إلهاً ، ولم يسجدوا لصورته أو يقدموا ضحايا لتكريمة .

أما نيرون (٥٤ - ٦٨م) فبدأ اضطهاده فى سنة ٦٥م حين أحرق أكثر من نصف روما بدعوى تجديدها ، وحينما ثار الشعب عليه ، نسب الحريق إلى المسيحيين ، فأصاب المسيحيين عذابات شديدة ، خاصة بعد اتهامهم الباطل بالبغض للجنس البشرى ! ، ورغم أنه لم يصدر قانوناً عاماً للإمبراطورية بالنسبة للمسيحيين ، فقد سمح حكام المقاطعات للرعاع أن يعبروا عن بغضهم للمسيحيين بلا مسئولية ، وفى هذا العصر استشهد بطرس وبولس ، وحين انتحر نيرون سنة ٦٨ ، فمن فرط بطشه ظهرت خرافة أنه لم يمت ، بل ذهب إلى ما وراء الفرات ليعود بصفة المسيح الدجال ! .

أما فاسبسيان (٦٩ - ٧٩م) وابنه تيطس (٧٩ - ٨١م) فقد كانا متسامحين مع المسيحيين لأنهما سمحا بجميع المبادئ والأنظمة الدينية والفلسفية .

أما دومتيان (٨١ - ٩٦م) فقد تميز بسوء ظن متطرف ، وحاسب كل من عده متطرفاً ومنهم المسيحيين الذين ينتظرون مملكة المسيح ، واعتبرهم مثل اليهود الذين ينتظرون المسيا ، لهذا تعقب المسيحيين حتى خارج روما ، واستدعى يوحنا البشير ووضعه فى زيت مغلى ولم يصب بسوء فنفاه إلى جزيرة بطمس ، كما استدعى أحفاد يهوذا أخى الرب لأنهم نسل داود الذين ينتظرون المسيا ، فوجدهم ينتظرون مملكة سمائية ، واحتقرهم لفقرهم .

أما نرفا (٩٦ - ٩٨م) فكان يكره الوشايات التى راجت أيام دومتيان ، وأعاد المسيحيين المنفيين ، ولكن بقيت المسيحية كديانة غير مسموح بها .

وأما تراجان (٩٨ - ١١٧م) فقد أصدر قانون منع الجمعيات السرية سنة ٩٩م ، ولما كثرت الوشاية ضد المسيحيين قرر عدم التفتيش عنهم ولكنه أمر بإعدام من لا يسجد للآلهة ، وهكذا استشهد فى عهده إكليمنضس الرومانى غرقاً فى البحر الأسود سنة ١٠١م ، وأغناطيوس الأنطاكى لتمزقه الأسود سنة ١٠٧م وسمعان أسقف أورشليم مصلوباً .

أما هدريان (١١٧ - ١٣٨م) ففى عهده استمر القانون بإعدام من لا يسجد للآلهة ، ولكن ظهر محامون عن المسيحية بسبب المهاجمين لها ، حيث كان هدريان غيّوراً للوثنية .

وكان أنطونيوس (١٣٨ - ١٦١م) الذى خلفه مثل هدريان فى سياسته ، وحدثت أيضاً فى عهده بعض الكوارث الطبيعية أثارت الشعب أكثر ضد المسيحيين لظنهم أنها بسبب كفرهم بالآلهة ! .

أما ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م) فقد تعقب المسيحيين لأنه خشى على ديانة الحكومة وسلامة الإمبراطورية ، ونظر للمسيحيين كضالين ومُفسدين لهذا لم يُوقف الهياج الشعبى ضدهم ، وأظهر المسيحيون غيرة واستشهد منهم عدد ضخم جداً ، من بينهم يوستينوس الشهيد سنة ١٦٦م مع تلاميذه وبوليكاربوس أسقف أزمير سنة ١٦٧م تلميذ يوحنا فى موقد بالنار .

خلفه ابنه كوموديوس (١٨٠ ـ ١٩٢م) وكان الحال أهدأ ، ولكنه لم يصدر قانون لصالح المسيحيين ، وكان كوموديوس ضعيفاً سياسياً مما تسبب فى حرب أهلية لأجل العرش الإمبراطورى ، انتهى بتولى القائد سبتميوس سافيروس (١٩٣ ـ ٢١١م) الذى أصدر أمراً جديداً سنة ٢٠٢م بمنع اعتناق المسيحية ، واستمر فى ذلك حكام المقاطعات ، فقطعت رأس ليونيد والد أوريجينوس وطرحت بوتامينا فى زفت مغلى ، واستشهد إيريناؤس أسقف ليون ، وبربتوا مزقتها الوحوش ثم سيف الجلاد .

وفى أيام ابنه كاراكالوس (٢١١ ـ ٢١٧م) لم يتغير الحال ولا فى أيام ماكرينوس (٢١٧ - ٢١٨م) . أما فى أيام أجابالوس (٢١٨ - ٢٢٢م) فبسبب كثرة الشهداء ، قلّت شكوك الشعب فى المسيحيين ، كما لم يكن أجابالوس مرتبطاً بالديانة الرومانية .

تلاه سيفيروس الأسكندر (٢٢٢ - ٢٣٥م) الذى يتبع الأفلاطونية الحديثة القائلة بأن معرفة الله توجد فى الأديان كلها ، فلم يقاوم المسيحية ولكنه لم يجعلها ديانة مسموحة .

فتله ماكسيمينوس (٢٣٥ ـ ٢٣٨م) الذى تولى بعده وحاول تثبيت ذاته بأن يعضد المتعصبين للوثنية ، فأصدر مرسوم باضطهاد المسيحيين . تعاقب عليه جورديانوس (٢٣٨ - ٢٤٤م) وفيلبس العربى (٢٤٤ - ٢٤٩م) اللذان لم يضطهدا المسيحيين ، ولهذا كان المتعصبون الوثنيون يتحينون الفرصة لإمبراطور يتعقبهم ، فكان دكيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١م) الذى اصدر مرسوماً بإجبار المسيحيين على اعتناق الديانة الوطنية بكل قسوة ، فهرب منهم من هرب وخسر حقوقه الوطنية ، ومنهم من أنكر المسيح ، ومنهم من تعذب فترك المسيحية ، ومنهم من استشهد . ثم قُتل دكيوس فى حربه مع القوط وتبعه جالوس

(٢٥١ ـ ٢٥٣م) الذى اضطهد المسيحيين بسبب رفضهم تقديم الذبائح لإسترضاء الآلهة الوطنية . ثم أتى بعده فاليريانوس (٢٥٣ ـ ٢٦٠م) الذى ظل عطوفاً على المسيحيين حتى سنة ٢٥٧م ثم أمر بنفى الأساقفة ، ومنع المسيحيين من اقامة الإجتماعات ، فنفى كبريانوس ودينسيوس الأسكندرى وفى السنة التالية اصدر أمراً باعدامهم فاستشهد كبريانوس . ثم وقع فاليريانوس أسيراً فى حربه مع الفرس وجلس معه ابنه جالينوس (٢٥٩ ـ ٢٦٨م) الذى رأى أن يغير سياسته تجاه المسيحيين فعفاهم من الإضطهاد .

تلاه كلوديوس الثانى القوطى (٢٦٨ ـ ٢٧٠م) ثم أورليانوس (٢٧٠ ـ ٢٧٥م) ثم تاكتيوس (٢٧٥ ـ ٢٧٦م) ثم بروبوس (٢٧٦ ـ ٢٨١م) ثم كاروس (٢٨١ ـ ٢٨٣م) وكانت فترة راحة للكنيسة .

وفى عام ٢٨٤م تولى دقلديانوس الحكم وكان فى بداية حكمه عادلاً ، وفى سنة ٢٨٥م أقام مساعداً له فى الغرب هو مكسيميانوس بلقب أوغسطس ، ثم أقاما مساعدين لهما برتبة قيصر فى سنة ٢٩٢م ، هما فاليروس قسطنطيوس على بريطانيا وفرنسا وأسبانيا ، وجاليريوس على الشرق والذى تزوج بابنة دقلديانوس .

كان جاليريوس وثنياً عنيفاً واستصدر من دقلديانوس صهره سنة ٣٠٣م قانوناً عاماً ضد المسيحيين ، ثم صدر مرسوم آخر سنة ٣٠٤م بجلد وتعذيب المسيحيين لأجبارهم على انكار المسيحية ، ونال المسيحيون عذاباً وحشياً فى كل أنحاء الإمبراطورية . ثم تنحى دقلديانوس ومكسيميانوس سنة ٣٠٥م ليصبح قسطنطيوس أوغسطس للغرب وجاليريوس أوغسطس للشرق ، فاختار قسطنطيوس مكسنتيوس (ابن مكسيميانوس) واختار جاليريوس مساعدين لهما برتبة قيصر ، ثم مات قسطنطيوس سنة ٣٠٦م وأنتقل لقبه إلى ابنه قسطنطين . وفى سنة ٣١١م مرض جاليريوس وأختار ليكينيوس أحد قواده ليخلفه .

ثم أصدر قسطنطين وليكينيوس مرسوماً بوقف اضطهاد المسيحيين مع جاليرويوس قبل موته ، ولكن القيصر مكسيمينوس والذى تقع سوريا ومصر تحت حكمه لم يخضع للمرسوم خاصة بعد موت جاليريوس ، وانتحل لقب إمبراطور واستمر فى اضطهاد المسيحيين حتى قتل بطرس بطريرك الإسكندرية .

وفى سنة ٣١٢م أزاح قسطنطين مكسنتيوس قيصر الغرب وانتصر ليكينيوس على مكسيمينوس وتقابل قسطنطين مع ليكينيوس وأصدرا مرسوم ميلان بالعفو عن المسيحيين

وبحرية الأديان سنة ٣١٣م . وفى سنة ٣٢٤م انتصر قسطنطين على ليكينيوس ووحّد الإمبراطورية وتوفى سنة ٣٣٧م وازدهرت المسيحية فى عهده .

ولكن ثمة مشكلة واجهتها الكنيسة أيضاً بسبب الوثنيين ، ليس من الإضطهاد فحسب بل بسبب الهرطقات الناشئه عن أفكارهم . كانت أحداهما أن أعتقد البعض أن تجسد الإله الكلمة غير ممكن ، فكانوا يعتبرون السيد المسيح خيالاً ودعيوا " الدوكيتيون " وهؤلاء ماجمهم يوحنا البشير فى رسالته الأولى (١يو ٤ : ٢ ـ ٣) . وكانت الأخرى لمن نسبوا أنفسهم لنيقولاوس الشماس الدخيل الأنطاكى ودعيوا " النيقولاويون " ، وكان رأيهم أن المادة شر ، فانحلوا أخلاقياً وهاجمهم يوحنا فى سفر الرؤيا (٢ : ١٤ ـ ١٥) .

جـ ـ مشاكل الكنيسة مع الفلسفات [٣١] :

منذ عهد الأسكندر ، اختلطت الحضارات وتمازجت ، وكانت الدولة رومانية الهيكل يونانية الروح ، وكانت اللغة اليونانية لغة دولية ، لغة العلم والأدب الرفيع ، ذلك إلى جانب اللغات المحلية . واتسم هذا العهد بزوال المدن المستقلة وزال معها التقيد بديانات الآباء والأجداد ، وصار الناس أحراراً فى اختيار الآلهة المحلية من عدمه ، وأضحت الديانة أمراً شخصياً أكثر من كونها تقليداً وطنياً .

فى المقابل تحولت الفلسفة إلى الإلتصاق بالدين والتصوف بتأثير الشرق ، حتى أن الفيثاغورثية رتبت طقوساً ترمز إلى معان فسلفية .

أما الإسكندرية كمدينة فقد خلفت أثينا كمركز للفلسفة ، بل واكتظت بالعلماء ومن ثم أفرز هذا التصوف الفلسفى حقيقة " الغنوسية " . واللفظ اليونانى " غنوسيس " يعنى معرفة ومبدأ الغنوسية أن المعرفة الحقة ليست مجرد الإستدلال كالفلسفة ، بل هى اتحاد العارف بالمعروف وغايتها معرفة الله بهذه الصورة .

كان المثل الأعلى للغنوسية هى المعرفة ، لهذا كانت تعدو على الأديان المعرفة بتأويل وتحوير ، وفعلت ذلك مع الأديان الوثنية واليهودية ثم المسيحية فزرعت بذور التفرقة فى كل دين ! .

والغنوسية تضع الله فى قمة الوجود الغير المدرك ، وفى اقترابها إليه ، جعلت منه مصدراً لأرواح مُتضائلة فى الإلوهية ، أطلقوا عليها " أيونات " وأراكنة (*) ، أراد أحد هذه الأيونات أن يرتفع إلى مقام الله ، فطُرد وصدرت عنه أرواح شريرة مثله ، ثم حبس هذا الأيون الأنفس البشرية فى أجسادها فكّون الإنسان .

وقسمت الغنوسية الناس إلى طوائف : غنوسيون أصلهم إلهى يكفل لهم النجاة ، وماديون تُعيقهم المادة عن الصعود ، وحيوانيون قابلون للإرتفاع والسقوط ، ووسيلة نجاتهم أحد طريقين ، فريق قال بقهر الجسد ، وفريق آخر قال بإطلاق العنان للشهوة .

لقد وجدت الغنوسية فراغاً عظيماً بين الله والعالم ، فاحتاجت أن تملأه بالأيونات والوسطاء كى تنجو النفس بواسطتهم ، وهكذا نادى أفلاطون بآلهة الكواكب ، والرواقيون بـ " اللوغوس " ، والغنوسيون بالأيونات .

الغنوسية واليهودية :

كان بطلها هو فيلون السكندرى (٣٠ ق.م - ٥٠ ب.م) . كان كبيراً لقومه من اليهود ، وكانت التوراة قد تُرجمت لليونانية ، فأراد أن يُظهر لليونانيين أن فى التوراة فلسفة أقدم وأسمى من فلسفتهم ، فقام بشرح التوراة شرحاً رمزياً على غرار شرح الفيثاغوريين والأفلاطونيين والرواقيين لأساطير الآلهة فنادى بالآتى :

" الله خلق عقلاً خالصاً ووضع آدم كمثاله على الأرض ، وأعطاه الحس - أى حواء ، فانقاد العقل للحس باللذة - أى الحية ، فولدت النفس الشر - أى قايين ، وانعدم الخير - أى هابيل ، . وقال عن عبور البحر الأحمر أنه خروج النفس من الحياة الحسية ، واقتران إبراهيم بسارة هو اتحاد الإنسان الصالح بالفضيلة ... الخ " .

غير أن فيلون لم يرفض المعنى الحرفى للتوراة بسبب إيمانه ، وقال عن اليهودية إنها دين وليست جنسية ، وعلى هذا فاليهودى مواطن فى المكان الذى يقيم فيه ، كما عبّر عن الوعود الإلهية فى التوراة أنها أصلاً خيرات روحية للنفس الصالحة ، وعن إلتئام شمل اليهود بعد توبتهم أنه اجتماع الفضائل مع النفس .

(*) أركون تعنى رئيس .

والله عند فيلون ليس إله إسرائيل فقط بل العالم أجمع ، هو شمس الشمس ، أو الشمس المعقولة للشمس المنظورة أخذاً عن أفلاطون ، ولكنه يزيد عن أفلاطون أن الله خالق وليس بصانع فقط ، فقد خلق الأرواح خالية من المادة كما يلد العقل أفكاره .

ونظر فيلون إلى السيد المسيح بمثابة الحكيم عند الأفلاطونيين والرواقيين ، يفرض سلطانه بصفاته الخلقية ، من وقار يُوحي بالإحترام ، وهيبة توحي بالخوف واحساس يوحي بالمحبة ! .

وعلل فيلون أنه لكون النفس لا تستطيع الوصول إلى الله ، فقد جعل فلاسفة اليونان وسطاء بين الله والناس ، ودعوهم آلهة وأبطالاً ، أما موسى فدعاهم ملائكة . وجعل فيلون الوسيط الأول هو " اللوغوس " ، وذكر عنه معان متباينة : تاره هو الوسيط الذى خلق العالم ، وهو الذى به نعرف الله ، وهو الذى يشفع لنا عنده ، وتارة هو ملاك الله الذى ظهر للآباء ؛ مرة هو قانون العالم على مذهب هيراقليطس والرواقيين ، ومرة أخرى هو ابن الله البكر ، ومرة ثالثة هو الإنسان الأعلى ، إلى غير ذلك .

وفى النهاية قال عن اللوغوس أنه " إلهنا نحن الناقصين " ، الله فوق متناوله وهو فوق متناول الخليقة . وتصور فيلون أن غاية النفس هى الوصول إلى الله والاتحاد به ، أما المعرفة بالله فهى على أربع درجات : معرفة ناقصة وهى النظر إلى مخلوقاته ، والثانية هى معرفة الوسطاء ، والثالثة معرفة اللوغوس ، والرابعة ادراك الله ذاته وهى خاصة بأهل الكمال مثل موسى .

الغنوسية والمسيحية :

فى القرن الميلادى الأول ، حينما انطلق الرسل ليبشروا بين الأمم ، اصطدموا بالفلسفة اليونانية (أنظر بولس الرسول فى أريوس باغوس أع ص ١٧) ، فقد كان هناك فلاسفة محترفون اضطلعوا بمهمة الوعظ والإرشاد ، ينشرون تعاليمهم كلّ حسب مذهبه . وكان المفكرون المسيحيون الذين قبلوا الإيمان ، يعجبون بنواحٍ من الفلسفات ، ويستشهدون بها ، وينبذون أفكاراً أخرى . فقد كانوا يعجبون فى الأفلاطونية بالنفس الإنسانية الهابطة التى تتشوق إلى الله ، وينبذون فيها تناسخ الأرواح ، وأعجبوا فى الرواقية بالفضيلة والتدين والترفع عن أحداث الزمان ، ونبذوا فيها فناء الشخصية بالموت وجواز الانتحار .

نفروا من الأرسطوطالية قولها عن الله أنه ليس بخالق وهو لايعنى بالموجودات ، ونبذوا فى الأبيقورية انكارها للخلود .

وفى المقابل ، كانت هذه المدارس الفلسفية ، تنظر إلى هؤلاء البسطاء من اليهود الداعين للمسيحية ، وهم من بلاد لا تعرف الفلسفة ، نظرة الإحتقار والسخرية ، فيعجبون من الرسل الذين يجعلون من المصلوب إلهاً ، ويؤمنون بحياة بعد الموت فيقبلونه برضى ، ويعيشون بموجب قوانين المسيح بدون براهين (غير عارفين ببرهان الروح والقوة ١كو ٢ : ٤) .

وكان من أكبر الأعداء للمسيحية ، كلسس الأبيقورى ، الذى طعن فى حقائق الكتاب المقدس ، ورمي عجائبه بالسحر والخرافات في كتابه " كلمة الحق " وهو الذى رد عليه أوريجينوس فى كتابه " الرد على كلسس " .

لقد كانت الغنوسية خطراً حقيقياً على المسيحية فى الأربعة قرون الأولى ، وكان أول ظهورها فى السامرة ثم فى الإسكندرية . بدأت فى السامرة على يد سيمون الساحر ، وكان على علم بالفلسفة وذُهش من عمل الروح القدس فى المؤمنين ، فطلبها بدراهم (أع ٨) ، وادّعى أن الإله الأعلى أظهر نفسه للسامريين كآب فى شخصه هو ! ، وأظهر نفسه لليهود فى شخص المسيح ، وفى البلاد الأخرى كروح قدس . واعتمد على سحره فى نشر دعوته ، فكان حرباً على المسيحيين .

وفى القرن الثانى الميلادى علّم باسيليدس فى الإسكندرية بين سنتى ١٢٠ ، ١٤٠م بأن إله العهد القديم هو رئيس الملائكة الأشرار ، وإله العهد الجديد هو خالق العالم المعقول أبو المسيح وإله المسيحيين ، وأصدر ثمانى مجردات شخصية ، الواحد تلو الآخر منها الحكمة والعدالة والسلام ... الخ .

أما فالنتين الذى وُلِد بمصر وتعلّم بالإسكندرية وأقام فى روما من سنة ١٣٦م إلى سنة ١٦٥م ، فقد قال أن الآلهة أصدرت أيونات ، وأراد الأيون الأخير أن يحاكى الله ، فولد شيئاً مشوشاً هو الإنسان التعس ، وأراد الله أن يُخلّص الإنسانية التعيسة فنزل المسيح من السماء ، تام التكوين بدون مريم لأن المادة رديئة .

وقال مرقيون الذى هبط روما من آسيا الصغرى سنة ١٤٠م ، بأن المسيح مات من أجل البشر ، أما فالنتين فيقول أن الشيطان تألم ومات مكانه !! .

واتفق الغنوسيون فى انكار بعث الجسد ، وأن المعمودية هى بعث النفس الخاطئة من الموت الروحى .

أما فى القرن الميلادى الثالث فقد ظهرت المانوية كهرطقة مسيحية كان بطلها مانى المولود فى بابل سنة ٢١٥م ، والذى رمى إلى وضع دين جديد تتحد فيه سائر الأديان . فقال أنه خاتم المرسلين وأنه رابع ثلاثة : المسيح وزرادشت وبوذا . هم اقتصروا على الوعظ ، أما هو فأدمج الكتب القديمة وألّف منها حكمة كبرى لا نظير لها . وقال عن نفسه أنه الفارقليط ، ورفض العهد القديم وتهكم على أنبياء إسرائيل ، وذهب إلى أن المسيح لم يولد ، بل جاء كاملاً ، وأن الذى مات على الصليب هو الشيطان ، وتصرف فى الأناجيل حسب تفكيره ، وأخذ عن الأناجيل الأبوكريفا المنتشره فى زمانه . ونظم مانى " كنيسة " فى بابل ، على رأسها " الأمام " ، مقره بابل ، يليه أثنا عشر معلماً و ٧٢ أسقفاً ، وكان لها سران يمنحان للصديقين : المعمودية والقربان . والناس عنده ثلاث طوائف : الصديقون والمستمعون والخطاة . ولقد استمرت هذه البدعة الغنوسية حتى القرن الثالث عشر ، وكان لها طقوس وأعياد ، وناوأت المسيحية فى الشرق حتى الصين وفى الغرب حتى فرنسا ، وكانت كتبها معروفة بالسريانية فى القرن الرابع ، نقل عنها ابن المقفع كتب مانى ، وكتب عنها ابن النديم فى " الفهرست " وكتب عنها أحمد الشهرستانى فى " الملل والنحل " .

الأفلاطونية الحديثة :

الأفلاطونية الحديثة هى الفلسفة التى أعطت الديانة الوثنية المادية تفسيرات روحية رمزية ، ولم تفلت المسيحية من نظرياتهم ، فضموا الرب يسوع إلى الرجال العظام ، المميزين بالحكمة والتقوى ، ولهذا أدخلوا التعاليم المسيحية إلى الأفلاطونية الحديثة .

مثّل هذا الإتجاه **أمونيوس** (١٧٥ ـ ٢٥٠م) الذى عاش فى الإسكندرية فى آخر القرن الثانى ، وكان تلميذه **أفلوطين** المصرى فى بداية القرن الثالث (٢٠٥ ـ ٢٧٠م) وهو من أسيوط ، وأسس مدرسة فى روما من سنة ٢٤٠ ـ ٢٥٨م .

كانت غاية هذه الفلسفة التأمل الدينى ، ويستطيع كل من يتبعه أن يكّون لذاته مبدأ دينياً خاصاً . تأثر بها بعض الأباطرة ، وكانت تكره المسيحية لأنها لم تفسح المجال أمام نظرياتهم .

أما بورفيريوس تلميذ أفلوطين المولود فى صور (٢٣٣ ـ ٣٠٤م) ، فقد ألّف عدة مؤلفات ضد المسيحية ، فهاجم الكتاب المقدس وتعاليم الرسل ، وقال عن المسيح أنه لم يرد أن يعتبروه إلهاً ، واستخدم النقد العلمى والتاريخى والفلسفى ، ولقلة حججه لجأ إلى الشتائم والتهجم على المفسرين كما يذكر ذلك عنه يوسابيوس .

الفلسفة والهرطقات :

إن كانت الفلسفة قد نظرت إليها الكنيسة أحياناً بارتياح فى تفسير الإيمان ، فقد انحرف البعض فى طرح عقيدة الثالوث للمجادلات العقلية ، فبلغوا القول برفضه ، ودعيوا مضادى الثالوث (مونارخيين) . وكان منهم أيضاً ما يُدعوا " الديناميستيين " ، وهم الذين يرفضون الأقانيم وهى أقرب إلى الأبيونية . كان بطلها هو بولس الساموساطى أسقف كرسى انطاكية الذى أدخل التوحيد الصرف وحُرم سنة ٢٦٩م . ثم كان هناك أيضاً " المودالستيين" الذين يتحدثون عن الإبن والروح القدس كقوات إلهية لها أفعال خاصة . وكان بطلها هو سابليوس من بطلوميدا فى مصر (٢٥٠ ـ ٢٦٠م) ، والذى قال أن الله ظهر بأشكال مختلفة ، أحياناً آب وأحياناً ابن وأحياناً روح قدس وقد حرمه ديونسيوس أسقف الإسكندرية سنة ٢٦١م . وحُكم على ديونسيوس أسقف روما الذى علم نفس التعليم سنة ٢٦٢م .

المحامون أو المدافعون عن المسيحية :

المسيحيون وأن كانوا قد قدموا ذواتهم للإستشهاد ، إلا أنهم لم يقفوا مكتوفى الأيدى أمام أمرين : الأول كان دفاعاً موجهاً للحكام بقصد فحص الإيمان لوقف الإضطهاد ، والثانى كان ضد الهجمات الوثنية والفلسفات الفكرية ضد المسيحية .

ففى أيام اضطهاد هدريان (١١٧ ـ ١٣٨م) قدم كودراتوس وأرستيد دفاعات ، شارحين عمل المخلص ، والحياة الطاهرة للمسيحيين . وفى أيام خلفه الإمبراطور انطونيوس (١٣٨ ـ ١٦١م) والذى كان ضد المسيحيين مثله ، قام يوستينوس الشهيد (١٠٣ ـ ١٦٥م) الذى ولد فى نابلس من أبوين وثنيين ، وقدم دفاعه الذى فنّد فيه ادعاء الوثنيين ضد المسيحيين ، طالباً من الإمبراطور العدالة والدفاع عن الأبرياء ، وقد كان فيلسوفاً ينتمى إلى الأفلاطونية الحديثة قبل تنصره . وفى أيام ، ماركوس أوريليوس

(١٦١ ـ ١٨٠م) الذى خلف أنطونيوس وكان فيلسوفاً ، قدم أثيناغورس دفاعه إلى الإمبراطور مكذّباً كل الإتهامات الموجهة ضد المسيحيين .

وإن كانوا هناك مدافعين غير هؤلاء الذين ذكرناهم ، إلا أنه للأسف لم تؤد هذه الدفاعات إلى نتيجة .

بعد ذلك قدمت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ، دفاعات فلسفية عظيمة عن المسيحية ، كان أبطالها أثيناغورس وبنتينوس واكليمنضس وأوريجانوس .

واجه اكليمنضس الإسكندرى (١٥٠ ـ ٢١٧م) الغنوسيين والوثنيين ، وكان أول مفكر مسيحى يستخدم الفلسفة ضد من تصوروا افسادها للإيمان ، بل وشرح أهميتها لإحتياج الإنسان إلى الإيمان . وأتى بعده أوريجانوس (١٨٥ ـ ٢٥٤م) الذى يعتبر أول مسيحى يرسم الحدود بين العقل والوحى ، واستدعاه والى جزيرة العرب الرومانى ليتعلم منه الإيمان فلبى طلبه ، ومن أشهر كتبه " الرد على كلسس " .

وهكذا رغم هذه الأشواك التى سارت فيها الكنيسة الأولى من اضطهادات وفلسفات ومتاعب جمّة ، لا نجد تعليقاً على ذلك أوقع من هذه الكلمات التى وردت فى سفر أعمال الرسل : " فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، القائل بفم داود فتاك : لماذا ارتجت الأمم وتفكر الشعوب بالأباطيل ؟ ، قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذى مسحته ، هيرودس وبيلاطس البنطى مع أمم وشعوب إسرائيل ، ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يداك ومشورتك أن يكون ، والآن يارب أنظر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة ، بمد يدك للشفاء ولتجر آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع ، ولما صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة " (أع ٤ : ٢٣ ـ ٣٢) .

الفصل الخامس



التدبير الكنسى فى عصر الرسل

أولاً : الكرازة والتعليم .

+ الكرازة :

- التوجيه الإلهى .
- ارسالية الكارزين .
- الشعوب المكرز إليها .
- الله ومواجهة قضايا الكرازة .
- كيف كرز الرسل : لليهود والرؤساء والشعوب والوثنيين والفلاسفة والحكام ؟ .
- تعليق .

+ التعليم :

- الوديعة المقدسة أى مختصر العقيدة المسيحية .
- معاونى الرسل .
- الإنجيل ورسائل العهد الجديد .
- الكتب الأخرى والرسائل .

ثانياً : الإدارة والتنظيم

- الشمامسة .
- القسوس .
- الأساقفة .

ثالثاً : الليتورجية وخدمة الأسرار

- المعمودية والتثبيت وأساسهما .
- تاريخ الإفخارستيا .
- الكهنوت .
- التوبة والإعتراف .
- مسحة المرضى .
- الزواج .

رابعاً : الرعاية والخدمة الإجتماعية

- خدمة الأرامل والفقراء والمرضى والمسجونين والعبيد والخدمة الدياكونية .
- المسئولية الأدبية تجاه الحكام وغير المؤمنين .
- المسئولية الأدبية تجاه العصاة والمنحرفين من أبناء الكنيسة .

التدبير الكنسى فى عصر الرسل

يمكننا أن نضع التدبير الكنسى فى عصرالرسل تحت عناوين اربعة هى :

- الكرازة والتعليم .
- الإدارة والتنظيم .
- الخدمة الليتورجية والأسرار .
- الرعاية والخدمة الإجتماعية .

أولا: الكرازة والتعليم

أ ـ **الكرازة** : رغم ان التلاميذ كانوا من البسطاء علمياً ، ومن الفقراء مادياً ، ولم يكن لهم أى سلطان دنيوى ، ورغم أنهم لم يكوّنوا جيشاً ، أو يمسكوا سلاحاً ، أو يقيموا غزوات ، ورغم أنهم لم يلحقوا عصر الإذاعات والتلفزيون أو الصحافة والمنشورات ، فإنه فى خلال ثلاثة قرون كان العالم المعروف فى هذا الوقت قد تعرف على المسيحية ، حتى بات الإمبراطور الحاكم لهذا العالم مسيحياً .

قد يقال أن وحدة الإمبراطورية ، وسهولة الإنتقال وتأمين الطرق قد سهّل مأموريتهم . وقد يقال أن الفلسفات والأساطير والأديان المعروفة فى هذا الوقت لم تكن تُشبع النفس المتعطشة إلى الله . وقد يقال أن التشتت اليهودى والمجامع المتفرقة فى كل المسكونة واستعداد اليهودية التقية لقبول المسيا فى المسيح يسوع الفادى والمخلص ، وتحقيق نبوات العهد القديم فيه ، قد ساهمت فى انتشار الكرازة . ولاشك أن تأييد الله للرسل بالمعجزات وآيات الشفاء ساعدت الرسل فى تأكيد دعوتهم للسيدالمسيح . ويقيناً أن وراء هذا الانتشار أتعاب وأسهار وأصوام وأسفار وصلوات ودموع ودماء بُذلت . ولكن رغم هذا كله يبقى سر خفى ، بدونه ما كان الرسل يصلون إلى هذه النتيجة بهذه الصورة التى وصل بها الإيمان إلى أقاصى الأرض . ولعل هذا السر يمكننا أن نستكشفه فى الأعداد الكتابية الآتية :

١ – " فتقدم يسوع وكلمهم قائلا دُفع إلىّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر " (مت ٢٨ : ١٨ـ ١٩) .

٢ - " ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم " (مت ١٠ : ١٦ ـ ٢٠) .

٣ - " وقال هكذا ملكوت الله كأنما إنسان يلقى البذار على الأرض وينام ويقوم ليلاً ونهاراً والبذار يطلع وينمو وهو لا يعلم كيف " (مر ٤ : ٢٦ ـ ٢٨) .

٤ - " فقال لهم إن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده ... فرجع السبعون بفرح قائلين يارب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك فقال لهم رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شئ " (لو ١٠ : ٢ و ١٧ ـ ١٩) .

٥ - " ثم قال لهم حين أرسلتكم بلا كيس ولا مذود ولا أحذيه هل أعوزكم شئ فقالوا لا " (لو ٢٢ : ٣٥) .

٦ - " حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وقال لهم هكذا هو مكتوب وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث وأن يُكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم وأنتم شهود لذلك وها أنا أرسل اليكم موعد أبى فأقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى " (لو ٢٤ : ٤٥ ـ ٤٩) .

٧ - " أنه مكتوب فى الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله فكل من سمع من الآب وتعلم يُقبل الىّ " (يو ٦ : ٤٥) .

٨ - " فقال لهم يسوع أيضاً الحق الحق أقول لكم إنى أنا باب الخراف ، جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم ، أنا هو الباب إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى .. . ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة لراع واحد " (يو ١٠ : ٧ـ ٩ ، ١٦) .

٩ - " وأنا إن ارتفعت أجذب إلىّ الجميع قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت " (يو ١٢ : ٣٢ ـ ٣٣) .

١٠ - " قد سميتكم أحباء لأنى علمتكم بكل ما سمعته من أبـى ، ليس أنتم إخترتمونى بل أنا اخترتكم واقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم " (يو ١٥ : ١٥ ـ ١٦) .

١١ - " إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكـن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأمّا متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنـه لا يتكلم من نفسـه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيـه ، ذاك يمجدنـى لأنـه يأخذ ممـا لـى ويخبركم ، كل ما للآب هو لى لهذا قلت أنه يأخذ مما لى ويخبركم " (يو ١٦ : ١٢ ـ ١٥) .

١٢ ـ ونختم هذه الأعداد الكتابية بصلاة السيد المسيح المسموعة والمسجلة :

" كما أرسلتنى إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم ... ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسـلتنى ، وأنـا أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد " (يو ١٧ : ١٨ ، ٢٠ ـ ٢٢) .

لعل الإنسان يصمت أمام الأسرار المدوّنة فى هذه الكلمـات ويـدرك أن العمـل الكـرازى الذى قام به الرسل أعظم من أن يخطه قلم لأن الإنسان يجابه فيه دعوة الله العليا إلـى حياة تسمو على هذه الطبيعة الترابية التى للإنسان ، وتكشف للإنسان سـر خلقتـه ، وسـر البنوه التى منحها الله للإنسـان ، وسـر حيـاة التقديس الممنوحـة مـن اللـه للإنسـان والتـى بدونها لا يعاين أحد الله : " مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركـة روحيـة فـى السماويات فى المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبه إذ سبق فعيننا للتبنى لنفسه بيسوع المسيح حسب مسـرة مشيئته ... الـذى فيـه لنـا الفـداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة إذ عرفنـا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة ليجمـع كـل شـئ فـى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك " (أف ١ : ٣ ـ ١٠) .

والآن فلنتأمل فى الأحداث التالية من سفر اعمال الرسل لنرى عمل اللـه الواضـح فـى الكرازة والكارزين ، فى الأفراد وفى الشعوب ، حتى فى المواقع التى توجه لهـا الكـرازة :

" فـى صـبر كثير فىشدائد فـى ضـرورات فـى ضيقـات فـى ضربـات فـى سـجون فـى اضطرابات فى اتعاب فى اسهار فى أصـوام فـى طهـارة فـى علم فـى أنـاة فـى لطـف فـى

الروح القدس فى محبة بلا رياء فى كلام الحق فى قوة الله بسلاح البر لليمين ولليسار بمجد وهوان بصيت ردئ وصيت حسن " (٢ كو ٦ : ٤ ـ ٨) .

١ ـ **التوجيه الإلهى** : فى قصة فيلبس والخصى الحبشى (أع ص ٨) نجد : " أن ملاك الرب كلم فيلبس قائلاً قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم إلىغزة "(أع ٨ : ٢٦) . وهناك التقى بالخصى الحبشى الذى كان يقرأ سفر إشعياء فى نبوة عن السيد المسيح لم يكن يفهمها فبشره فيلبس وآمن الخصى : " فأمر أن تقف المركبة فنزل كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده ، ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصى أيضاً وذهب فى طريقه فرحاً وأما فيلبس فوُجد فى أشدود وبينما هو مجتاز كان يبشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية " (أع ٨ : ٣٨ ـ ٤٠) .
وهنا نجد توجيهاً إلهياً للكارز يصل إلى حد اختطافه من موقع إلى آخر ، وإلى المكرز إليه حيث كان وزيراً لملكة الحبشة ولعله كان نواة مؤمنى الحبشة إلى هذا اليوم .

٢ ـ **ارسالية الكارزين** : "وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما " (أع ١٣ : ١ ـ ٣) .
هنا نجد الروح القدس يوجه الكارزين ، ربما على فم الأنبياء ، ثم يزوِّد الكارز بالصوم والصلاه ووضع اليد ليتوجه إلى الموقع الذى يختاره الله . ما أعجبها كرازة !

٣ ـ **فى اختيار الشعب الذى تُوجه له الكرازة :**

أ ـ حينما كان بولس يتحدث إلى اليهود فى أورشليم قبل أن يرفع دعواه إلى قيصر قال فى (أع ص ٢٢) " وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل إنى حصلت فى غيبة فرأيته (أى يسوع) قائلاً لى اسرع **واُخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى** فقلت يارب هم يعلمون أنى كنت أحبس وأضرب فى كل مجمع الذين يؤمنون بك ، وحين سُفك دم إستفانوس شهيدك كنت أنا واقفاً وراضياً بقتله وحافظاً ثياب الذين قتلوه فقال لى اذهب **فانى سأرسلك إلى الأمم بعيداً** " (أع ٢٢ : ١ ـ ٢١) .

ب ـ وفى (أع ص ١٨) : " وبعد هذا مضى بولس من أثينا وجاء إلى كورنثوس فوجد يهودياً اسمه اكيلا بنطى الجنس كان قد جاء حديثاً من إيطاليا وبرسيكلا امرأته ، لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضى جميع اليهود من رومية ، فجاء إليهما ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل لأنهما كانا خيامين ، وكان يُحاج فى المجمع كل سبت ، ولما انحدر سيلا وتيموثاوس من مكدونية كان بولس منحصراً فى الروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، وإذ كانوا يقاومون ويجدفون نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم ... فقال الرب لبولس برؤيا فى الليل لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأنى أنا معك ولايقع بك أحد ليؤذيك لأنى لى شعباً كثيراً فى هذه المدينة ، فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة الله " (أع ١٨ : ١ ـ ١١) . وهنا فى المكان الذى يئس فيه بولس من الكرازة أبقاه الله فيه سنة ونصف كارزاً لأن له شعباً فيه !

جـ ـ " ثم وصل (بولس) إلى دربة ولسترة وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس ابن امرأة يهودية مؤمنة ولكن أباه يونانى وكان مشهوداً له من الإخوه الذين فى لسترة وأيقونية فأراد بولس أن يخرج هذا معه فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين فى تلك الأماكن لأن الجميع كانوا يعرفون أن أباه يونانى ، واذ كانوا يجتازون فى المدن كانوا يسلمونهم القضايا التى حكم بها الرسل والقسوس الذين فى أورشليم ليحفظوها وكانت الكنائس تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العدد كل يوم ، وبعدما اجتازوا فى فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى آسيا ، فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بثينية فلم يدعهم الروح فمروا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس " (أع ١٦ : ١ ـ ٨) .

د ـ وفيما كان بولس فى ترواس " ظهرت لبولس رؤيا فىالليل رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول اعبر إلى مكدونية واعنّا ، فلما رأى الرؤيا للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم " (أع ١٦ : ٩ ـ ١٠) .

٤ ـ الله فى مواجهة قضايا الكرازة :

أ ـ كان بطرس فى بداية الكرازة متمسكاً بيهوديته متحرجاً من ملاقاة الأمميين فظهرت له رؤيا وهو فى يافا (أع ص١٠) وهى ملاءة نازلة من السماء بها كل وحوش ودواب الأرض والزحافات وطيور السماء وصوت الرب يقول قم يا بطرس اذبح وكُل ، فيرفض بطرس متبعا وصايا الناموس وتم ذلك ثلاث مرات وبينما بطرس متفكر فى الرؤيا قال له

الروح هوذا ثلاثة رجال يطلبونك لكن قم وانزل معهم غير مرتاب فى شئ لأنى أنا قد أرسلتهم ، فنزل بطرس إلى الرجال الذين أرسلوا إليه من قبل كرنيليوس وقال ها أنا الذى تطلبونه ... فقالوا ان كرنيليوس قائد مئة رجلاً باراً وخائف الله ... أوصى إليه بملاك مقدس أن يستدعيك إلى بيته ويسمع منك كلاماً... وفى الغد دخلوا قيصريه فأخذ بطرس يبشرهم بالسيد المسيح " فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمه ، فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان كل من جاء مع بطرس لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً وهنا طلب بطرس الماء وأمر أن يعتمدوا باسم الرب " (أع ١٠ : ١ ـ ٤٨) .

ب ـ وفى القضية التى أثارها بعض المؤمنين من اليهود تجاه الداخلين فى الايمان من الامم وبعد أن اجتمع الرسل والمشايخ فى أورشليم (أع ص ١٥) أنفذوا الرساله التاليه : " الرسل والمشايخ والاخوة يهدون سلاما إلى الإخوة الذين من الأمم فى أنطاكية وسورية وكيلكية ، اذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تختتنوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح ، فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً ، لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر غير هذه الاشياء الواجبه أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التى إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون ، كونوا معافين " (أع ١٥ : ٢٣ ـ ٢٩) .

وهنا نرى الجميع نفساً واحدة ، موجَّهين بالروح القدس لحسم هذه القضية .

فمن كل ما تقدم نستطيع القول وبكل تأكيد ، أن الكرازة كانت عملاً إلهيا وهذا هو سر انتشارها . كانت عملاً إلهيا بالنسبة للأشخاص الكارزين ، والأماكن المُكرز بها ، والاشخاص المُكرز إليهم ، وعلى هذا نجد سفر الاعمال لا يهتم بذكر حقول الكرازة التى توجَّه إليها الآباء الرسل ، قد نرى بطرس ويوحنا معاً فى السامرة (أع ٨ : ١٤) ، وقد نرى بطرس وبولس وبرنابا سوياً فى انطاكية (أع ١٣ : ١ و غل ٢ : ١١) ، أى أن حقول الكرازة كانت متداخلة ، رغم أن بولس الرسول كان يميل أن يبشر" ليس حيث سُمى المسيح " (رو ١٥ : ٢٠) ، ولهذا نسمع عن حقول الكرازة بوجه عام عن المؤرخين

ومن التقليد .. فيقول يوسابيوس : " كانت بارثيا كما يقول التقليد من نصيب توما كحقل يعمل فيه ، وسكيثيا لاندراوس وآسيا ليوحنا الذى بعد أن عاش فيها وقتاً ما ، مات فى أفسس ويبدو أن بطرس كرز في بنطس وغلاطية وبثينيه وكبدوكية وآسيا لليهود الذين فى الشتات وإذ أتى أخيراً إلى روما صُلب منكس الرأس لأنه طلب أن يتألم بهذه الطريقة " .

أما أندراوس فوفقا لاوريجينوس فإنه كرز فى سكثيا ، ولهذا تأخذه الكنيسة الروسية شفيعاً لها ، ولو أن اليونان تقول أنه كرز بها واستشهد فى مدينة تيراس اليونانية (الدرة النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة) . ويذكر يوسابيوس أن برثلماوس كرز فى الهند ، والهنود المسيحيون يتمسكون بهذا التقليد ثم يقال أيضاً أنه بشر باليمن وبلاد العرب . ويقول القديس جيروم أن متى بشر فى بلاد فارس ولكن المؤرخين روفينوس وسقراط يقولان أنه بشر وتنيح فى بلاد الحبشة .

ويقول يوسابيوس أن تداوس بشر فى أوربا ، ويقول أحد كتب الأبوكريفا أنه بشر بين النهرين . ويقول التقليد أن سمعان القانوى بشر فى بابل وسوريا ومصر (الدرة النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة) . ويجمع المؤرخون عن يوحنا وكذلك الآباء الرسوليون مثل بابياس تلميذه أنه كان بأفسس والجزء الغربى من فريجية وأقام أساقفة هناك . أما فيلبس فكرز فى فريجية .

وإذا أتينا إلى مرقس فقد كان يصاحب خاله برنابا مع بولس ، وبعد أن فارقاه بقى مع برنابا وكرزا فى قبرص (أع ١٥ : ٣٩) ، ثم عاد وانضم إلى بولس وعاونه فى الكرازه ثم أتى إلى مصر حوالى سنة ٦٠م ، ثم عاد وكرز فى الخمس مدن الغربية بأفريقيا ، ثم منها إلى روما حيث عاون بولس ايضاً (كو ٤ : ١٠ ، ٢تى ٤ : ١١ ، فل ٢٤) ثم عاد إلى مصر واستشهد بالإسكندرية سنة ٦٨ م .

كيف كرز الرسل ؟ :

نستطيع أن نستخلص من سفر اعمال الرسل كيف وجه الروح القدس كلمات الرسل لكافه فئات البشر كما نرى فى الصورة الآتية :

١ ـ **لشعب اليهود** : أ ـ من خطاب بطرس الرسول يوم الخمسين " يسوع رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب ... هذا أخذتموه مُسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه

السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه ، الذى أقامه الله ناقضا أوجاع الموت .. لأن داود يقول فيه .. لأنك لن تترك نفسى فى الهاوية .. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك ، واذ ارتفع بيمين الله وأخذ موعد الروح القدس من الآب وسكب هذا الذى أنتم الآن تنظرونه وتسمعونه لأن داود لم يصعد إلى السموات وهو نفسه يقول قال الرب اجلس عن يمينى ... الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه رباً ومسيحاً ... ولما نخسوا فى قلوبهم .. قال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس ... " (أع ٢ : ١٤ ـ ٤٢) .

ب ـ ويقول بولس الرسول فى انطاكيه بسيديه " أيها الرجال الاسرائيليون والذين يتقوا الله اسمعوا ، ثم سرد بولس قصة بنى إسرائيل من أرض الغربة فى مصر حتى يوحنا المعمدان ، ثم قال " أيها الرجال الإخوة بنى جنس إبراهيم والذين بينكم يتقون الله إليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص لأن الساكنين فى أورشليم ورؤسائهم لم يعرفوا هذا وأقوال الأنبياء التى تُقرأ كل سبت تمموها اذ حكموا عليه ... وأنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر ولكن الله أقامه من الأموات وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم الذين هم شهوده عند الشعب ، ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم ... إذ اقام يسوع كما هو مكتوب أيضاً ... أنت ابنى أنا اليوم ولدتك .. لن تدع قدوسك يرى فساداً .. بهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى .. لأننى عملاً أعمل .. لا تصدقونه أن أخبركم أحد به " (أع ١٣ : ١٣ ـ ٤١) .

٢ ـ لرؤساء الكهنة :

أ ـ بعد أن قام بطرس ويوحنا بشفاء المقعد على باب الهيكل " حدث فى الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة ولما أقاموهما فى الوسط جعلوا يسألونهما بأية قوة وبأى اسم صنعتما أنتما هذا ، حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس وقال لهم يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل .. إنه باسم يسوع المسيح الناصرى الذى صلبتموه أنتم الذى أقامه الله من الاموات بذلك وقف هذا أمامكم صحيحاً ، هذا هو الحجر الذى احتقرتموه أيّها البناؤون الذى صار رأس الزاوية وليس بأحد غيرهُ الخلاص ... فدعوهما

وأوصوهما أن لا ينطقا البتة ولا يُعلِّمَا باسم يسوع . فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا أن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا . لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا " (أع ٤ : ٥ ـ ٢٠) .

ب ـ وحينما وضعوا الرسل الذين أمسكوهم في الحبس ، أنقذهم ملاك الرب في الليل وفتح أبواب السجن وأخرجهم وقال اذهبوا وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام الحياة ... ولما أمسكوهم مرة أخرى ... أوقفوهم في المجمع فسألهم رئيس الكهنة قائلا أما أوصيناكم وصيةً أن لا تُعلِّمُوا بهذا الاسم . وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتَعليمكُم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان . فأجاب بطرس والرسل وقالوا ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس . إله آبائنا أقام يسوع الذى أنتم قتلتموه مُعلقين إياه على خشبة ، هذا رفَّعه الله بيمينه رئيساً ومخلصاً ليعطى إسرائيل التوبة وغفران الخطايا ، ونحن شهود لذلك بهذه الأمور الروح القدس أيضا الذى أعطاه الله للذين يطيعونه ... ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم ، وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنهم حُسبوا مُستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمهِ وكانوا لايزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت مُعلمين ومُبشرين بيسوع المسيح " (أع ٥ : ١٢ ـ ٤٣) .

٣ ـ أمام الشعوب الوثنية :

أ ـ فى لسترة أقام بولس الرسول الرجل العاجز من بطن أمه ، ورفعت الجموع صوتها أن الآلهه تشبهوا بالناس ، وكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس اذ كان هو المتقدم فى الكلام ، وأتى كاهن زفس بثيران وأكاليل يريد أن يذبح ، فمزق بولس وبرنابا ثيابهما قائلين ... " أيها الرجال لماذا تفعلون هذا نحن أيضاً بشر تحت الام مثلكم نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها ، الذى فى الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون فى طرقهم مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد وهو يفعل خيراً يعطينا من السماء أمطاراً وأزمنة مثمرة ويملأ قلوبنا طعاما وسروراً ... وفى الغد خرج مع برنابا إلى دربه فبشرا فى تلك المدينة وتلمذا كثيرين ثم رجع إلى لستره وأيقونية وأنطاكية يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله ، وأنتخبوا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذى كانوا قد أمنوا به " (أع ١٤ : ٨ ـ ٢٣) .

ب ـ وفى فيلبى حينما تزلزل السجن وانفتحت الأبواب ، كان حافظ السجن مزمعاً أن يقتل نفسه قال بولس وسيلا : " آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك . وكلّماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب ... واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون " (أع ١٦: ٢٥ ـ ٣٣) .

٤ ـ **وأمام الفلاسفة** : لما جاء بولس إلى أثينا وكان منتظراً سيلا وتيموثاوس ، قابله فى السوق قوم من الفلاسفه الابيقوريين والرواقيين وقالوا ماذا يريد هذا المهذار أن يقول ـ استخفافاً به ـ وأخذوه إلى أريوس باغوس فقال " أيها الرجال الأثينويون ، أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً ، لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه . لإله مجهول ، فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه هذا أنا أنادى لكم به ، الإله الذى خلق العالم وكل ما فيه ، هذا إذ هو رب السماء والأرض ، لايسكن فى هياكل مصنوعة بالأيادى ولا يُخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شئ إذ هو يعطى الجميع حياة ونفساً وكل شئ ، وصنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الأرض وحتم بالأوقات المعينة وبحدود مساكنهم لكى يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع أنه عن كل واحد منا ليس بعيداً ، لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد ، كما قال بعض شعرائكم أيضا لأننا نحن أيضا ذريته ، فإذ نحن ذرية الله لا ينبغى أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهب أو فضة أو حجر نقش صناعة واختراع إنسان . فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل ، لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برَجلٍ قد عيّنه مقدّما للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات . ولما سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون والبعض يقولون سنسمع منك عن هذا أيضاً . وهكذا خرج بولس من وسطهم . ولكن أناساً التصقوا به وآمنوا . منهم ديونيسيوس الأريوباغى وامرأة اسمها دامرس وآخرون معهما " (أع ١٧ : ١٥ ـ ٣٤) .

٥ ـ **وأمام الحكام والولاة** :

أ ـ وقف بولس أمام الوالى فيلكس فى قيصرية بعد أن قبض عليه فى الهيكل فى أورشليم بسبب تروفيمس الأفسسى الذى ظن اليهود أن بولس أدخله الهيكل ، وانحدر أيضاً حنانيا رئيس الكهنة والخطيب ترتلس وعرضوا ضد بولس أمام فيلكس وقالوا عنه أنه مقدام شيعة الناصريين ، وأنه نجّس الهيكل ، فقال بولس أمام فيلكس " لم يجدونى فى الهيكل أحاج أحداً

أو أصنع تجمعاً من الشعب ولا في المجامع ولا فى المدينـة ، ولا يستطيعون أن يثبتوا ما يشتكون به الآن عليَّ . ولكننى أقر لك بهذا أننى حسب الطريق الذي يقولون له شيعةٌ هكذا أعبد إله آبائى مؤمناً بكل ما هو مكتوب فى الناموس والأنبياء. ولى رجاء بالله فـى مـا هم أيضاً ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والأثمة. لذلك أنا أيضاً أُدرب نفسى ليكون لى دائماً ضميرٌ بلا عثرة من نحو الله والناس ... " (أع ٢٤ : ١٠ ـ ١٦) .

ب ـ وأمام فيلكس مرة أخرى مع دروسلا امرأته اليهودية وقف بولس الرسول مرة أخرى وتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون حتى ارتعب فيلكس وكان يفكر فى إطلاقه بدراهم (أع ٢٤ : ٢٤ ـ ٢٦) .

جـ ـ وأمام فستوس وأغريباس وبرنيكى كان قول بولس الرسول . " أنا واقف أحاكم على رجاء الوعد الذى صار من الله لآبائنا الذى أسباطنا الإثنا عشر يرجون نوالـه عابدين بالجهد ليلاً ونهاراً ، فمن أجل هذا الرجاء أنا أحاكم من اليهود أيها الملك أغريباس ، لماذا يُعد عندكم أمراً لا يصدق إن أقام الله أمواتاً ، فأنا ارتأيت فى نفسى أنـه ينبغى أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصرى وفعلت ذلك أيضاً ... " .

ثم تحدث عن ظهور السيد المسيح له وهو ذاهب إلى دمشق ثـم أكمل .." فقلت أنـا من أنت يا سيد فقال أنا يسوع الذى أنـت تضطهده ، ولكن قم وقف على رجليك لأنـى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهرُ لك به منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا ارسلك اليهم لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور ومن سلطان الشيطان إلى الله حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين ، من ثم أيها الملك أغريباس لم أكن معانداً للرؤيا السماوية ، بل أخبرت أولاً الذين فى دمشق وفى أورشليم حتى جميع كورة اليهوديه ثم الأمم أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة ، من أجل ذلك أمسكنى اليهود فى الهيكل وشرعوا فى قتلى ، فإذ حصلت على معونة من الله بقيت إلى هذا اليوم شاهداً للصغير والكبير ، وأنا لا أقول شيئاً بغير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون ان يؤلَم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات مزمعاً أن ينادى بنور للشعب وللأمم . وبينما هو يحتج بهذا قال فستوس أنت تهذى يا بولس ، الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان ، فقال لست أهذى أيها العزيز فستوس بل أنطق بكلمات الصدق

والصحو ، لأنه من جهة هذه الامور عالم الملك الذى أكلمه جهاراً إذ أنا لست أصدق أن يخفى عليه شئ من ذلك لأن هذا لم يفعل فى زاوية ، أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء ، أنا أعلم أنك تؤمن ، فقال أغريباس لبولس بقليل تقنعني أن أصير مسيحياً ، فقال بولس كنت أصلى إلى الله انه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود " (أع ٢٥ : ١٣ ـ ٢٦ : ٢٩) .

تعليق على الكرازة :

ومن كل ما ذكرنا نصل إلى أن أماكن الكرازة شملت المجامع اليهودية والبيوت والاسواق وأمام الولاه ، للكبير والصغير ، للجاهل والحكيم ، لليهودى والأممى ، أو كما يقول بولس الرسول " فأننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع ربنا ولكن بأنفسنا عبيد لكم من أجل يسوع " (٢كو ٤ : ٥) أو فى قول آخر " كمضلين ونحن صادقون ، كمجهولين ونحن معروفون ، كمائتين وها نحن نحيا ، كمؤدَّبين ونحن غير مقتولين ، كحزانى ونحن دائماً فرحون ، كفقراء ونحن نغنى كثيرين ، كأن لا شئ لنا ونحن نمتلك كل شئ " (٢ كو ٦ : ٤ ـ ١٠) .

ب ـ التعليم :

لم يقتصر عمل الرسل على الكرازة بعمل السيد المسيح الخلاصى ، بل أيضاً على ارساء قواعد الإيمان والعقيدة ، ذلك " لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح ، بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مستحكة مسامعهم فيصرفون مسامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات " (٢ تى ٤: ٣ ـ ٤) ، أو كما فى موضع آخر " لكن الناس الأشرار المزورين سيتقدمون إلى أردأ مضلين ومضلين " (٢ تى ٣ : ١٣) . أو كما يقول بطرس الرسول " ولكن كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة الذين يدسون بدع هلاك " (٢ بط ٢ : ١) .

كانت رسائل الرسل تشكل أحد أركان التعليم ، وفى هذا يقول بطرس الرسول " كما كتب إليكم اخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاه له كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقى الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم " (٢ بط ٣ : ١٥ ـ ١٦) .

وفى مواضع أخرى نرى التعليم شفاهاً وتقليدا ، كما يقول بولس الرسول " وأما الأمور الباقية فعندما أجئ أرتبها " (١كو ١١ : ٣٤) ، " وما تعلمتموه وتسلمتموه ورأيتموه في فهذا افعلوه " (فى ٤ : ٩) ، " أثبتوا اذاً أيها الإخوة وتمسكوا بالتقاليد التى تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا " (٢ تى ٢ : ١٥) " وما تسلمته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونوا أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً " (٢ تى ٢ : ٢) .

ولأهمية التعليم أطلق بولس الرسول على مجموعه " الوديعة المقدسة " فيقول لتلميذه الأسقف تيموثاوس " يا تيموثاوس احفظ الوديعة مُعرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الإثم " (١تى ٦ : ٢٠) ، " تمسك بصورة الكلام الصحيح الذى سمعته منى فى الإيمان والمحبة التى فى المسيح يسوع ، احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا " (٢ تى ١ : ١٣ ـ ١٤) ، ثم يوصيه " وأما أنت فاثبت على ما تعلمت وأيقنت عارفاً ممن تعلمت " (٢ تى ٣ : ١٤) .

كان أهم ما يتضمنه التعليم هو العقيدة والإيمان الصحيح وكان سبيل الرسل فى هذا الصدد هى تدوين البشائر والرسائل والتى انتهت بكتاب العهد الجديد والديداكى (*) والرسائل الأخرى التى لم يتضمنها العهد الجديد ، ثم إقامة المعاونين من التلاميذ فيما يعرف بالآباء الرسوليين ، وأساقفة الكراسى الأول وعدد ليس بقليل من الخدام والخادمات كما تضمن إقامة مدارس فى المدن الكبيرة لتأهيل الخدام وتعليمهم .

كما تضمن التعليم أيضاً الامور التنظمية والإدارية فى الكنيسة وكذلك الأسرار والتقليد الخاص بهذه الأمور وهو ما سندرسه تحت عناوينها فى هذا الفصل .

١ ـ كان جوهر التعليم الذى نادى به الرسل عن الإيمان المسلم للقديسين ، والذى قدم من أجله الشهداء رقابهم ، حتى قبل أن يكمل تدوين كتاب العهد الجديد يتلخص فى الحقائق الآتية :

ـ الله لم ينظره أحد قط ، ساكن فى نور لا يُدنى منه ، روح ، ظهر للإنسان على هيئة بشرية من الروح القدس والعذراء مريم بدون زرع بشر ، فى المسيح يسوع .

دُعى ابن الله وابن الإنسان ، صلب على عهد بيلاطس البنطى ، وقام من الأموات ، مانحاً الحياة للإنسان ، صاعداً إلى السماء كشفيع لجنس البشر ، رئيس كهنة قدم ذبيحته

(*) كتاب تعاليم الرسل .

التى هى جسده ، كفارة عن الخطايا ، مبرراً الإنسان بدمه ، هذا الإله الواحد الذى ظهر فى المسيح هو الإبن للآب غير المنظور ، الذى أعطى البشر عطية الغلبة على الموت بقيامته وانسكاب روحه القدوس عليهم ، فقدس الإنسان ، ومنحه البنوة لله .

هذه العطية الهائلة الغير منظورة ، ينالها الإنسان بدفن جسده العتيق فى المعمودية ونواله عطية الروح القدس بالكهنوت، وثباته فى المسيح بالاتحاد فى جسده ودمه الأقدسين لينمو فى النعمة ومعرفة ربنا يسوع المسيح ، مستعلناً بالروح القدس وممنوحاً موهبة ثمار الروح ، ومتحداً مع إخوته المؤمنين فى جسد واحد للمسيح ، الذى هو الكنيسة .

ويتضح فى هذا التعليم ظهور مقاصد الله فى العهد القديم من اختيار شعب إسرائيل كنموذج للخلاص ، وتحقيق وعوده لكافة البشر ، وارتقاء الخليقة لمشاركة السمائيين .

ويظهر من هذا التعليم أنه سرائرى ، ومتجنب للجدل العقيم ، ويعتمد على شهادة الشهود ، ونبل القصد ، والبذل فى إعلانه للأخرين ، والثمار الصالحة فى الإنسان ، كنور للأخرين وكنتيجة طبيعية لسكنى الله فى الإنسان ولبسه للمسيح .

كما يتميز هذا التعليم بشريعة الكمال التى تفوق وصايا العهد القديم بسبب عمل النعمة فى الإنسان الجديد ، والتى نشأت عن سُكنى روح الله فيه ، وليست براً ذاتياً من الإنسان .

كما يثمر هذا التعليم عدالة اجتماعية ، على أساس أن كل البشر صاروا جسداً واحداً كأعضاء فى جسد المسيح .

ويعلن هذا التعليم حقيقة الدينونة الأبدية ، للشيطان والاشرار رافضى النعمة والخلاص فى المسيح ، كما يعلن ملكوت الله داخل الإنسان كعربون للحياة السمائية ووجود الإنسان فى حضرة الله .

ومن الواضح فى هذا التعليم أن الآباء الرسل لم يستخدموا كلمة ثالوث أو صفة ذاتية أو أقنوم (*) لأنهم لم يلجأوا إلى كلام الحكمة الإنسانية المقنع بل برهان الروح والقوة (اكو٢:٤) ، والتى تعطى الإنسان تمييز الأفكار المخالفة ، بل القدرة على تمييز وامتحان الأرواح ، وعلى هذا فحقيقة الآب والإبن والروح القدس كانت تتضح من منطلق عملها فى الإنسان : " أمين هو الله الذى به دعيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا "(اكو ١ : ٩).

(*) أستخدمت فيما بعد لتوضيح العقيدة أمام الهرطقات .

" لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به " (١كو ٨ : ٦) .

" ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الأب ، إذاً لست بعد عبداً بل ابناً وان كنت ابناً فوارث لله بالمسيح " (غل ٤ : ٦ - ٧) .

٢ - قام الآباء الرسل باختيار معاونين لهم فى نشر الايمان وتأسيس الكنائس ومن أشهرهم القديس تيموثاوس وكان أباه يونانياً وأمه يهودية (أع ١٦ : ١) ، والقديس تيطس وكان يونانياً (غل ٢: ١ - ٣) ، وسيلا وكان رومانياً (١كو ١٦: ١٩) ، ومن الخادمات فيبى خادمة كنيسة كنخريا (رو ١٦: ١ - ٢) وبريسكلا (١كو ١٦: ١٩) وكان اكيلا زوجها يهودياً .

كما تلمذ الرسل كثيراً من الآباء دعيوا " الآباء الرسوليين " وسيم كثير منهم أساقفة مثل اكليمنضس الرومانى الذى أصبح ثالث أسقف لروما (٩٢ - ١٠١م) بعد لينوس وأناكلتيوس وقد ذكره بولس فى رسالة فيلبى (فى ٤: ٣) ، وأغناطيوس الأنطاكى الذى يقول عنه تقليد الكنيسة السريانية أنه كان تلميذ بطرس الرسول وبولس ويوحنا ، وسيم أسقفاً لأنطاكية واستشهد أيام الإمبراطور تراجان بالقائه للوحوش بعد أن حوكم أمام والى سوريا سنة ١٠٧ م ، والقديس بوليكاربوس وكان تلميذاً ليوحنا البشير ، وسيم اسقفاً على سميرنا (أزمير) التى ذكرت فى (رؤ ٢ : ٨ - ١١) ، وقد أستشهد سنة ١٥٥م فى عهد أنطونيوس بيوس عن عمر ٨٦ عاماً بالحرق حياً ، وهرماس الذى يعتبره البعض أنه المذكور فى رو ١٦: ١٤ ، وهو كاتب كتاب " الراعى " عبارة عن رؤى ، وبابياس اسقف هيرابوليس (٧٠ - ١٥٥م) بفريجية وهو صديق بوليكاربوس . هذا غير عدد غير محدود من القسوس والتلاميذ كما يتحدث سفر الأعمال عن برنابا وبولس كأحد الأمثلة " وتلمذا كثيرين ثم رجعا إلى لسترة وأيقونية وانطاكية يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذى كانوا قد آمنوا به " (أع ١٤ : ٢١ - ٢٣) .
كما كانوا يتابعون التعليم بمثابرة " ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخوتنا فى كل مدينة نادينا بها بكلمة الرب كيف هم " (أع ١٥: ٣٦) ، وهذا يوضح رسوخ الإيمان والعقيدة الصحيحة منذ الأيام الأولى للكرازة .

٣ ـ كان أمراً طبيعياً أن يكون من الآباء الرسل من هم مدونين لسيرة السيد المسيح وشارحين لحقائق الإيمان . وكان طبيعياً أيضاً أن يتصدى لهذا العمل بعض المدونين الأخرين الذين يكونون متأثرين بإيمانهم اليهودى ، أو بآراء فلسفية أو هرطقية أو غنوسية كما أنه لم يقم الرسل فقط بكتابة الأناجيل والرسائل ، بل أن الآباء الرسوليين قاموا أيضاً بكتابة رسائل مختلفة ، ولهذا كان هناك عدد ليس بقليل من الأناجيل والرسائل ، ولكنه **بسبب وضوح الايمان السليم منذ الأيام الأولى للكرازة ، اقتصر كتاب العهد الجديد على الأناجيل الأربعة وسفر الأعمال ورسائل بولس الأربعة عشر ورسائل الكاثوليكون ورؤيا** يوحنا ، كما أعتَمدت ايضاً بعض رسائل الآباء الرسوليين ، وفيما عدا ذلك سميت الأناجيل الأخرى " أبو كريفا " أى مزورة ودعيت الرسائل الأخرى أيضاً مزورة .

وقد أستقرت أسفار العهد الجديد على ما هى عليه قبل عام ٧٠م ، فيما عدا إنجيل يوحنا ورسائله ورؤياه حيث عاش يوحنا إلى العام المائة بعد الميلاد . وهناك من الأدلة والشهادات المختلفة التى تؤكد استقرار الكنيسة الأولى على أسفار العهد الجديد كما هى الأن .

من هذه الأدلة استشهاد كافة الآباء الرسوليين بهذه الأسفار مثل اكليمنضس الرومانى وهرماس وبوليكاربوس ، وبابياس وأغناطيوس وهيرابوليس ويوستينوس الشهيد وتلميذه تاتيان ، ثم اكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس وايرناوس وبنثينوس وأريجانوس ويوسابيوس وكيرلس الاورشليمى وأبيفانيوس وجيروم .

وفى وثيقة تاريخية يرجع تاريخها إلى قبل سنة ١٧٠م من مخطوطة كانت فى مكتبة أمبروسيوس بميلان ، والتى كانت أصلاً فى الدير الايرلندى الكبير فى بوبيو ، نشرها العالم الايطالى موراتورى سنة ١٧٤٠م ، كان مثبت فيها هذه الأسفار كأسفار قانونية .

كما أن أقدم النسخ للكتاب المقدس بالمناطق المختلفة والتى تعود للقرن الرابع تحوى أسفار العهد الجديد كما هى الأن ، وبعضها يضم إحدى رسائل الآباء الرسوليين .

هذا غير الأدلة التاريخية والجغرافية والمنطقية التى تدل على سلامة هذه الأسفار. على سبيل المثال ، فان بركة سلوام كان قد رأها القديس جيروم وكتب عنها فى شرحه لسفر إشعياء ، وكانت قد رُدمت ثم اكتشفت أواخر القرن الثامن عشر . كذلك بركة بيت حسدا والتى رُدمت أيام غزو تيطس سنة ٧٠م اكتشفت فى هذا القرن .

أما البشائر ذاتها ، والتى تختلف فى أسلوبها ، فإن القارئ بغير هوى يستطيع أن يدرك صدقها من بساطتها وعدم المبالغة فى أحداثها ، وتطابقها مع اختلاف رؤية كاتبيها ، وعدم إغفال ضعف كتابها ، وعدم تعارضها مع تعليم العهد القديم ، واظهارها للحق والهدف الإلهى كنور ساطع .

أما عن الكتب والرسائل الأخرى التى اعترفت بها الكنيسة ولم ترق إلى أسفار العهد الجديد فإن أهمها :

- **كتاب الديداكى** (الديداسكاليا أو الدسقولية) (٦٩) ، والتى تعنى كتاب تعليم الرسل الإثنا عشر ، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الميلادى الأول دون تحديد ، وسمى تعاليم رغم أن به قوانين ، لأنه ليس مجرد نصوص بل يمتاز بكثرة الشرح والتفسير ومحاولة اثبات الرأى عقلياً وكتابياً من نصوص الكتاب ، ويحوى ملخصاً للتعاليم الأدبية وبعض العظات للحث على قراءة الكتاب والتوبة وعظات للنساء ، وأمور تخص الأكليروس والخدام من أساقفة وشمامسة ، وبعض أمور لاهوتية وطقسية بخصوص أسرار المعمودية والإفخارستيا والأغابى ، وهو عبارة عن مقدمة و٣٩ بابا ، وتتميز بإيرادها الشواهد من الأسفار القانونية الثانية مثل باروخ ويهوديت وتتمة سفر دانيال . وتوجد نسختان بالعربية للدسقولية واحدة تنسب للراهب أبو مقار من دير يحنس القصير فى الأسقيط فى القرن الرابع عشر نشرها حافظ داود (القمص مرقس داود) سنة ١٩٢٤ وسنة ١٩٤٠ ، والثانية مخطوط بمكتبة الفاتيكان وهو مترجم من القبطية لأنبا قسما البطريرك سنة ٩٢٧م وأن الترجمة تمت سنة ١٢٩٥م بواسطة تاج الرياسة ابو اسحق ابن فضل الله والاصل اليونانى المطول ٨٥ قانون . كما أنه توجد نسخة سريانية بالفرنسية ، ونسخة حبشية مترجمة من القبطية بها قوانين الاسقف والقسوس والادارة فى الكنيسة .

- **رسالة اكليمنضس الرومانى** : وكُتبت إلى كنيسة كورنثوس لتحض على المحبة ، ووجدت ضمن النسخة الاسكندرانية للكتاب المقدس الموجود بالمتحف البريطانى .

- **رسائل أغناطيوس الانطاكى** : وهى سبعة ، موجهة إلى كنائس رومية وأفسس وغيرها وتضمنت دحضه لأراء الهراطقة .

- **رسالة بوليكاربوس** : أسقف سميرنا إلى أهل فيلبى ، وقد فند فيها أراء الغنوسيين مستخدماً عبارات يوحنا البشير .

ـ رسالة برنابا : وهى عقيدية ضد التهود ، وتشير إلى تقديس يوم الأحد ، كما تحض على طريق النور . وقد وجدت ضمن النسخة السينائية للكتاب المقدس بعد سفر الرؤيا ، ويرى العلماء أنها كُتبت قبل نهاية القرن الأول .

ـ كتاب الراعى لهرماس : وهو يحتوى على رؤى ووصايا وأمثال .

٤ ـ لم يكتف الآباء الرسل بالتعليم الشفاهى أو المكتوب بل كما يذكر المؤرخ موسيهيم عن القرن الأول ، أن الرسل أقاموا مدارس فى المدن الكبيرة لتأهيل الخدام وتعليمهم ، فيذكر أن يوحنا أقام مدرسة فى أفسس . ومن سفر الأعمال نعلم أن بولس الرسول كان يعلم فى أفسس أيضاً فى مدرسة إنسان اسمه تيرانس لمدة سنتين حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى أسيا يهود ويونانيين (أع ١٩ : ٩ ـ ١٠) ، وحتى فى وقت أسره فى روما فأنه " اقام سنتين فى بيت استأجره لنفسه وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع " (أع ٢٨ : ٣٠ ـ ٣١) .

أما عن مدرسة مار مرقس بالإسكندرية فقد صارت المدرسة اللاهوتية المسيحية الأولى فى العالم كله . حيث جمعت الإيمان بالفلسفة ، وذاع صيتها حيث قاومت المدرسة الوثنية والهرطقات الغنوسية ، وتخرج منها أعظم البطاركة الأولين الذين وقفوا ضد الهرطقات ورأسوا المجامع وسنتعرض لها بالتفصيل حينما نتحدث عن كرسى الاسكندرية .

ثانياً : الإدارة والتنظيم :

كان العمل الثانى للكرازة والتبشير هو إقامة الكنائس ، وإقامة قسوس لإتمام الخدمة والأسرار ، وهكذا نرى فى سفر الاعمال " وفى الغد خرج (بولس) مع برنابا إلى دربة فبشرا فى تلك المدينة وتلمذا كثيرين ثم رجعا إلى لسترة وايقونية وأنطاكية يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا فى الإيمان وأنه بضيقات كثيرة ينبغى أن ندخل ملكوت الله ، وانتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب الذى كانوا قد أمنوا به " (أع ١٤ : ٢٠ ـ ٢٣) .

أى أنه مع إقامة عدد من المؤمنين لكنيسة كانت خدمة الكهنوت تتم بواسطة القسوس . أما عن خدمة الشمامسة فكانت قد تحددت منذ الأيام الأولى للكرازة " وفى تلك الأيام اذ تكاثر التلاميذ ، حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كن يُغفل عنهن فى الخدمة اليومية ، فدعا الإثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد ، فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الإيمان والروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة ، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة ، فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فأختاروا استفانوس رجلاً مملوءاً من الايمان والروح القدس ، وفيلبس وبرخوروس ونيكانور وتيمون وبرميناس ونيقولاوس دخيلاً انطاكيا ، الذين اقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادى " (أع ٦ : ١ ـ ٦) .

وسنلاحظ فى إقامة القسوس والشمامسة حقيقتين : الأولى هى **الإنتخاب** " وأنتخبا لهم قسوساً " (أع ١٤: ٢٣) ، " انتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال " (أع ٦ : ٣) .

الثانية هى **طقس وضع اليد** " الذين أقاموهم أمام الرسل فصلّوا ووضعوا عليهم الأيادى " (أع ٦ : ٦) .

بعد ذلك يتضح اختصاص عمل الشمامسة من القسوس فى (أع ص ٨) " فانحدر فيلبس إلى مدينة السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح . وكان الجموع يصغون بنفس واحدة إلى ما يقوله فيلبس عند استماعهم ونظرهم الأيات التى صنعها ، لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوت عظيم وكثيرين من المفلوجين والعرج شفوا ،

فكان فرح عظيم فى تلك المدينة ... ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس لأنه لم يكن قد حل على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس " (أع ٨ : ٤ ـ ٧) .

أى أن الشمامسة حتى ولوا بشروا وأقاموا معجزات ، وحتى لو عمدوا معمودية الماء على اسم السيد المسيح لم يكن لهم سلطان أعطاء موهبة الروح القدس ، وهذا يوضح أن التنظيم والتدبير الكنسى كان واضحاً ومستقراً منذ البداية . كما ينص القانون الرسولى ٣٦ " القسوس والشمامسة بلا موافقة الأسقف لا يعملون شيئاً " .

ومع دخول عدد كبير من المؤمنين فى القرن الثانى والثالث ، دعت الضرورة إلى وظائف جديدة لتحسين الخدمة الكنسية ، مثل مراقبة الإجتماعات ، أو تلاوة الكتب المقدسة، لهذا ظهرت وظيفة مساعدى الشمامسة (الأيبونيـاكونيين) وكما سنرى وظيفة الشماسات(*) . وفى الكنائس ـ وبالأخص التى كان معظمها من اليهود الذين أمنوا ـ ظهر فى القرن الثانى والثالث وظيفة المرتلين كما يتضح من رسالة بللينى إلى ترجان سنة ١١٢م .

أما عن الأساقفة فى الكنيسة والتى تعنى " ناظر " أو " رقيب " فإننا نجد فى سفر (أع ص٢٠) " ومن ميلتيس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة فلما جاؤا إليه قال لهم أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كل الزمان أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة ، وبتجارب أصابتنى بمكايد اليهود ، كيف لم أوخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهراً ، وفى كل بيت ، شاهداً لليهود ولليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذى بربنا يسوع المسيح ... والأن ها أنا أعلم انكم لا ترون وجهى أيضاً أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كارزاً بملكوت الله ، لذلك أشهدكم اليوم هذا أنى برئ من دم الجميع لأنى لم أوخر أن اخبركم بكل مشورة الله ، إحترزوا اذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه ، لأنى أعلم أنه بعد ذهابى سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية " (أع ٢٠ : ١٧ ـ ٢٩) .

(*) تحت عنوان الخدمة والرعاية الإجتماعية .

وهنا يتضح أنه فى الأماكن التى صار فيها عدد من القسوس أقيم فيهم أيضاً أساقفة . ومن رسائل القديسين بطرس وبولس نستطيع أن نستخلص **شروطاً لإقامة الأساقفة** ، فمن **الرسالة إلى تيموثاوس** " يجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة ، صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء صالحاً للتعليم غير مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح بل حليماً غير مخاصم ولا محب للمال ، يدبر بيته حسناً ، له أولاد فى الخضوع بكل وقار ، وأنما ان كان أحد لايعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله ، غير حديث الايمان لئلا يتصلف فيسقط فى دينونه ابليس ، ويجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين من خارج لئلا يسقط فى تعيير وفخ ابليس " (١تى ٣ : ١ ـ ٧) .

ومن **الرسالة إلى تيطس** " لأنه يجب أن يكون الاسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب ولا مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع فى الربح القبيح بل مضيفاً للغرباء محباً للخير متعقلاً باراً ورعاً ضابطاً نفسه ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين " (تى ١ : ٧ ـ ٩) .

ومن **رسالة بطرس الأولى** " أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد أن يعلن ، ارعوا رعية الله التى بينكم نظاراً (أى أساقفة) لا عن اضطراب بل بالإختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية ، ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذى لا يبلى " (١بط ٥ : ١ ـ ٣) .

ولأن بولس الرسول أقام تيموثاوس ووضع عليه اليد أسقفاً على أفسس ، وأقام تيطس أسقفاً على كريت ، فقد أسدى إلى كليهما النصح ـ كأساقفة ـ ودعى تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح " (١تس ٣ : ٢) ، ونصحهُ بالآتى " لاتهمل الموهبة التى فيك المُعطاه لك بالبنوة مع وضع أيدى المشيخة ـ مجمع القسوس ـ (١تى ٤ : ١٤) ، " اذكرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوضع يدى " (٢تى ١ : ٦) ، " كما طلبت إليك أن تمكث فى أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكى توصى قوماً أن لايعلموا تعليماً آخر ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حدّ لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذى فى الإيمان " (١تى ١ : ٣ ـ ٤) .

ثم يدعوه " أطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس ، لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنه هادئة فى كل تقوى ووقار " (١تى ٢ : ١ ـ ٢) ، " هذا أكتبه إليك راجياً أن أتى إليك عن قريب ولكن ان كنت أبطئ فلكى تعلم كيف يجب أن تتصرف فى بيت الله الذى هو كنيسة الله عمود الحق وقاعدته " (١تى ٣ : ١٥) .

ثم يوصيه بنظام الصلاة للرجال والنساء (١تى ٢ : ٨ ـ ١٥) ، ومعاملته لأعضاء الكنيسة " (١تى ٥ : ١ ـ ٢) ، وخدمة الأرامل (١تى ٥ : ٣ ـ ١٦) .

ثم معاملته للقسوس " أما القسوس (الشيوخ) المدبرون حسناً فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم لأن الكتاب يقول لا تكم ثوراً دارساً والفاعل مستحق أجرته ، لا تقبل شكاية على قسيس (شيخ) إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود ، الذين يخطئون وبخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف " (١تى ٥ : ١٧ ـ ٢٠) .

ويوصيه أيضاً بالصفات التى يجب أن يتحلى بها الشمامسة (١تى ٣ : ٨ ـ ١٣) . وفى نصيحتة لتيطس : " من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك ، إن كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة له أولاد مؤمنون ليسوا فى شكاية الخلاعة ولا متمردين " (تى ١ : ٥ ـ ٦) .

ولهذا نستطيع أن نؤكد أنه منذ الأيام الأولى للكرازة كان التنظيم الكنسى قائماً كما نراه اليوم ، أى يمكننا القول أنه بذاته التنظيم الذى رتبه الله من البدء . أما فيما بعد ، فقد تحدد التنظيم الكنسى والإدارة بصورة تفصيلية فى كتاب الديداكى كما سبق القول ، فنجد مثلاً شروطاً اضافية لرجال الخدمة بأن الأصم والأعمى لا يمكن أن يكون أسقفاً (قانون ٧٨) وكذلك الممسوك من الشياطين (قانون ٧٩) والعبد بلا موافقة اسياده (قانون٨٢) وبالإجمال كل متزوج من أرملة أو مطلقة أو زانية أو أمه أو ممثلة (قانون ١٨) ، كما وُضع القانون فلتصر سيامة الأسقف من أسقفين أو ثلاثة .

وإن كان فى فى كل الأحوال ينتخب رجال الخدمة الكنسية كما رأينا ، ولكن مع مرور الزمن كان التعيين فى وظائف الخدمة غير الكهنوتية من حق الاسقف . وكما رأينا ما تم فى البداءة فى الكنيسة فى مجمع أورشليم مع مشكلة التهود ، هكذا صارت الكنيسة تحل المشكلات العامة التى تواجهها باجتماع الرؤساء معاً للنظر فى الأمر ليعمموا القانون ، وهو ماتم فى المجامع المختلفة فيما بعد مع ظهور الهرطقات .

ثالثاً : الليتورجية وخدمة الأسرار (٦٨)

كلمة أسرار ليست إبتداعاً حديثاً ، بل هى من وضع الرسل أنفسهم ، وهكذا يقول بولس الرسول فى (١كو ٤ : ١) " فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء أسرار الله " .
وكما لاحظنا فى دراستنا لأديان الشعوب محاولة الإنسان فى الحركة تجاه الله ، فإننا نجد فى المسيحية أن الله هو الذى يُقيم الإنسان إليه . وهنا فى الأسرار يمنح الله الإنسان أبواباً سمائية من خلال أمور ملموسة ، ولهذا أطلق عليها أسرار الله .

ومن الواضح أن راسم الأسرار الأول هو السيد المسيح نفسه ، بقوله للتلاميذ " عمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " (مت ٢٨ : ١٩) ، " اصنعوا هذا لذكرى " (لو ٢٢ : ١٩) ، " من غفرتم لهم خطاياهم غفرت لهم " (يو ٢٠ : ٢٣) ، " اشفوا مرضى طهروا برص " (مت ١٠ : ٨) .

ولعل أول سر مارسه التلاميذ ، وأول سر لدخول الإنسان إلى المسيحية هو سر المعمودية ثم التثبيت أى قبول عطية الروح القدس ، لقد مارس التلاميذ معمودية الماء قبل الصليب . وفى أيام يوحنا " وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى ارض اليهودية ومكث معهم هناك وكان يعمد وكان يوحنا أيضاً يعمد فى عين نون بقرب ساليم " (يو ٣ ٢٢ ـ ٢٣) ، " فلما علم الرب ان الفريسين سمعوا أن يسوع يصيّر ويُعمد تلاميذ أكثر من يوحنا مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه ، ترك اليهودية ومضى أيضاً إلى الجليل " (يو ٤ :١-٣) ، وقد شرح السيد المسيح السر نفسه لنيقوديموس (يو ٣ : ١ ـ ٢١) .

ولأن المعمودية عمل إلهى فى الإنسان ، فقد أضحت أمراً إلهياً " من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن " (مر ١٦ : ١٦) .
كانت معمودية الماء قبل الصليب معمودية توبة ، أما بعد الصليب وحلول الروح القدس فكانت لغفران الخطايا والولادة الجديدة ولقبول عطية الروح القدس " فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس " (أع ٨ : ٤ ـ ١٧) .

ومن الواضح أن منح عطية الروح القدس هى موهبة كهنوتية ، ولهذا لم تمنح إلا للآباء الرسل ثم الأساقفة فى الأيام الأولى ، وهو ما يظهر مما حدث فى السامرة حينما عمد الشماس فيلبس أهلها باسم يسوع المسيح ، ولم يقبلوا عطية الروح القدس إلا حينما نزل بطرس ويوحنا اليهم لكى يقبلوها " (أع ٨ : ٤ ـ ١٧) .

وهو أيضاً ما تم فى أفسس حينما كانوا معتمدين بمعمودية يوحنا ، وحينما نزل بولس الرسول اليهم وعمدهم باسم الرب يسوع ووضع يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون (أع ١٩ : ١ ـ ٦) .

وقد أطلق الآباء الرسل على العمل الإلهى فى المعمودية اسماء مختلفة تشرح هذه العطية فأسموها **دفن مع المسيح وقيامة معه** " أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الأب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة " (رو ٦ : ٣ ـ ٤) . " الذى مثاله (فلك نوح) يخلصنا نحن الأن أى المعمودية ، لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح " (١بط ٣ : ٢١) . " مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بايمان عمل الله الذى أقامه من الأموات " (كو ٢ : ١٢) .

وسميت أيضاً **تقديس وتبرير** " لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا " (١كو ٦ : ١١). وسميت أيضاً " **خلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح** " (كو ٢ : ١١) ، " وأطلق عليها **ميلاد ثان** " بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس " (تى ٣ : ٥) ، ودعيت أيضاً " **يقين الايمان بالدخول إلى الاقداس** " فإذا لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً بالحجاب أى جسده ، وكاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق فى يقين الإيمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى " (عب ١٠ : ١٩ ـ ٢٢) .

وحينما أزداد عدد الداخلين إلى الإيمان وأمكن لمسحة الميرون (وهى كلمة يونانية تعنى دهن أو طيب) أن تكون بديلاً لوضع اليد ، فقد اطلق على المعمودية أيضاً اسم **المسحة وعربون الروح القدس** .

" الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا " (٢كو ١ : ٢١ ـ ٢٢) ، " أما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ " (١يو ٢ : ٢٠) .

وتقول الدسقولية عن المعمودية (باب ٧ : ٦) أن الأسقف " هذا الذى من قبل وضع يده أعطاكم الرب الروح القدس ومن قبله علمكم الأوامر المقدسة وعرفتم الله وآمنتم بالمسيح هذا الذى من جهته أيضاً عُرفتم من جهة الله ورُشمتم بدهن الفرح وميرون الفهم وصرتم أبناء النور ، هذا الذى من قبل وضع يد أسقفيته عليكم فى المعمودية أرسل الرب صوته الطاهر وشهد على كل واحد منكم قائلاً أنك أنت هو ابنى وأنا اليوم ولدتك " .

ولأن الميرون مأخوذ من الأطياب التى كانت على جسد السيد المسيح فهو يشير إلى الدفن والقيامة معه ، وبالميرون أمكن للقسوس فيما بعد القيام بعمل المعمودية بديلاً عن الأسقف .

سر الافخارستيا (الشكر) (٦٧)

هو سر كسر الخبز وهو ما تحدث عنه السيد المسيح أنه سر الحياة الأبدية " أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ، أن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم " (يو ٦ : ٥١) ، وهو **سر الثبات فى المسيح للتقديس** " من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه " (يو ٦ : ٥٦) ، وهو **سر مغفرة الخطايا بذبيحة المسيح** " لأن هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا " (مت ٢٦ : ٢٨) ، وفهمه الرسل أيضاً أنه **سر أتحادنا كجسد واحد للمسيح** فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك فى الخبز الواحد (اكو ١٠ : ١٧) .

وقد ارتبط سر الافخارستيا منذ الأيام الأولى بيوم الاحد " وفى أول الأسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً " (أع ٢٠ : ٧) ، " وفى كل أول أسبوع ليضع كل واحد منكم عنده خازناً ما يسر حتى إذا جئت لا يكون جمع حينئذٍ " (اكو ١٦ : ٢) . كما ذكر " بيوم الأحد " فى **الدسقولية** ، وفى رسالة برنابا باليوم الثامن ،

ويذكره يوستينوس باليوم الأول من الأسبوع ويربطه بخلق العالم ، كما يشير أغناطيوس إلى بطلان السبت وحلول الأحد محله .

ولأن التلاميذ استلموا السر في عشاء الفصح ، فإن سر الإفخارستيا ارتبط في الأيام الأولى بوليمة أغابي (أي محبة) ، يشترك فيها الحاضرون قبل إتمام السر ، أشار إليها يهوذا في رسالته " لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة ، فجار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة ... هؤلاء صخور في ولائمكم المحبية صانعين ولائم معاً بلا خوف راعين انفسهم (يه ٤ - ١٢) . ويقول بطرس الرسول " كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة ... يتنعمون في غرورهم صانعين ولائم معكم " (٢بط ٢ : ١ - ١٣) . وقد وبخ معلمنا بولس هؤلاء الذين يسبقون فيأخذون عشاء لأنفسهم في الأكل ، ثم تحدث عن كرامة السر " (اكو ١١ : ١٧ - ٣٤) .

ويقول أغناطيوس غير مصرح بالعماد أو إقامة الأغابي بدون الأسقف . وقد استلم التلاميذ السر كما شرح معلمنا لوقا " وقال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن اتألم ، لأني أقول لكم أني لا آكل منه حتى يكمل في ملكوت الله ، ثم تناول كاساً وشكر (*) وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم لأني أقول لكم أني لا أشرب من نتاج الكرمة حتى يأتي ملكوت الله ، وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ، اصنعوا هذا لذكرى ، وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم " (لو ٢٢ : ١٥ - ٢٠) . وقبل الكأس الاخيرة : " قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وأتزر بها ثم صب ماء في مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحهما بالمنشفة التي كان متزراً بها " (يو ١٣ : ٤ - ٥) ، وبعدها أعلن عن يهوذا وأعطاه اللقمة المغموسة كعلامة ليوحنا (يو ١٣ : ٢١ - ٢٩) ، ثم سبحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون (مر ١٤ : ٢٦ ومت ٢٦ : ٣٠) .

وهكذا فقد كانت الأجزاء السرية في العشاء الرباني هي : كسر الخبز ، التطهير ، صلاة الشكر على الكأس ثم التسبيح .

(*) أي كأس الأغابي .

كما يتضح أيضاً أن سر الإفخارستيا كان سابقاً فى تأسيسه والعمل به على كل الأناجيل والرسائل ، فهو تقليد قديم قائم بذاته ، لم يستمد أصلاً من أصوله من أسفار العهد الجديد ، بل من التسليم الذى سلمه الرب نفسه ، أى أن الأسفار صدّقت على ما يتم فى السر .

وهكذا فإن الكنيسة عاشت فترة عشرات السنوات على الإفخارستيا كمصدر عبادة وتقديس وغفران وشركة ، وتقدم ألوف من الشهداء إلى الموت وكل زادهم هى الإفخارستيا ، وما كانوا يملكون إنجيلاً بل يملكوا السيد المسيح نفسه ، الذى يلتفون حوله ، ويغتذوا بجسده ودمه ، وسر حضوره .

ويمكننا متابعة الخدمة الليتورجية وانفصال الأغابى عنها من خلال :

١ـ الدسقولية من القرن الأول .

٢ـ رسالة اكليمنضس الرومانى سنة ٩٦م.

٣ـ رسائل أغناطيوس من سنة ٣٠ ـ ١٠٧م .

٤ـ رسالة بلليني والى بثينيه إلى الإمبراطور تراجان سنة ١٨٠م ، فيظهر من هذه النصوص أن الأغابى انفصلت تماماً عن الإفخارستيا مع النصف الثانى من القرن الأول ، أما هيكل السر فبقى كما هو ، وانضم كسر الخبز والشكر على الكأس فى طقس واحد .

سر الكهنوت (٧٦) :

تحدثنا تحت موضوع التنظيم والإدارة عن الأسقف والقسوس وعن انتخابهم ووضع اليد عليهم ، وعن التمييز فى العمل الكهنوتى بين الأسقف والقسوس ، وأن تتميم الأسرار لايتم إلا بالأسقف أو القسوس ولا يمكن أن يقوم به الشمامسة . ولكن يقصد بسر الكهنوت هو ما يدعى باليونانية χειρτονια شرطونية وتعنى وضع اليد ، وهى تعنى قبول عطية الروح القدس لتتميم الاسرار ، وهذا ما منحه السيد المسيح للآباء الرسل ليلة قيامته " فقال لهم يسوع أيضاً سلام لكم ، كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا ، ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم لهم خطاياهم تغفر له ومن امسكتم خطاياه أمسكت " (يو ١٠ : ٢١ ـ ٢٢) ، وهى الموهبة التى انتقلت فيما بعد بوضع اليد .

وقد شُرح ذلك تفصيلاً فيما بعد فى الدسقولية وظهر واضحاً فى كتابات الآباء الرسوليين مثل رسالة اكليمنضس الرومانى إلى أهل كورنثوس .

سر التوبة والإعتراف :

هذا السر هو الخطوة الأولى لقبول المعمودية " وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم " (أع ١٩ : ١٨) .

وهو أيضاً **سر الحل والربط** ، وفى هذا يقول السيد المسيح : " إن اخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما ، إن سمع منك فقد ربحت أخاك ، وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو إثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة ، وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة ، وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار ، الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء " (مت ١٨ : ١٥ ـ ١٨) .

ويظهر السر واضحاً أيضاً فى منح الغفران للمرضى التائبين " أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب ، وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له " ، ثم يكمل " اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات " (يع ٥ : ١٤ ـ ١٦) .

وإن كان سر الإفخارستيا يعطى لمغفرة الخطايا ، فكيف تغفر خطية بدون توبة واعتراف ؟! .

وتقول الدسقولية : "عليك أن تعترف بخطاياك فى الكنيسة ، ولا تقرب الصلاة بضمير شرير ، فهذا هو طريق الحياة (جزء ٤ : ١٤) ، وأيضاً " فى يوم الرب اجتمعوا معاً واكسروا الخبز وقدموا الشكر بعد أن تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم حتى ما تصبح ذبيحتكم طاهرة " (جزء ١٤ : ١) .

ويقول اكليمنضس الرومانى فى رسالته لكورنثوس : " لنتضرع طالبين الغفران عن تلك الخطايا ، لأنه خير للإنسان أن يعترف بخطاياه ولا يقسى قلبه كما تقست قلوب الذين قاوموا موسى عبد الله " .

ويقول أغناطيوس الشهيد : " الله يغفر لكل من يتوب إن كانت توبته تؤدى إلى الاتحاد بالله والإشتراك مع الأسقف " .

سر مسحة المرضى :

هو تأكيد لسر التوبة والإعتراف ، بل وإعلان إيمان الشخص نفسه بعمل السر " وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه وأن كان قد فعل خطية تغفر له " (يع ٥ : ٣) .

وهو تأكيد أيضاً لعمل الكهنوت فى الأسرار " أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه " (يع ٥ : ١٤ ـ ١٥) .

سر الزواج :

وهو السر الذى أعلنه الله منذ الخليقة الأولى " فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى ، هذه تدعى امرأة لأنها من امرء أخذت ، لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً " (تك ٢ : ٢٣ ـ ٢٥) .

لقد كانت الإفخارستيا سراً حيث جعلت المؤمنين جسداً واحداً فى المسيح " (١كو١٧:١٠) لهذا علّمت الكنيسة منذ البدء أن يكون الزواج سراً ، وشبّهته بزواج الكنيسة للمسيح ، وأعاد بولس الرسول نفس الكلمات التى قيلت فى سفر التكوين : " من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الإثنان جسداً واحداً ، هذا السر عظيم ولكننى أقوال من نحو المسيح والكنيسة " (أف ٥ : ٣٢ ـ ٣٣) .

ولهذا فإنه فى العصر الأول للكنيسة حيث كان يحتمل أن يكون مؤمن (أو مؤمنة) متزوجاً أصلاً من غير مؤمن ، فكان اذا مات غير المؤمن ، وأراد المؤمن أن يتزوج مرة أخرى ، فكان يلزم أن يكون الزواج الثانى من مؤمنين . " المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً ، ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط " (١كو ٧ : ٣٩) .

ويقول اغناطيوس الشهيد " يجب على المتزوجين رجالاً ونساءً الاّ يعقدوا زواجهم إلا بموافقة الأسقف حتى ما يكون زواجهم بحسب الرب ، وليس من أجل شهواتهم لتكن كل الأشياء من أجل مجد الله " .

رابعاً : الرعاية والخدمة الإجتماعية

الكنيسة منذ نشأتها جعلت من كل المؤمنين جسداً واحداً فى المسيح " فإنه كما فى جسد واحد لنا أعضاء كثيرة ، ولكن ليس جميع الأعضاء لها عمل واحد هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضنا لبعض كل واحد للآخر " (رو ١٢ : ٤ ـ ٥) .
" لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، ليس يهودى ولا يونانى ليس عبد ولا حر ليس ذكر وانثى لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع " (غل ٢ : ٢٦ ـ ٢٨) .
هذه الحقيقة جعلت للكنيسة مسئولية أدبية تجاه أبنائها .

وكما قال السيد المسيح مخاطباً الآب " لست اسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير ، ليسوا من العالم كما إنى لست من العالم ... كما ارسلتنى إلى العالم ارسلتهم أنا إلى العالم " (يو ١٧ : ١٥ ـ ١٨) ، هذا ايضاً وضع مسئولية للكنيسة تجاه المجتمع .
وهكذا تُرجمت هذه المسئوليات الأدبية إلى الحقائق الآتية :

١ ـ خدمة الارامل والفقراء والمرضى والمسجونين والعبيد والخدمة الدياكونية .
٢ ـ مسئولية أدبية تجاه الحكام وغير المؤمنين .
٣ ـ مسئولية أدبية تجاه العصاة والمنحرفين من أبناء الكنيسة .

الأرامل : نلاحظ فى سفر الأعمال بالنسبة للأرامل أمرين :
الأول هو الإعانة والرعاية المادية والتى حدت بالرسل إقامة الشمامسة (أع ص ٦) .
والثانى هو قيام الأرامل بخدمة عملية تجاه الكنيسة كما نجد فى قصة طابيثا التى أقامها بطرس فى يافا (أع ص ٨) .

ونجد صورة أخرى لهذه الحقيقة فى رسالة تيموثاؤس الأولى " اكرم الأرامل اللواتى هن بالحقيقية أرامل ، ولكن إن كانت أرملة لها أولاد أو حفده فليعلموا أولاً أن يوقروا أهل بيتهم ويوفوا والديهم المكافأة لأن هذا صالح ومقبول لدى الله ، ولكن التى هى بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله وهى تواظب الطلبات والصلوات ليلاً ونهاراً ...

لتكتتب أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد ، مشهوداً لها في أعمال صالحة ، أن تكن قد ربّت الأولاد ، أضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ساعدت المتضايقين ، اتبعت كل عمل صالح ، أما الأرامل الحدثات فأرفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن ... إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن ولا يثقل على الكنيسة لكي تساعد هي اللواتي هن بالحقيقة أرامل " (١تى ٥ : ٣ ـ ١٥) .

وقد تحدث أيضاً عن خدمة الأرامل هرماس في كتاب الراعي . وأغناطيوس الشهيد وبوليكاربوس ويوستينوس الشهيد . كما تكلّمت عنهم ايضاً تعاليم الرسل (الديداكى) .

الفقراء :

يتحدث سفر الأعمال عن الذين آمنوا " وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن أحد يقول أن شيئاً من أمواله بل كان عندهم كل شئ مشتركاً .. اذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل ، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج " (أع ٤ : ٣٢ ـ ٣٧) .

ثم يتضح من قصة حنانيا وسفيرا في (أع ص ٥) أن هذا البيع كان اختيارياً كقول بطرس الرسول لحنانيا : " أليس وهو باق كان يبقى لك ولما بيع ألم يكن في سلطانك ؟ " ، قال هذا عن ثمن الحقل الذى كذب حنانيا قائلا أنه قدمه كله في حين كان متبقياً جزء لديه .

ويتضح أيضاً من النص السابق أنهم كانوا يضعون أثمان المبيعات عند أقدام الرسل ، أى أنه كان هناك صندوق عام بالكنيسة للمحتاجين . كما يتضح أيضاً أن المحتاجين كانوا ينالون عطيتهم من الكنيسة وليس من أفراد .

ويتضح أيضاً من رسائل بولس الرسول أن الكنائس القادرة مادياً كانت ترسل معونات للكنائس المحتاجة " لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في أورشليم ، استحسنوا ذلك وإنهم لهم مديونون ، لأنه أن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً " (رو ١٥ : ٢٦ ــ ٢٧) ، أنظر أيضاً (١كو ١٦ : ١ ـ ٣) .

المرضى والعجزة والمقعدين وغير القادرين : تتحدث رسالة اكليمنضس والراعى لهرماس عن زيارة الخدام لهذه الفئات ، وسد أعوازهم المادية ، كما كانت الكنيسة تذكرهم فى صلواتها .

المحبوسين : تقول رسالة العبرانيين : " اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم والمُذَلين كأنكم أنتم ايضاً فى الجسد " (عب ١٣ : ٣) . كما تتحدث رسالة الراعى لهرماس عن زيارة الشمامسة لهم .

العبيد : يذكر التاريخ أن عدد العبيد كان أيام الإمبراطور كلوديوس (٤١ ــ ٥٤م) يوزاى نصف سكان الإمبراطورية . وقد كانت الكنيسة تعامل المؤمنين العبيد كأحرار " الدعوة التى دُعى فيها كل واحد فليلبث فيها ، دعيت وأنت عبد فلا يهمك ، بل وأن استطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى ، لأن من دُعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب ، كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح " (اكو ٧ : ٢٠ ـ ٢٢) .

لقد كان من العبيد من صار أسقفاً (كلستس أسقف روما ٢١٧ ــ ٢٢٢م) ويُذكر إن أنسيمس عبد فليمون سيم أسقفاً على بيرية ، وكان من بين العبيد أيضاً شهداء مثل فليستاس فى قرطاجة و بلاندينا فى ليون . وكانت الكنيسة تعلم العبيد أن يخدموا سادتهم كما للرب وليس كما للناس " أيها العبيد أطيعوا فى كل شئ سادتكم حسب الجسد ، لابخدمة العين كمن يرضى الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب ، وكل ما فعلتم فأعملوا من القلب كما للرب ليس للناس ، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح " (كو ٣ : ٢٢ ـ ٢٤) . " جميع الذين هم عبيد تحت نير فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه " (اتى ٦ : ١) .

ومن كان لهم سادة مؤمنون " الذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم لأنهم إخوة ، بل ليخدموهم أكثر لأن الذين يشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون " (اتى ٦ : ٢) ، وللسادة العنفاء " أيها الخدام كونوا خاضعين بكل هيبة للسادة ليس للصالحين المترفقين فقط بل للعنفاء ايضاً لأن هذا فضل إن كان أحد من أجل ضمير نحو الله يحتمل احزانا متالماً بالظلم " (ابط ٢ : ١٨ ـ ١٩) .

وفى المقابل توجه الكنيسة للسادة " أيها السادة قدموا للعبيد العدل والمساواه عالمين أن لكم أنتم أيضاً سيداً فى السموات " (كو ٤ : ١) .

هكذا بإحساس الإخوة والمحبة ساعدت الكنيسة العبيد بدون عنف وأخذت بيدهم إلى أن اُلغى الرق .

الخدمة الدياكونية :

ويقصد بها خدمة الشمامسة والشماسات ، ولهذا فهى لا تعنى فقط الخدمة الطقسية للشمامسة من الرجال . والمعنى الحرفى لكلمة دياكونيا Diakonein اليونانية تتصل بالإحتياجات الجسدية ، ولكنها استخدمت لتشمل كل أنواع الخدمات الزمنية والروحية ، حتى أطلقها السيد المسيح على نفسه " أنا بينكم كالذى يَخدمُ " (لو ٢٢ : ٢٧) .

يتحدث بولس الرسول عن هذه الخدمة بقوله " كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوى وقار لا ذوى لسانين ، غير مولعين بالخمر الكثير ، ولا طامعين بالربح القبيح ، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر ، وإنما هؤلاء ليختبروا أولاً ثم يتشمسوا ، أن كانوا بلا لوم . كذلك يجب أن تكون النساء (يقصد الشماسات) ذوات وقار غير ثالبات صاحيات أمينات فى كل شئ . ليكن الشمامسة كل بعل امرأةٍ واحدة مدبرين أولادهم وبيوتهم حسناً " (١تى ٣ : ٨ - ١٢) .

ويشهد أغناطيوس الشهيد فى رسالته إلى التراليين ويوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول عن عمل الشمامسة بجانب الخدمة الليتورجية أن يقوموا بحمل الجسد والدم الأقدسين لبيوت المرضى ، ومساعدة الأسقف فى الشئون الإدارية ، إلى جانب خدمة الفقراء .

وفى رسالة بولس الرسول لرومية نجد خدمة الدياكونية تطلق على الشماسات " أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة كنيسة كنخريا " (رو ١٦ : ١) .

وتتحدث الدسقولية عن عمل الشماسات فى مداخل النساء لمكان العبادة ، ومساعدة الأساقفة فى عماد النساء ، وافتقادهم للنساء فى البيوت .

واشترطت القوانين أن تكون الشماسة عذراء أو على الأقل أرملة سبق لها زيجة واحدة، ولم يكن لها وضع يد من الأسقف بل صلاة خاصة وردت فى قوانين الرسل . كذلك نصت قوانين الرسل أن يكون الشمامسة والشماسات على استعداد لحمل الرسائل للسفر والخدمة .

٢ـ مسئولية الكنيسة الأدبية تجاه الحكام :

المسيحية هى عمل إلهى فى القلب ، أيا كان موضع موقع الإنسان أو جنسه أو موطنه، لهذا فهى لا تختلف مع أى نظام من أنظمة الحكم الدنيوية . ولأن الإنسان فى المسيحية مسئول عن اظهار عمل المسيح فيه ، فهى ترى أن الحاكم ـ أى حاكم ـ هو مرتب من الله وليس خوفاً على الأعمال الصالحة .

يقول معلمنا بولس الرسول " لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، لأنه ليس سلطان إلا من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله ، حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ، فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان ، افعل الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح ، ولكن إن فعلت الشر فخَفْ ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل ايضاً بسبب الضمير " (رو ١٣ : ١ ـ ٥) .

ويقول أيضاً لتيموثاوس " أطلب أول كل شئ أن تقام طلبات وصلوات وإبتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس ، لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار ، لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا " (اتى ٢ : ١ ـ ٣) .

كما يقول لتيطس " ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح " (تى ٣ : ١ ـ ٢) .

ويقول معلمنا بطرس " اخضعوا لكل ترتيب بشرى من أجل الرب ، إن كان للملك فكمن هو فوق الكل ، أو للولاة فكمرسلين منه للإنتقام من فاعلى الشر وللمدح لفاعلى الخير " (ابط ٢ : ١٣ ـ ١٤) .

وقد عبّر عن هذا ايضاً اكليمنضس الرومانى فى رسالته إلى كورنثوس وبوليكاربوس فى رسالته لفيلبى . هذا من الناحية المدنية ، أما من ناحية الايمان فليس لسلطان حكم على الإنسان المسيحى لأنه " ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس " (أع ٥ : ٢٩) .

أما عن المسئولية الأدبية تجاه غير المؤمنين :

فكما علّم السيد المسيح عن المسيحيين " ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات، أنتم نور العالم . أنتم ملح الأرض " (مت ٥ : ١٣-١٦). هكذا يسلك المسيحيون.

وهكذا يتحدث معلمنا بولس عن ثمار الروح " محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف " (غل ٥ : ٢٢) ، وما أطلق عليه يعقوب الرسول " الناموس الكامل " (يع ١ : ٢٤) ، أو ناموس الحرية (يع ٢ : ١٢) ، أى باختصار " نسعى كسفراء كان الله يعظ بنا " (٢كو ٥ : ٢٠) .

وهكذا كانت وصايا الآباء الرسل للأغنياء (يع ٥ : ١ ـ ٦) ، وللنساء (ابط ٣ : ١ ـ ٦) " وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة " .
وللبنين والآباء (كو ٣ : ١٨ ــ ٢١) ، ولإحتمال التجارب (ابط ٤ : ١٢ ــ ١٦) ، (٢تس ١ : ٤ ــ ٨) ، (فى ١ : ٢٣) ، ومسالمة الآخرين (رو ١٢ : ١٨) ، وأن نكون بلا عثرة (اكو ١٠ : ٣٢) معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس (٢كو ٨ : ٢١) ، والحلم وما صيته حسن (تى ٣ : ٢ ، ٨) ، والمثابرة على العمل (٢تس ٣ : ١٠) ، وأن ننكر الفجور والشهوات العالمية ونعيش بالتعقل والبر والتقوى فى العالم الحاضر (تى ٢ : ١٢) ، واكرام الجميع (ابط ٢ : ١٧) ، وأن لا نكون تحت نير مع غير المؤمنين (٢ كو ٦ : ١٤) .

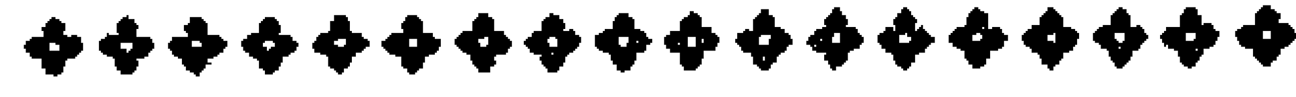
٣ـ مسئولية الكنيسة الأدبية تجاه العصاة والمنحرفين من أبنائها :

كانت هذه تهدف إلى بقاء الوسط الكنسى طاهراً نقياً ، مع الإحتفاظ بعنصر الشفقة والحنو على الخطاة . استخدم فى هذا الرسل وبعدهم الأساقفة السلطان الكنسى للبنيان لا للهدم (٢كو ١٠ : ٨ ، ١٣ : ١٠) . وقد ظهر المثل فى مرتكب الزنا فى كورنثوس " فإنى أنا كأنى غائب بالجسد ولكن حاضر بالروح قد حكمت كأنى حاضر فى الذى فعل هكذا ، باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع " (١كو ٥ : ٣ ـ ٥) ، ثم يعود فى الرسالة الثانية ويقول " مثل هذا يكفيه القصاص الذى من الأكثرين حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة " (٢ كو ٢ : ٦ ـ ٨) .

وفى الرسالة إلى تسالونيكى يقول " إن كان أحد لايطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل ولكن لا تحسبوه كعدو بل أنذروه كأخ " (٢ تس ٣ : ١٤) .

وفى الدسقولية أوصى الرسل بمعاملة الخطاة بالرحمة والعدل ، وحذروا الأسقف من القسوة ، ونصحوه بالتمهل فى الحكم ، والحذر الشديد فى عقوبة القطع من شركة الكنيسة .

الفصل السادس



تاريخ إنشاء الكراسى الرسولية ومؤسسيها :

- الرئاسة الكنسية .
- كيفية إنشاء الكراسى الأسقفية .
- بعض مؤسسى الكراسى :
  - بطرس الرسول .
  - يعقوب البار أخ الرب .
  - يوحنا البشير .
  - بولس الرسول .
  - برنابا .
  - مرقس الرسول .
- أشهر الكراسى الرسولية ومدبريها الأوائل .
  - كرسى أورشليم والثلاثة أساقفة الأول .
  - كرسى أنطاكية والثلاثة الأساقفة الأول .
  - كرسى روما والثلاثة أساقفة الأول .
  - مشكلة تقدم كرسى روما .
  - الكرسى الإسكندرى .
    - الإسكندرية : جغرافياً وتاريخياً وسكانياً وثقافياً .
    - فلسفة الإسكندرية والفكر الدينى بها .
    - المجتمع المصرى وقت دخول المسيحية .
    - ملاحظات على الكرسى الإسكندرى .
    - المدرسة اللاهوتية وأباؤها .

تاريخ إنشاء الكراسى الرسولية ومؤسسيها

الرئاسة فى الكنيسة :

بعد حادثة التجلي للسيد المسيح على الجبل ، جاء إلى كفر ناحوم " وإذ كان فى البيت سألهم بماذا كنتم تتكالمون فيما بينكم فى الطريق ؟ ، فسكتوا لأنهم تحاجوا فى الطريق بعضهم مع بعض فى من هو أعظم ، فجلس ونادى الأثنا عشر وقال لهم إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادماً للكل " (مر ٩ : ٣٣ ـ ٣٦) .

وحينما كان السيد المسيح صاعداً إلى أورشليم وتحدث مع التلاميذ عن صليبه ، طلب يعقوب ويوحنا إبنى زبدى على لسان أمهما : " قل أن يجلس إبناى هذان واحد عن يمينك والآخر عن يسارك فى ملكوتك " (مت ٢٠ : ٢١ ، مر ١٠ : ٣٥) . فكانت إجابة السيد المسيح موجهة إلى التلميذين : " لستما تعلمنا ما تطلبان ، أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ قالا نستطيع ، فقال لهما أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى " (مت ٢٠ : ٢٢ ـ ٢٣، مر ١٠ : ٣٨ ـ ٤٠) ، " فلما سمع العشرة إغتاظوا من أجل الأخوين ، فدعاهم يسوع وقال لهم أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ، ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً " (مت ٢٠ : ٢٤ ـ ٢٨ ، مر ١٠ : ٤١ ـ ٤٥) .

ظلت هذه الفكرة تراود الرسل حتى بعد العشاء الأخير : " وكانت بينهم مشاجرة من منهم يظن أن يكون أكبر ، فقال لهم ملوك الأمم يسودونهم والمتسلطون عليهم يدعون محسنين ، وأما أنتم فليس هكذا بل الكبير فيكم يكون كالأصغر والمتقدم والخادم ، لأن من هو أكبر الذى يتكئ أم الذى يخدم ؟ ، أليس الذى يتكئ ، ولكن أنا بينكم كالذى يخدم " (لو ٢٢ : ٢٤ ـ ٢٧) .

وإنطلاقاً من هذا الدرس ـ وبعد حلول الروح القدس ـ نجد كما درسنا فى كرازة الرسل ، أن حقول الكرازة كانت متداخلة ، وكان يمكن أن يكون فى مدينة واحدة أكثر

من رسول . ولكن المشاكل تبدأ حينما يتحيز المخدومون لكارز دون آخر . لهذا نجد معلمنا بولس يوبخ أهل كورنثوس : " فإنه إذ فيكم حسد وخصام وإنشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر ، لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبولس أفلستم جسديين " (١كو ٣ : ٣ ـ ٤) .

" إذاً لا تحكموا فى شئ قبل الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله ، فهذا أيها الإخوة حولته تشبيهاً إلى نفسي وإلى أبولس من أجلكم لكى تتعلموا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب كى لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر " (١كو ٤ : ٥ ـ ٦) . ولعل هذا هو سبب قول بولس الرسول فى رسالة رومية : " كنت محترصاً أن أبشر هكذا ليس حيث سمّى المسيح لئلا أبنى على أساس لآخر " (رو ١٥ : ٢٠) .

وإن كان هناك فى العصور الأولى للكنيسة من كان يحاول أن يميز رسول عن آخر ، فإنه كان هناك أيضاً من يبحثون عن المدح لأنفسهم ، ولهذا يقول بولس الرسول لأهل كورنثوس : " لأننا لا نجترئ أن نعد أنفسنا بين قوم من الذين يمدحون أنفسهم ، ولا أن نقابل أنفسنا بهم ، بل هم إذ يقيسون أنفسهم على أنفسهم ويقابلون أنفسهم بأنفسهم لا يفهمون ، ولكن نحن لا نفتخر إلى ما لا يقاس ، بل حسب قياس القانون الذى قسمه لنا الله قياساً للبلوغ إليكم ... غير مفتخرين إلى ما لا يقاس فى أتعاب الآخرين ... وأما من إفتخر فليفتخر بالرب ، لأنه ليس من مدح نفسه هو المزكى بل من يمدحه الرب ... لأن مثل هؤلاء رسل كذبه ، فعله ماكرون ، مغيرين شكلهم إلى شبه رسل المسيح ، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور ، فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر " (٢كو ١٢ : ١٨) ، (٢كو ١١ : ١٣ ـ ١٥) .

هذه المسائل الشائكة أفرزت القانون الرسولى ٣١ : " يقطع من الوظيفة المنفصلين عن الأسقف حباً فى الرئاسة " .

كيفية انشاء الكراسي الأسقفية :

فإذا أتينا لكيفية انشاء الكراسى الأسقفية ، فإن المتتبع للكرازة يلاحظ أن التبشير يبدأ في المعتاد من المدينة إلى القرية ، ومع أنتشار المسيحية فى البلاد الصغيرة والقرى ، كانت هذه التجمعات الصغيرة تتبع المدن إدراياً حسب النظام الوطنى ، لهذا فقد كان طبيعياً أن كنائس هذه القرى تتبع أسقف المدينة ، ومن هنا ظهرت رتبة " الخورى إبسكوبس " أو أساقفة القرى خاضعاً لأسقف المدينة . ولكننا نجد فى سفر الأعمال إصحاح ١٥ فى مجمع أورشليم ، المساواة القائمة بين الرسل ، وهيمنة الروح القدس على قادة الكنيسة : " لأنه قد رأى الروح القدس ونحن " (أع ١٥ : ٢٨) .

وعلى هذا كان القانون الرسولى ٣٧ : " فليكن إجتماع الأساقفة مرتين فى السنة ، وليبحثوا مع بعضهم عقائد التقوى ، وليحلوا الإختلافات الكنسية القائمة " . لهذا لم يكن هناك ثمة إنفصال بين الأساقفة ، بل وكان الإتصال أيضاً بالرسائل ، كما نرى رسالة إكليمنضس إلى كورنثوس وبوليكاربوس إلى فيلبى .

ولما كانت الإمبراطورية الرومانية تتكون من مقاطعات مختلفة ، ولكل مقاطعة مدينة رئيسية ، فقد أخذت المراكز الأسقفية فى هذه المدن الرئيسية تأخذ أهمية خاصة ، هذا بجانب أن الآباء الرسل أقاموا الأساقفة أولاً فى هذه المدن ، لهذا نال أساقفة هذه المدن تدريجياً أهمية خاصة بين أساقفة المقاطعات . ومع الوقت خُوّلوا حق دعوة الأساقفة إلى المجامع ، وتعيين موقع هذه المجامع والتصدر فيها .

وعلى هذا فقبل نهاية القرن الثالث تقدمت أسقفية أنطاكية على الشام ، والإسكندرية على مصر ، ورومية على الغرب ، فى الوقت الذى ضعفت فيه أسقفية أورشليم بعد خرابها سنة ٧٠م ، إلى أن تغيرت أحوالها بعد زيارة الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين .

ولما كانت روما هي عاصمة الإمبراطورية ، فقد تحدث بعض الكتّاب الغربيين فى القرن الثانى والثالث عن التقدم الخاص لكنيسة رومية ، ومن هنا نشأت الحساسيات ، لأن السيد المسيح لم يُقم رئيساً للتلاميذ ، بل حذرهم من ذلك ، وحذرهم من إتباع إسلوب الممالك العالمية ، وقد بدأ ظهور هذه الحساسيات بوضوح مع بروز بعض المشاكل مثل تحديد يوم عيد الفصح وعماد الهراطقة مما سنذكره فيما بعد .

وتأكيداً لتقدم أسقفيات هذه المدن الرئيسية ، فقد تمسكت كل منها بالخلافة الرسولية لأحد الرسل ، وهكذا تمسكت رومية ببطرس وبولس كمؤسسين لهذا الكرسي ، وتمسكت أنطاكية ببطرس ، أما أورشليم فكما يذكر يوسابيوس عن هيجسبوس (*) أن يعقوب البار أحد الأثنى عشر كان أول أسقف لها ، وأما عن مصر فقد كان مرقس الرسول هو مؤسسها بلا منازعة ، لهذا يمكننا أن نتتبع خطى هؤلاء المؤسسين :-

بطرس الرسول :

القديس بطرس الرسول هو أحد تلاميذ المسيح الأثنى عشر ، وكان من بيت صيدا فى الجليل على بحيرة طبرية ، كان صياداً ، دعاه أخوه أندراوس إلى الرب ، وكان أندراوس تلميذاً ليوحنا المعمدان ، تبع السيد المسيح بعد أن أعلن المعمدان أمامه " هذا هو حمل الله " (يو ١ : ٣٥) . وقد دعا الرب بطرس " صفا " (يو ١ : ٤٢) . وكلمة صفا عربية تقابلها كيفا فى الآرامية ، ويقابلها بطرس فى اليونانية ، وهى إسم مذكر يعنى حجر مقطوع من صخرة . أما كلمة صخرة فهى إسم مؤنث هو " بترا " . ولهذا فهناك فرق واضح بين صفا أو بطرس وبين بترا فى كل اللغات اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية .

ويذكر لوقا البشير شفاء حماة بطرس على يد الرب (ص ٤) ، ومعجزة صيد السمك بعد أن تعبوا الليل كله ، والتى على أثرها خر بطرس قائلاً : " أخرج يارب من سفينتى " ، فقال له يسوع : " لا تخف ، من الآن تصطاد الناس " (لو ٥ : ١٠) . ومن ذلك الوقت ترك بطرس كل شئ وتبعه .

لقد كان بطرس نموذجاً لعمل الروح القدس فى الإنسان المؤمن ... فعلى قدر غيرته فى الإيمان قبل قبول الروح القدس ، غيرة جارفة كإسمه " الحجر المقطوع من صخرة " ، فإننا نجده بدون الروح القدس منهاراً فى الإيمان بل منكراً ! ، كان هو أول من نطق من التلاميذ حين سألهم السيد المسيح عن ذاته من هو ، فأجاب : " أنت هو المسيح إبن الله الحى " (مت ١٦ : ١٣ - ١٨) ، ثم كان هو الذى أنكره أمام الجارية ! .

(*) هو أحد علماء القرن الثانى وكان يهودياً وآمن . كتب تاريخاً للكنيسة ولكنه فُقِدَ وذكر يوسابيوس بعض فقرات منه .

كان هو المندفع نحو السيد المسيح للسير على الماء ، وهو الذى بعد خطوات قليلة خاف فغاص فى المياه فسمع التوبيخ : " يا قليل الإيمان لماذا شككت ؟ " (مت ١٤ : ٣١) .
كان هو المتحمس أن لا يترك السيد المسيح حين أعلن للتلاميذ : " كلكم تشكّون فىّ هذه الليلة " فقال : " ولو إضطررت أن أموت معك لا أنكرك " (مت ٢٦ : ٣١ ـ ٣٥) ، ثم كان هو التلميذ الذى أنكر أمام العبيد ثلاث مرات أنه لا يعرفه . كان حبه للسيد المسيح جارفاً ، ولكن هذا الحب ـ بدون مسحة الروح القدس ـ تسبب فى توبيخه مرتين على فم السيد المسيح ! كانت الأولى حين أعلن اليسد المسيح لتلاميذه : " أن إبن الإنسان ينبغى أن يتألم كثيراً ويُرفض من الشيوخ والكهنة والكتبة " ، فأخذه بطرس إليه وإبتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يارب وهنا انتهره السيد المسيح أمام التلاميذ : " اذهب عنى يا شيطان لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس " (مر ٨ : ٣١ : ٣٣) .

وكانت المرة الثانية وقت القبض على السيد المسيح فى البستان ، فأندفع بطرس واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى ، عندئذٍ وبخه السيد المسيح : " اجعل سيفك فى الغمد ، الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها " (يو ١٨ : ١٠ ـ١١) . وحيث أنه قطع الأذن اليمنى فهذا معناه إما أنه كان أعسراً (أى يستعمل يده اليسرى) ، وإما أنه رغم إندفاعه كان خائفاً ، فضرب من الخلف ! لقد كان حقاً الحجر المقطوع من صخرة " ! .

وقد اختاره السيد المسيح أحد ثلاثة شهود لمجده وآلامه ، فقد كان تابعه فى إقامة ابنة يايروس رئيس المجمع من الموت (مر ٥) ، وكان الشاهد لتجلى السيد المسيح على الجبل قبساً من بهاء لاهوته (مر ٩) ، كما كان رفيقاً للشاهدين الآخرين يعقوب ويوحنا وقت الآلام فى البستان (مر ١٤) .

وبعد أن قام السيد المسيح من الموت ، كان هو المهرول مع يوحنا تجاه القبر ، وأول من دخله (يو ٢٠ : ٧) ، وكافأه السيد المسيح بالظهور له (١كو ١٥ : ٥) . ثم قام السيد المسيح بتوجيه إندفاعه فى حبه إلى الإتجاه الصحيح حين سأله أمام التلاميذ بعد القيامة : " يا سمعان بن يونا (عوده إلى اسمه الأول) ، أتحبنى أكثر من هؤلاء ؟ ، قال له يارب أنت تعلم أنى أحبك ، قال له الرب ارع خرافى " (يو ٢١ : ١٥) . وكرر السيد المسيح السؤال ثلاث مرات حتى حزن بطرس ، وهنا أخبره السيد المسيح بنهايته " الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة كنت تمنطق ذاتك وتمشى حيث تشاء ولكن متى شخت

نأنت تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء ، قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يمجد الله بها " (يو ٢١ : ١٩) .

وهنا بعد مسحه بالروح القدس ، لم يعد للخوف مكان بعد ، بل دفعه حبه الجارف للسيد المسيح فى أن يكون استشهاده بالصليب منكس الرأس ، إحساساً بعدم إستحقاقه أن يصلب كسيده ، فيستشهد مصلوباً ... وساجداً !! .

وكان مسحه بالروح القدس ، إظهاراً للنفخة التى نفخها الرب يسوع فى التلاميذ ليلة قيامته قائلاً : اقبلوا الروح القدس (يو ٢٠ : ٢٢) ، حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب (لو ٢٤ : ٢٥) لهذا نسمعه يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس : " أيها الرجال الإخوة كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقال بفم داود عن يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع ... لأنه مكتوب فى سفر المزامير لتصر داره خراباً وليأخذ وظيفته آخر " ، ثم أقترح بديلاً ليهوذا من المرافقين للسيد المسيح من البداءة فاقاموا اثنين وصلوا فوقعت القرعة على متياس (أع ١ : ١٢ - ٢٦) ، كما تذكّر قول يوئيل النبى : " وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون " (أع ٢ : ١٨) ، واسترجع ما قاله داود بالنبوة عن السيد المسيح فى المزمور : " لأنك لا تترك نفسى فى الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً " (أع ٢ : ٢٧) .

وقد استخدم السيد المسيح اندفاع بطرس فى إعلانه : " أنت هو المسيح ابن الله الحى " (مت ١٦ : ١٦) ، فى أن يُظهر أن هذا الإعلان هو الصخرة التى تأسست الكنيسة عليها ، فكان جواب السيد المسيح له : " طوبى لك يا سمعان ابن يونا ، إن لحماً ودماً لم يُعلِن لك ، لكن أبى الذى فى السموات ، وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأُعطيك مفاتيح ملكوت السموات وكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات " (مت ١٦ : ١٦ - ١٩) .

وفى هذا الإعلان يوضح السيد المسيح أن الإيمان به كـابن الله الظاهر فى الجسد هو أولاً : إعلان من الله الآب للإنسان ، وأنه الصخرة التى تُبنى عليها الكنيسة ، وأنه مفتاح فهم أسرار ملكوت الله ، وأخيراً هو أساس سر الحل والربط فى الكهنوت الكنسى .

والعجيب أنه من خلال بطرس أيضاً تظهر حقيقة هامة ، أن موهبة الروح القدس ، لا تجعل الإنسان معصوماً فكراً أو تصرفاً ، ولهذا فإن الله أوضح لبطرس الاّ يتمسك بيهوديته ، كما فى قبول كرنيليوس الوثنى الإيمان (أع ١٠) . كما نبهه بولس الرسول إلى الخطأ أن يفرز نفسه عن الأمم ، حينما نزل اخوة من عند يعقوب فى أورشليم إلى أنطاكية فكان يؤخر ويفرز نفسه عن أن يأكل مع الأمم خائفاً من الذين هم من الختان (غل ٢ : ١٢ ـ ١٥) .

كان بطرس مع الرسل بعد يوم الخمسين يواظب على " التعليم والشركة وكسر الخبز والصلوات وصار خوف فى كل نفس ، وكانت عجائب وآيات كثيرة تجرى على أيدى الرسل " (أع ٢ : ٤٢ ـ ٤٣) . وكان صعوده إلى الهيكل مع يوحنا فى صلاة الساعة التاسعة وشفائه المقعد (أع ٣) سبباً فى حبسه لأول مرة ، وواجه فيها رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل (أع ٤) .

ثم كانت حادثة حنانيا وسفيرا اللذين اختلسا من ثمن الحقل الذى باعاه وكذبا فماتا بعد كلام بطرس (أع ٥) ، ثم حُبس مرة أخرى مع الرسل فى حبس العامة بسبب التبشير بقيامة يسوع المسيح من الأموات (أع ٥) ، ولكن ملاك الرب فتح أبواب السجن وأخرجهم .

وبعد حادثة رجم إسطفانوس ، وتبشير فيلبس فى السامرة ، نزل هو ويوحنا إلى السامرة لأعطائهم موهبة الروح القدس ، وانتهر سيمون الساحر . " وأما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام وكانت تُبنى وتسير فى خوف الرب ، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر . وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع نزل أيضاً إلى القديسين الساكنين فى لدّه " (أع ٩ : ٣١ ـ ٣٢) ، وشفى إينياس ثم استدعوه إلى يافا لإقامة طابيثا، ومكث هناك أياماً كثيرة عند سمعان رجل دباغ ، والتى فيها رأى رؤيا الملاءة المُمتلئة من حيوانات الأرض ، اشارة إلى وصول الأمم إلى الإيمان (أع ١٠) ، " فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا فى اليهودية أن الأمم أيضاً قبلوا كلمة الله ولما صعد بطرس إلى أورشليم ، خاصمه الذين من أهل الختان قائلين : أنك دخلت إلى رجال ذوى غلفة وأكلت معهم ، فإبتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع " (أع ١١ : ١ ـ ٤) .

" فى ذلك الوقت ، مد هيرودس الملك يده ليسئ إلى أناس من الكنيسة فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف ، وإذ رأى إن ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً وكانت أيام الفطير ، ولما أمسكه وضعه فى السجن " (أع ١٢ : ١ ـ ٤) ثم أنقذه ملاك الرب أيضاً .

بعد هذا لا نسمع عن بطرس فى سفر الأعمال ، إلا فى مجمع أورشليم إصحاح ١٥ ، ولكنه فى رسالة غلاطية يقول معلمنا بولس : " فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علىّ بشئ بل بالعكس إذ رأو أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس على إنجيل الختان ، فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فىّ أيضاً للأمم ، فإذ علم بالنعمة المعطاه لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان " (غل ٢ : ٦ ـ ٩) . ولهذا فمن رسالة بطرس الأولى نتوقع أنه بشّر إلى " المتغربين من شتات بنطس وغلاطية وكبدوكية وأسيا وبثينية " (١بط ١ : ١) .

ويمكننا أيضاً متابعة خدمة بطرس الرسول من الرسائل الأخرى فى الكتاب المقدس : من الواضح أن بطرس لم يغادر اليهودية والسامرة حتى مجمع أورشليم ، وهو الذى أقيم حوالى سنة ٥٠م ، لأنه حين عُرض دخول الأمم إلى الإيمان لم يذكر إلا حادثة كرنيليوس، وكان ذلك حوالى سنة ٤٠م حين تعرف بولس الرسول عليه بعد أن قضى الثلاث سنوات فى العربية (غل ١ : ١٥ ــ ١٩) ، " ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يُعلن إبنه فىّ لأبشر به بين الأمم ، للوقت لم أستشر لحماً ودماً ، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى ، بل إنطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ولكنى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب " .

وفى حوالى سنة ٤٣م يقول سفر الأعمال إصحاح ١١ : " وأما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب إسطفانوس فإجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلية إلا اليهود فقط ، ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرصيون وقيروانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع ، وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب ، فسُمع الخبر فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية ، الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب ... ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ولما وجده

أتى به إلى أنطاكيه ، فحدثا أنهما إجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعاً غفيراً ، ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً " ، ولهذا فإن برنابا وبولس تكلما فى مجمع أورشليم عن أنطاكية دون أن يذكرا بطرس .

وفى حوالى سنة ٤٤م سجن هيرودس أغريباس بطرس وهذا يعنى أن بطرس وبولس حينما كانا فى أنطاكية ولامه بولس عندما أفرز نفسه عن الأمم كان بعد مجمع أورشليم أى ليس قبل سنة ٥١م .

وفى سنة ٥٢م حينما طرد كلوديوس قيصر اليهود من روما ، كان منهم أكيلا وبرسكيلا ولم يذكر سفر الأعمال أن بطرس كان بين هؤلاء ، أى أنه إلى هذا الوقت لم يكن قد وصل إلى روما .

وحوالى سنة ٥٨م حينما كتب بولس رسالته إلى رومية ، والتى لم يكن قد زارها بعد ، قال فى الرسالة : " مُتضرعاً دائماً فى صلواتى عسى الآن أن يتيسر لى مرة بمشيئة الله أن آتى اليكم " (رو ١ : ٩ ـ ١٠) ، وأرسل فى الرسال تحيات لكثيرين : " مريم التى تعبت لأجلنا .. أندرونكوس ويونياس نسيبى المأسورين معى .. أمبلياس حبيبى فى الرب " وكثيرين وكثيرين (رو ١٦ : ١ ـ ١٥) ، لم يذكر فيهم بطرس .. أى أنه إلى هذا الوقت لم يصل بطرس إلى روما .

وحينما وصل بولس الرسول إلى روما فى (أع ٢٨) ، وكان ذلك حوالى سنة ٦١م يقول سفر الأعمال : " استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود ، فلما إجتمعوا قال لهم أيها الرجال الإخوة مع أنى لم أفعل شيئاً ضد الشعب أو عوائد الآباء ، سُلمت مقيداً من أورشليم إلى أيدى الرومانيين " (أع ٢٨ : ١٧) ، وكانت إجابتهم : " نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية ، ولا أحد من الإخوة جاء وأخبرنا أو تكلم عنك شئ ردئ ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم فى كل مكان " (أع ٢٨ : ٢١ ـ ٢٢) . أى أن الأصدقاء الذين ذكرهم فى رسالة رومية لم يكن قد بشرهم أحد رغم أن " إيمانهم كان ينادى به فى كل العالم " (رو ١ : ٨) ، أى ربما كانوا من المؤمنين يوم الخمسين أو بعده وإنتقلوا إلى روما ، ومعناه أيضاً أن لهذا الوقت لم يكن بطرس قد وصل إلى روما .

وحينما كان بولس الرسول مأسوراً فى روما لمدة سنتين (أع ٢٨ : ٣٠) . وكتب منها اربع رسائل وهى إلى أفسس وفيلبى وكولوسى وإلى فليمون ، لم يشر فيها إلى وجود بطرس ، حتى أنه فى رسالة كولوسى يقول : " يسلم عليكم أرسطرخس المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا .. والمدعو يسطس الذى هو من الختان ، وهؤلاء وحدهم العاملون معى لملكوت الله " (كو ٤ : ١٠ ـ ١١) .

وفى سنة ٦٦م حينما كتب بولس الرسول رسالته الثانية لتيموثاوس فى أسره الثانى يقول : " لوقا وحده معى ، خذ مرقس وأحضره معك لأنه نافع لى للخدمة " (٢ تى ٤ : ١) ، ولم يذكر شئ عن بطرس .

أما عن بابل التى يذكرها معلمنا بطرس الرسول فى رسالته الأولى (١بط ٥ : ١٣) ، فهناك من يقول أنها كانت عامرة فى ذلك الوقت وبها مدارس للتعليم اليهودى وكان المسيحيون من يهود ووثنيين يؤلفون جماعة كبيرة فى المدينة على نهر الفرات وما حولها، فلعل هذه المنطقة كانت مسرحاً لعمل بطرس الكرازى أيضاً ، وهناك من يقول رأى آخر يقوده الآباء البندكتيين (الكاثوليك) أن بابل تشير إلى بابليون (مصر القديمة) وأن مدينة بابل كانت قد خربت فى القرن الثانى قبل الميلاد .

بعد ذلك يُجمع المؤرخون أن بطرس الرسول إستشهد فى روما حوالى سنة ٦٨م على عهد نيرون ، الذى قبض عليه وأقتيد إلى روما بإعتباره أحد قادة المسيحيين كما يقول يوسابيوس عن أوريجينوس أنه صُلب منكس الرأس ، أو كما يرجح أوريجينوس أيضاً أنه كان قد ذهب إلى روما قبل صلبه لمطاردة سيمون الساحر .

يعقوب البار أخو الرب :

هو يعقوب بن حلفى أحد الأثنى عشرا تلميذاً . وحلفى آرامية تقابلها كلوبا فى اليونانية . سُمى البار بسبب نسكه ، والذى تحدث عنه هيجسبوس أنه لم يعل رأسه موسى ولم يشرب خمراً . عاش نباتياً وكان لباسه دائماً من الكتان ، كثير السجود حتى تخشنت ركبتاه مثل الجمل .

عُرف أيضاً بيعقوب الصغير ، تمييزاً عن يعقوب الكبير ابن زبدى أخو يوحنا . هو أيضاً ابن خالة السيد المسيح بالجسد : " وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية " (يو ١٩ : ٢٥) .

وفى لوقا اصحاح ٢٤ : " ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتى قلن هذا للرسل " (لو ٢٤ : ٨ ـ ٩) .

وفى مرقس اصحاح ١٦ : " وبعد ما مضى السبت إشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنّه " (مر ١٦ : ١) ، وكذلك (مر ١٥ : ٤٠) .

ويذكر هيجسبوس أنه يعتبر ابن عم السيد المسيح أيضاً حسب الشريعة ، حيث أن كلوبا هو أخو يوسف خطيب مريم .

يؤكد رسوليته بولس الرسول فى رسالة غلاطية : " ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس فمكثت عنده خمسة عشر يوماً ، ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب " (غل ١ : ١٨ ـ ١٩) . ويذكره فى نفس الرسالة أنه أحد أعمدة كنيسة الختان الذين أعطوه مع برنابا يمين الشركة للخدمة بين الأمم (غل ٢ : ٩) .

وفى سفر الأعمال اصحاح ١٥ كان رأيه هو الختامى فى موضوع التهود ، كما يوجد تشابه بين هذا القرار وأسلوب رسالته التى تحمل أسمه فى العهد الجديد . شهد جيروم أنه ظل أسقفاً لكنيسة أورشليم حوالى ثلاثين سنة . ويذكر يوسابيوس وأكليمنضس الإسكندرى أنه إستشهد بطرحه من على جناح الهيكل حينما أوقفه اليهود لينكر السيد المسيح ، فصاح هو بأنه المسيا ، ثم رجموه وضربه أحدهم بالعصا على رأسه فمات ، وإستشهد سنة ٦٢م . وقد شهد يوسيفوس أن خراب أورشليم كان إنتقاماً لدم هذا البار .

وعن ظهور الرب ليعقوب بعد قيامته كما ذكر بولس فى (١كو ١٥ : ٣ ـ ٧) ، فيقول جيروم فى كتابه " مشاهير الرجال " عن إنجيل العبرانيين الأبوكريفا ، أن يعقوب ظل صائماً بعد موت المخلص إلى أن ظهر له الرب .

يوحنـا البشـير :

هو شقيق يعقوب إبن زبدى الصيادين، وكان تلميذاً ليوحنا المعمدان (يو ١ : ٣٥ ـ ٤٢). دعاهما السيد المسيح عند بحر الجليل (مر ١ : ١٩ ـ ٢٠) . كانت أمه من النسوة اللاتـى تبعن يسوع وكن يخدمنه (مت ٢٧ : ٥٥) ، و (مر ١٠ : ٤٠ ـ ٤١) .

كان أحد المقربين الثلاثة للسيد المسيح مع بطرس ويعقوب أخيه ، كما قـال عـن نفسـه : " التلميذ الذى كان يسوع يحبه " وهو الذى أتكأ على صدره وقت العشاء وأومأ إليه بطـرس ليسأل عمن يسلمه (يو ١٣ : ٢٣ ـ ٢٥) .

يبدو أن أسرته كانت موسره وذات نفوذ ، فقد كانت أمه ممن يخدمن السيد من أموالهـن، وهو الذى كان معروفاً لدى رئيس الكهنة (يو ١٨ : ١٥) . سلمهُ السيد المسيح أمـه وهـو على الصليب (يو ١٩ : ١٧)، وهو أول من ذهب من التلاميذ إلى القبر (يو٢٠ : ٢ـ٤)،

وأول من تعرّف على الرب فى ظهوره على بحر طبرية بعـد القيامـة (يـو ٢١ : ٧) . وبعد حلول الروح القدس ، لازم بطـرس فـى شفاء المقعد علـى بـاب الهيكـل (أع ٣) ، وشهد معه أمام السنهدريم (أع ٤) ، وفـى وضـع الأيـادى لإعطـاء موهبـة الـروح القدس بالسامرة (أع ٨) .

ويقول التقليد أنه بقى باليهودية حتـى نياحـة السـيدة العـذراء ، وهـو أحـد الأعمدة الذيـن أعطوا بولس يمين الشركة حاضراً مجمع أورشليم سنة ٥٠م .

أقام فى أفسس التـى قبلـت كـرازة بولـس ، وأشـرف علـى مؤمنـى آسـيا الصغـرى ولهـا أرسـل مـا أعلنـه الـرب فـى الرؤيـا ، وهـى بجـانب أفسـس ، سـميرنا وبرغـامس وثيـاتيرا وساردس وفيلادلفيا واللادوكية . وتؤكد التقاليد وشهادة الآبـاء أنـه قُبض عليـه خـلال حكـم دومتيان (٨١ ـ ٩٦م) ، وفى روما أُلقى فى مرجل زيت مغلى فلم يؤثر عليه ، فأمر بنفيه إلى جزيرة بطمس (حاليـاً اسـمها بالموسـا من جزر بحـر ايجـة) ومكـث بهـا نحـو سـنة ونصف ثم أُفرج عنه ليعاود التبشير فى أفسس .

كتب بشارته وثلاث رسائل وسـفر الرؤيـا ، وتنيـح فـى شـيخوخة حوالـى سـنة ١٠٠م . يُعتبر أعظم شارحى لاهوت الإبن ، ولاهوت المحبة أساس خـلاص الإنسـان وأسـاس بنـوة الإنسان لله .

بولس الرسول :

ولد بولس بطرسوس عاصمة ولاية كليكية جنوب آسيا الصغرى ، من سبط بنيامين (أع ٢٢ : ٣) ، من أب فريسى (أع ٢٣ : ٦) ، عقب مولد السيد المسيح بسنوات قليلة اسمه العبرانى شاول (أى مطلوب) واسمه الرومانى بولس حيث كانت أسرته تتمتع بالمواطنة الرومانية (أع ٢٢ : ٢٥ ـ ٢٨) ، مما يُرجح أنها كانت أسرة موسره .



صورة القديس بولس الرسول

كعادة اليهود تعلم فى طفولته صناعة الخيام (أع ١٨ : ٣) ، ويظهر من أسلوبه ورسائله أنه أجاد اليونانية وتعرف على أقوال فلاسفتها وشعرائها كما يتضح من حديثه فى أريوس باغوس (أع ١٧ : ١٦ ـ ٣٢) ، وذلك بسبب نشأته فى طرسوس الهيلينية . ولكونه يهودياً كان أيضاً يجيد العبرية والآرامية أى العبرية الدارجة ، مما لفت نظر سامعيه فى الهيكل فأعطوا سكوتاً (أع ٢٢ : ٢) .

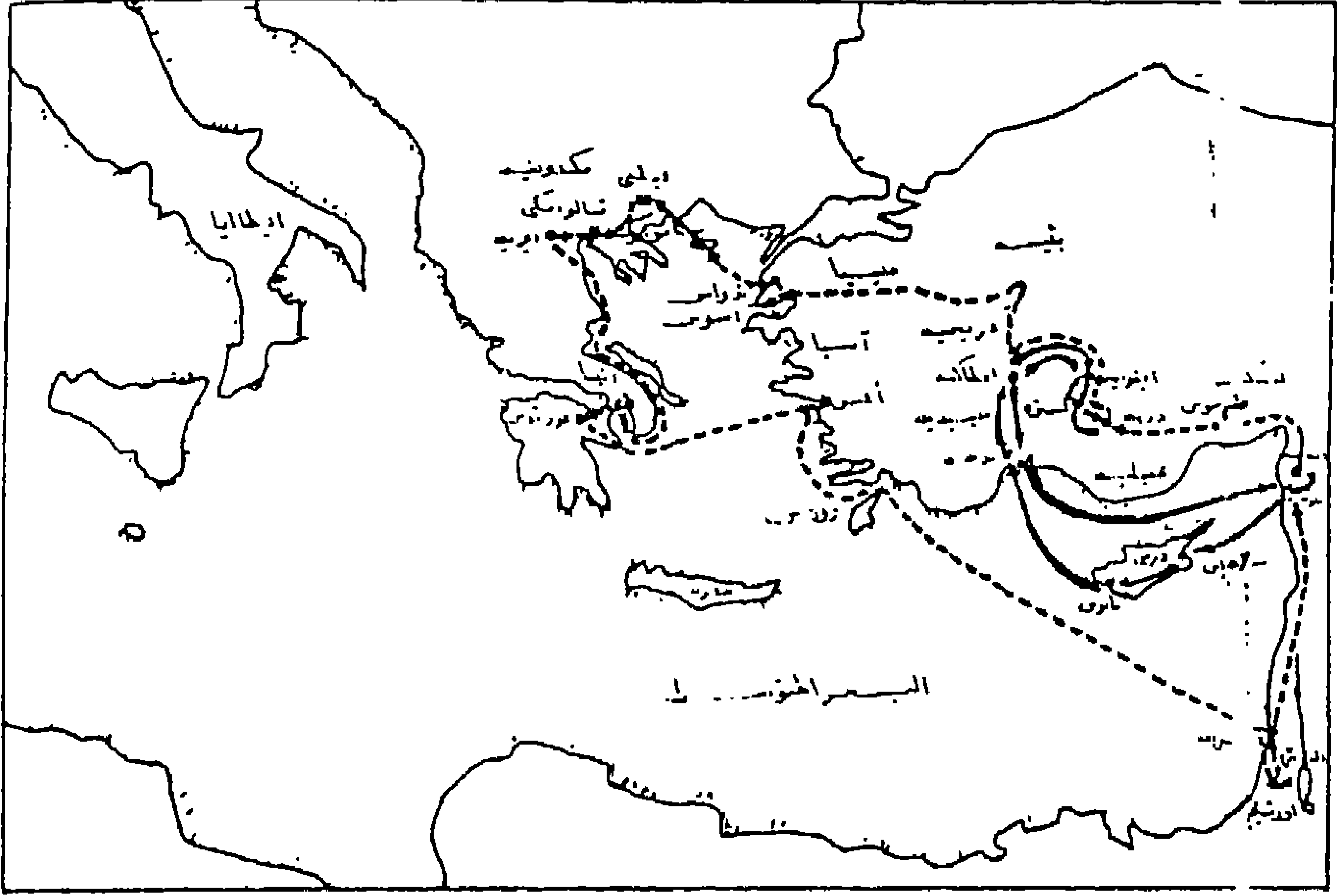
تلقى أسس التعاليم اليهودية فى أورشليم عند قدمي غمالائيل الذى يُعد من أعظم معلمى الناموس (أع ٢٢ : ٣) . كانت أخته متزوجه بأورشليم وكان ابنها سبباً فى إنقاذه حين تبض عليه اليهود (أع ٢٣ : ١٦) .

كان يهودياً متزمتاً ، فرفض المسيحية فى مستهل حياته وقاومها ، فكان حارس ثياب الراجمين لإسطفانوس (أع ٧ : ٥٨ ، ٨ : ١) ، وإستخدم نفوذه أيضاً فى أخذ رسائل من رئيس الكهنة لمتابعة المسيحيين خارج أورشليم لتسليمهم موثقين (أع ٨ : ٣) ، ثم ظهر له الرب وهو فى طريقه إلى دمشق (أع ٩ : ١ ـ ١٨) ، (٢٢ : ٦ ـ ١٦) ، (٢٦ : ١٢ ـ ١٨) ، وأبصر المحيطون النور وسمعوا الصوت لكن لم يعرفوا المتكلم .

دخل دمشق وإعتمد على يد حنانيا بعد أن أمضى ثلاثة أيام بدون طعام أو شراب أو رؤية عينين ثم أمضى أياماً مع التلاميذ وأنطلق بعدها إلى صحراء النبطية المذكورة فى مكابيين ٥ : ٢٥ شرق دمشق والتى تتحدث العربية ، وأمضى بها ثلاث سنوات وهناك أعلن له السيد المسيح أسرار الإنجيل (غل ١ : ١١ ـ ١٢) .

ثم عاد إلى دمشق ولوقته صار يكرز فى المجامع أن السيد المسيح هو ابن الله (أع ٩ : ١٩ ـ ٢١) ، مما حيّر اليهود فى دمشق ، فتشاوروا ليقتلوه ، وهرب من والى الحارث من كوّة فى سور دمشق فى زنبيل (أع ٩ : ٢٥) ، (٢ كو ١١ : ٣٢ ـ ٣٣) ، ولما جاء إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ فخافوا ، فاحضره برنابا إلى الرسل ، فتعرف على بطرس وأمضى معه خمسة عشر يوماً ، ولم يرى أحد سوى يعقوب أخو الرب (غل ١ : ١٨ ـ ١٩) ، فأرسل إلى طرسوس (أع ٢٦ : ٣) ، وذلك بعد الرؤيا التى رأى فيها الرب يسوع قائلاً : " أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى " (أع ٢٢ : ١٧) .

ظل بولس فى طرسوس حتى وافاه برنابا ، ونزلا إلى أنطاكيه وخدما سوياً لمدة سنة كاملة (أع ١١ : ٢٥ ـ ٢٦) . وفى سنة ٤٤م تنبأ أغابوس بالمجاعة فى أورشليم ، فحمل بولس وبرنابا عطايا أنطاكية لليهودية ، ونزلا أورشليم فى عهد كلوديوس قيصر (أع ١١ : ٢٧ ـ ٣٠) . ثم أفرز الروح القدس برنابا وشاول للعمل فى الأمم ، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادى ثم أطلقوهما (أع ١٣ : ١ ـ ٣) .



الرحلة التبشيرية الأولى لبولس الرسول أع ١٢ - ١٤

الرحلة التبشيرية الثانية لبولس الرسول أع ١٥ : ٢٦ - ١٨ : ٢٢

خريطة رحلات القديس بولس الرسول (١)

وبدأ بولس رسالته التبشيرية الأولى وأخذا معهما مرقس ابن أخت برنابا . نزلوا أولاً إلى الساحل فى **سلوكية** ، ومنها إلى قبرص مسقط رأس برنابا إلى الميناء **سلاميس** ، وبشروا فى مجمع اليهود ثم إجتازوا إلى **بافوس** حيث الوالى الذى أراد أن يسمع كلمة الله وكان معه ساحر يدعى باريشوع (عليم) ، وحاول إبعاد الوالى عن الإيمان فأُصيبَ بالعمى من دعاء بولس . ثم أقلعوا إلى **برجة بمفيلية** بآسيا الصغرى ، وتركهم مرقس عائداً إلى أورشليم . فجازا إلى **أنطاكية بسيدية** (بآسيا الصغرى) ووعظا فى المجمع . وفى السبت التالى اجتمعت كل المدينة فى المجمع فأغتاظ اليهود وقاوموهما مجدفين ، فقالا هوذا نتوجه إلى الأمم ، وأثار اليهود المدينة فأخرجوا بولس وبرنابا . فذهبا إلى **أيقونية** وبشرا فى المجمع وآمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين ، فأفسد اليهود نفوس الأمم على الإخوة وأنشقت المدينة وحاولوا رجمهما ، فهربا إلى مدينتى ليكأونيَّة **لسترة ودربة** وإلى الكورة المحيطة . وفى لسترة شفى بولس المقعد من بطن أمه ، فهاجت المدينة

وارادوا أن يذبحوا لهما . ثم أتى يهود من أنطاكية وأيقونية وغيروا فكر الجموع ، فرجموا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات .

فذهبا فى الغد إلى دربة وتلمذا كثيرين ، ثم رجعا إلى لسترة وأيقونية وأنطاكية يشددان أنفس التلاميذ ، وأقاما لهم قسوساً . ثم عادا إلى برجة ونزلا إلى أتالية ورجعا إلى أنطاكية يخبران الكنيسة بما صنع الله معهما (أع إصحاحى ١٣ ، ١٤) .

استغرقت هذه الرحلة الأولى من سنة ٤٥ إلى ٤٩م . وعندما ظهرت مشكلة التهود صعد بولس وبرنابا مع تيطس إلى أورشليم ، وانعقد مجمع أورشليم سنة ٥٠م .

ثم عاد بولس وبرنابا مع برسابا وسيلا إلى أنطاكية بأوامر المجمع (أع ١٥) ، وأقام بولس مع برنابا فى أنطاكية يعلما كثيرين ، ثم افترقا بسبب مرقس ، فنزل برنابا مع مرقس إلى قبرص ، وأخذ بولس سيلا ليفتقدا الإخوة فى الكنائس التى تأسست بآسيا الصغرى ، وفى هذه المرة عن طريق البر .

وبدأ بولس رحلته التبشيرية الثانية :

اجتازا بولس وسيلا فى سورية وكيليكية ، ثم وصلا إلى دربة ولسترة ، وتعرفا على تيموثاوس والذى ختنه حيث كانت أمه يهودية وأبوه يونانى ، واجتازا إلى فريجية وغلاطية ثم منعهم الروح أن يتكلموا فى آسيا (الجزء الغربى من آسيا الصغرى) ، فأتوا لى ميسيا وحاولوا الذهاب إلى بيثينية (شمال آسيا الصغرى) فمنعهم الروح ، فإنحدروا إلى ترواس وظهرت رؤيا لبولس أن يذهب إلى مكدونية إعلاناً من الله لتبشير اليونانيين ، فذهبوا من ترواس (ساحل آسيا) إلى ساموثراكى ثم إلى نيابوليس (ساحل مقدونية) ، ثم من هناك إلى فيلبى ، وأقاما أياماً وخرجا خارج المدينة حيث جرت العادة أن يصلوا ، وآمنت ليديا بائعة الأرجوان ، ولما أخرج بولس روح عرافة جرّ مواليها بولس وسيلا إلى الحكام فضربوهما والقوهما فى السجن فحدثت زلزلة وانفكت القيود وحاول الحارس أن يقتل نفسه ، فمنعه بولس وبشّره وعمده وأهل بيته ، وخاف الولاة لأن بولس وسيلا رومانيان فأطلقوهما .

فاجتازا إلى أمفيبوليس وأبولونية ثم تسالونيكي ، وحاجوا اليهود فى المجمع ثلاث سبوت واقتنع قوم فأهاج الآخرون المدينة ، فنزلوا إلى بيرية وبشروا فى المجمع فنزل يهود من تسالونيكى أيضاً وهيجوا الجموع ، فترك بولس سيلا وتيموثاوس فى بيرية ونزل إلى أثينا ، وتقابل مع الفلاسفة الرواقيين والأبيقوريين فى آريوس باغوس ، فالتصق به بعض منهم وآمنوا ، ثم جاء إلى كورنثوس (فى آخائية) والتقى بأكيلا رجل يهودى بنطى الجنس وبريسكلا امرأته بعد طردهم من روما أيام كلوديوس قيصر ، وأقام عندهما وكانا مثله خيامين ، وكان يُحاج فى المجمع ، ووافاه سيلا وتيموثاوس فى كورنثوس ، وحينما قاوم اليهود بولس نفض ثيابه عليهم ناوياً تركهم ، فظهر له الرب فى رؤيا وأوصاه أن يبقى فى المدينة فأمضى بها سنة ونصف ، وقد كانت كورنثوس تنتشر فيها الرذيلة وكانت مدينة تجارية كبيرة ، ثم أبحر منها إلى أفسس (آسيا الصغرى مرة أخرى) ومعه أكيلا وبريسكلا ثم منها إلى قيصرية ثم أورشليم ، ثم انحدر إلى أنطاكية وصرف زماناً واستغرقت هذه الرحلة من سنة ٥١ إلى ربيع سنة ٥٤م وكتب فيها رسالته إلى التسالونيكيين من كورنثوس .

- - - ← الرحلة الثالثة التبشيرية لبولس الرسول أع ١٨: ٢٢ - ٢١: ١٧

—x—x← السفر إلى رومية أع ٢٧ - ٢٨

الرحلة التبشيرية الثالثة :

بعد أن بقى بولس فى أنطاكية إلى أواخر سنة ٥٤م ، إجتاز بالتتابع فى غلاطية وفريجيه يشدد التلاميذ ، ثم جاء إلى أفسس وأعطى موهبة الروح القدس للذين اعتمدوا بمعمودية يوحنا ، وظل يحاج فى مجمع أفسس ثلاثة أشهر وقاومه اليهود فاعتزل المجمع وصار يحاج فى مدرسة إنسان اسمه تيرانس لمدة سنتين ، ثم حدث شغب شديد فى المدينة بسبب ديمتريوس صانع هياكل لأرطاميس .

كتب فى هذه الفترة رسائله إلى غلاطية وكورنثوس ورومية وكان فى فكره أن يجتاز من أفسس إلى مكدونية وأخائية ثم يذهب إلى أورشليم ثم روما (أع ١٩ : ٢١) ، ولكنه علم بمكيدة من اليهود إن هو صعد إلى سورية ، لهذا قرر العودة إلى أورشليم عن طريق البحر ، فأمضى ثلاثة أشهر فى هلاس بمكدونية وأبحر إلى فيلبى ثم إلى ترواس حيث أقام أفتيخوس من الموت ، ثم أبحر إلى سوس (ساحل آسيا الصغرى) ثم ميتيلينى ثم ساموس إلى ميليتس ، وهناك استدعى القسوس مخبراً إن وثقاً وشدائد تنتظره ، ثم أبحر إلى كوس ورودس ثم باترا وأخذ سفينة إلى صور متجاوزاً قبرص ، وفى صور أخبره التلاميذ بالنبوة أن لا يصعد إلى أورشليم ، ولكنه أبحر إلى بتولمايس لمدة يوم ، ثم جاء إلى قيصرية ودخل بيت فيلبس المبشر .

وانحدر أغابوس من اليهودية وتنبأ بقيود بولس فى أورشليم وتسليمه للأمم ، ثم صعد إلى أورشليم فى ربيع سنة ٥٨م فى بيت مناسون القبرصى . ثم ألتقى بيعقوب والقسوس ، وحينما دخل الهيكل رآه يهود آسيا فأهاجوا الجمع وألقوا عليه الأيادى بتهمة التعليم ضد الناموس ، وادّعوا ادخاله يونانيين إلى الهيكل لأنهم رأوا تريفيموس الأفسسى معه فى المدينة ، ولما أمسكه أمير أورشليم كلم الجموع بالعبرانية فسمعوا له إلى أن تحدث عن رؤيا السيد المسيح له أن يذهب إلى الأمم ، فهاجوا عليه وأمر الأمير أن يُفحص بالسياط وعدّل عن ذلك بعد علمه أنه رومانى ، فأقامه أمام رؤساء الكهنة ، وهنا صنع بولس شقاقاً بين الفريسيين والصدوقيين ، ثم علم الأمير من ابن أخت بولس أنهم يعدون له كميناً ، فأرسله الأمير إلى فيلكس الوالى سراً ، ووُضع فى قصر هيرودس فى قيصرية .

ثم نزل حنانيا رئيس الكهنة يحاج ضد بولس أمام فيلكس ، وأمضى بولس في قيصرية مدة سنتين إلى سنة ٦٠م ، حتى خلف فستوس محل فيلكس في الولاية .

ولما صعد فستوس إلى أورشليم طلب منه رئيس الكهنة أن يُصعد بولس إلى أورشليم ليقتلوه في الطريق ، ولكن بولس رفع دعواه إلى قيصر ، وحدث أن إلتقى مع هيرودس أغريباس وزوجته برنيكي مع فستوس حتى يمكن فحص القضية .

ثم أبحر الرومان به إلى إيطاليا ، وكانت زوبعة في البحر فإنكسرت السفينة عند مالطة فأمضوا بها ثلاثة أشهر أقام فيها بولس بعض المعجزات ، ثم صعدوا بسفينة إسكندرية إلى رومية ، وأقام بولس مع حارس في بيت استأجره لنفسه لمدة سنتين كارزاً بملكوت الله بلا مانع (أع من اصحاح ١٨ إلى اصحاح ٢٨) ، وفي خلال هذه الفترة كتب رسائله إلى كولوسي وفيلمون وأفسس وفيلبي .

إلى هنا ينتهي سفر الأعمال حتى ربيع سنة ٦٣م ، ويُرجح أنه أُطلق سراحه . بعد ذلك نتوقع - من رسالته إلى تيطس - أنه ذهب إلى كريت مع تيطس وبشر فيها وأقام تيطس فيها أسقفاً (تي ١ : ٥) . وفي هذه الفترة كتب رسالته إلى العبرانيين . ومن رسالته أيضاً إلى تيطس (٣ : ١٢) نعلم أنه ذهب إلى نيكوبوليس شتاء سنة ٦٥ أو سنة ٦٦م .

ومن رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٢ تي ٤ : ١٢) نعلم أنه ذهب إلى ترواس (على ساحل آسيا) ويحتمل أنه قُبض عليه في ترواس ، أو ذهب إلى أسبانيا ، ولكنه في النهاية ذهب أسيراً للمرة الثانية إلى روما ، حيث كتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس يخبره فيها أن وقت إنحلاله قد حضر (٢ تي ٤ : ٦) . ويُجمع المؤرخون أنه استشهد بقطع رقبته في عهد نيرون في روما بين سنة ٦٧ أو سنة ٦٨ م .

كان بولس رجل الإعلانات الإلهية ، منذ أن ظهر له الرب في طريق دمشق ، إلى الإعلانات في العربية ثلاث سنوات (غل ١ : ١٢) ، إلى اختطافه إلى السماء الثالثة (٢ كو ١٢ : ٤) . وتسلم بولس من الرب سر الإفخارستيا (١كو ١١ : ٢٣) تماماً كما صنعه مع التلاميذ . كان بولس أيضاً فارس البتولية (١كو ٧ : ٨) ، ومُفسر لاهوت العهد القديم (خاصة رسالتي رومية وغلاطية) ، ونبي الأيام الأخيرة (٢ تس ص ٢) ،

(٢كو ٣ : ١٨) ، (٢كو ٦ : ٣) ، (فى ٣ : ٢١) وكان أعظم شارح لسر المسيح والآب والروح القدس (كو ٤ : ٢) ، (وأف ص ١) ، بكل سرور كان ينفِق ويُنفَق من أجل الخدمة (٢كو ١٢ : ١٥) ، وكان المُلهم لفكرة أننا جسد واحد فى المسيح (رو ١٢ : ٤ ــ ٥) ، (١كو ١٢ : ١٢) ، وخطبتنا للمسيح (٢كو ١١ : ٢) ، و(أف ٥ : ٢) ، والدفن فى المعمودية (كو ٢ : ١٢) ، ولبس المسيح و (١٣ : ١٤)، وجعلنا هياكل للروح القدس (١كو ٣ : ١٦) .

برنابا الرسول :

هو يهودى من سبط لاوى ، استقرت أسرته فى قبرص (أع ٤ : ٣٦) ، وتعتقد كنيستنا القبطية أنه أحد السبعين رسولاً ، وقد دُعى رسولاً فى سفر الأعمال ، وأعطاه الرسل يمين الشركة للأمم مع بولس (أع ١٣ : ٢) .

كان اسمه يوسف ودعاه الرسل برنابا (أع ٤ : ٣٦) . باع حقله ووضع ثمنه عند أقدام الرسل (أع ٤ : ٣٧) .

أوفدته الكنيسة إلى أنطاكية حين سمعت بقبول أهلها للمسيح ، ثم دعا شاول من طرسوس وقاما بالخدمة سنة كاملة فى أنطاكية (أع ١١ : ٢٤ ـ ٢٥) .

رافق بولس فى رحلته الأولى حتى عادا مرة أخرى إلى أنطاكية ، ثم إفترق عنه بسبب مرقس (أع ١٥ : ٣٦) .

ذهب إلى قبرص مع مرقس وأشار إليه بولس فى رسالة كورنثوس (١كو ٩ : ٦) و (كولوسى ٤ : ١٠) كشخصية معروفة لهم ، حيث كان معه فى رحلته الأولى .

تُجمع التقاليد أنه استشهد فى سلامينا بقبرص حيث رجمه اليهود وحاولوا حرق جسده فلم يحترق فدفنوه ، وكان ذلك سنة ٦١م .

توجد رسالة تنسب إليه ، ولايُعلم شيئاً عن كرازته بعد افتراقه عن بولس .



صورة القديس
مرقس الرسول

مرقس الرسول :

هو يهودى من سبط لاوى ، يحمل أسماً يهودياً هو يوحنا وآخر أممياً هو مرقس . وُلِدَ القديس مرقس فى كيرين (القيروان) ، وهى احدى المدن الخمس الغربية بأفريقيا .

هاجمت قبائل بربرية أسرته فهاجرت إلى فلسطين مع بدء كرازة السيد المسيح . كانت أمه إحدى المريمات اللاتى تبعن يسوع ، وشهد بيته فى العلية حادثتى العشاء الأخير وحلول الروح القدس . يُدعى أبوه أرسطوبولس ، ويمتْ بصلة قرابة بزوجة بطرس ، كما أنه ابن أخت برنابا أحد السبعين رسولاً .

يُجمع المؤرخون أنه أحد السبعين رسولاً ، ويؤكد هذه الحقيقة أبيفانيوس أسقف قبرص وأريجينوس . بدأ خدمته مع بطرس فى أورشليم ، ثم مع بولس وبرنابا فى رحلتهما الأولى ولكنه فارقهما فى برجة بمفيلية وعاد إلى أورشليم (أع ١٥ : ٣٩) .

ثم عاد وسافر مع برنابا من أنطاكية إلى قبرص . وحين انفرد بالخدمة بشّر فى مسقط رأسه فى الخمس مدن الغربية (القيروان " كيرين " وبرنيقه " بنى غازى " وبرقة " المرج " وطوشيرا " توكره " وأبولونيا " سوسة ") . وصل إليها سنة ٥٨م ووجد هناك مؤمنين منذ يوم الخمسين ، فعمد من آمنوا ببشارته وأقام لهم قسوساً وشمامسة ثم جاء إلى مصر سنة ٦١م .

وصل إلى الإسكندرية للمرة الأولى عن طريق ليبيا - الواحات - الإسكندرية ، ويقول البعض أنه أتى مع بطرس عن طريق سيناء - بابليون ثم الإسكندرية .

إلتقى بأنيانوس وأمضى سنتين بالإسكندرية ثم أقام أنيانوس أسقفاً حوالى (سنة ٦٤م)،عاد بعدها إلى ليبيا وأمضى سنتين، ثم مضى منها إلى روما حيث عاون بولس (كو٤ : ١٠)، (وتى ٤ : ١١) ، (وفل ٢٤) ، ثم عاد إلى مصر بعد استشهاد بولس وبطرس وذلك بعد أن مرّ على الخمس المدن الغربية .

وفى سنة ٦٨م فى السنة الرابعة عشر من حكم نيرون ، تصادف عيد القيامة مع الإله سيرابيس بالإسكندرية ، وكان قد تحول عدد كبير من أهلها إلى المسيحية ، فهاج الوثنيون وهجموا على كنيسة بوكاليا حيث كان مرقس يقدم الذبيحة ، فربطوه وسحلوه فى المدينة ، وألقوه فى سجن مظلم حيث ظهر له ملاك يقويه ، وفى الصباح أعاد الوثنيون سحله فأسلم الروح ، فدفنوه فى الكنيسة ودعيت بِاسم القديس مرقس .

وفى عام ٨٢٧م سرق الجسد بعض تجار البندقية وبنوا له كنيسة هناك ، أما رأسه فما زالت بالكنيسة المرقسية بالإسكندرية ، وقد أحضر جزء من رفاته قداسة البابا كيرلس السادس سنة ١٩٦٨م وتعيد له الكنيسة القبطية فى ٣٠ برمودة .

أقام مرقس الرسول مدرسة الإسكندرية اللاهوتية ، وكتب بشارته المعروفه بِاسمه .

اقترن مارمرقس بصورة الأسد ، ربما لأن إنجيله يُرمز له بالأسد بين الأناجيل الأربعة، أو بسبب بدء إنجيله " صورت صارخ فى البرية " ، أو كما يقال عن قتله للأسد بصلاته والتى بسببها آمن أبوه .

أشهر الكراسى الرسولية الأولى

كرسى أورشليم :

كانت كنيسة أورشليم فى الأيام الأولى تعتبر الكنيسة الأم ، ويعتبر القديس يعقوب أخو الرب أول أسقف أقيم عليها ، كما يقول هيجسبوس ، رغم أنها كانت مركزاً لبقية الرسل الذين أسماهم بولس الرسول أعمدة (غل ٢ : ٩) .

فبعد إستشهاد إسطفانوس : " حدث فى ذلك اليوم إضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل " (أع ٨ : ١) .

ومنها انطلق الرسل لإعطاء موهبة الروح القدس : " ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس " (أع ٨ : ١٤) ، وإلى أنطاكية " فسُمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية " (أع ١١ : ٢٢) .

وكانت أورشليم ملتقى الرسل للتشاور ، كما حدث فى موضوع التهود (أع ١٥) ، وكانت الكلمة الأخيرة فيه ليعقوب . وإليها كان يعود الرسل ليعرضوا ما أنجزوه ، فبعد رحلة بولس الثانية : " ودعهم قائلاً ينبغى على كل حال أن أعمل العيد القادم فى أورشليم ولكن سأرجع إليكم أيضاً أن شاءالله ، فأقلع من أفسس ولما نزل قيصرية صعد وسلم على الكنيسة ثم إنحدر إلى أنطاكية " (أع ١٨ : ٢١ ـ ٢٢) .

وبعد رحلته الثالثة : " ولما وصلنا إلى أورشليم قبلنا الإخوة بفرح وفى الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب وحضر جميع المشايخ فبعد ما سلم عليهم طفق يحدثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته " (أع ٢١ : ١٧ ـ ١٩) .

لقد أنطلق من أورشليم كافة المؤمنين الذين آمنوا يوم الخمسين إلى كل المسكونة : " فرتيون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحى ليبية التى نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء كريتيون وعرب " (أع ٩ : ١١) .

ومنها إنحدر أنبياء الكنيسة الأولى : " وفى تلك الأيام إنحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية وقام واحد منهم أسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة " (أع ١١ : ٢٧ ـ ٢٨) . وفيها أقيم أول شمامسة (أع ٦ : ٣ ـ ٦)، وإليها كانت ترسل تقدمات من الكنائس الأخرى يهودية وأممية (غل ٢ : ٩ ـ ١٠) ، (رو ١٥ ٢٦ ـ ٢٧) ، (أع ١١ : ٢٧ ـ ٣٠) .

استمر يعقوب أسقفاً حوالى ٣٠ سنة وإستشهد سنة ٦٢م كما تحدثنا عنه ، خلفه أخوه سمعان بن كلوبا الذى عاصر خراب أورشليم سنة ٧٠م وهو الذى انتقل بالمسيحيين من أورشليم إلى بلاّ قبيل خرابها ، وتقع بلاّ فى مقاطعة بيرية شرق الأردن ، وذلك تنفيذاً لوصية الرب قبيل صليبه : " فليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال " (مت ٢٤ : ١٦) .

ويقول هيجسبوس أنه فى عهد الإمبراطور دومتيان إشتكى الهراطقة على سمعان أنه من نسل داود وكان يخشى مجئ السيد المسيح كما قيل له ، فاستدعى حفيدى يهوذا أخو يعقوب وسمعان ، كما حُوكم سمعان أيضاً أمام دومتيان ، ولكنه أطلق سراحهم حيث أوضحوا أن مملكة السيد المسيح ليست زمنية .

وقد استشهد سمعان فى عهد تراجان على يد أتيكس والى اليهودية سنة ١٠٦م وله من العمر ١٢٠ سنة ، وبعده أرتقى كرسى أورشليم يهودى متنصر يدعى يسطس .

ولم تحتفظ أورشليم بمركزها الدينى بعد خرابها سنة ٧٠م إلى أن استعادت هيبتها فى القرن الرابع على يد هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين .

كرسى أنطاكية :

تعتبر كنيسة أنطاكية الكنيسة الأممية الأولى والتى دُعى التلاميذ فيها أولاً مسيحيين (أع ١١ : ٢٦) . تقع أنطاكية على نهر العاصى على بعد ١٦ ميلاً من البحر الأبيض أقامها سلوقوس نيكاتور أحد قواد الإسكندر الأكبر سنة ٣٠٠ ق.م على اسم ابنه أنطيوخوس وأقام شمال مصب النهر ميناء سلوكية على البحر الأبيض . وأضاف خلفاوه السلوقيون أجزاء جديدة حتى صارت مدينة من أربعة وأقاموا لها سور حصين .

وبحكم موقعها بين الشام وآسيا الصغرى صارت خليطاً بين اليهود واليونانيين . خضعت أنطاكية لحكم البطالمة فى مصر سنة ١٩٨ ق.م ، واستردها السلوقيون سنة ١٦٨ ق.م ، ثم أستولى عليها الرومانيون بقيادة بومبى سنة ٦٤ ق.م وأصبحت عاصمة أقليم سوريا الرومانية ، كما صارت مركزاً كبيراً للتجارة والتبادل الثقافى بين الشرق والغرب ، وبذلك أصبحت المدينة الثالثة بعد روما والإسكندرية .



تايخي (او الهة الحظ) في انطاكية.

ولهذا السبب أيضاً تعددت الآلهة الوثنية " تيخى ودفنى وأثينا وأرطاميس وأبولون وإيزيس " . وكانت العبادة تسودها النجاسة ، كما اشتهر بها العرافون . أقيم بالمدينة مكتبة كبيرة وهياكل لآلهة الفن ، واستقدم حكامها فلاسفة وشعراء لإنماء الحياة الثقافية ، كان من بينهم الفيلسوف الوثنى ليباليوس معلم ذهبى الفم .

من المؤكد أن بعض مستوطنيها من اليهود كانوا من الذين آمنوا يوم الخمسين ، أضيف إليهم الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب إسطفانوس : " فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط ، ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرصيون وقيراونيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين

مُبشرين بالرب يسوع ، وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب " (أع ١١ : ١٩ - ٢٠) ، " فسُمع الخبر عنهم فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم فأرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية ، الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب " (أع ١١ : ٢٢ - ٢٣) . " فأنضم إلى الرب جمع غفير ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ولما وجده جاء به إلى أنطاكية فحدث أنهما أجتمعا فى الكنيسة سنة كاملة وعلّما جمعاً غفيراً ودُعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً " (أع ١١ : ٢٤ - ٢٦) . وذلك لأن المؤمنين كانوا خليطاً من اليهود والأميين ، " وكان فى أنطاكية فى الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذى يدعى نيجر ولوكيوس القيروانى ومناين الذى تربى مع هيرودس رئيس الربع وشاول " (أع ١٣ : ١) .

لم يلتزم مسيحيوا أنطاكية من الأمم بالختان والعوائد اليهودية : " وإنحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الإخوة إن لم يختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا ، فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم ، رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأُناس آخرون منهم إلى الرسل والقسوس فى أورشليم من أجل هذه المسألة " (أع ١٥ : ١ - ٢) . وانتهى الأمر بِارسال بولس وبرنابا وسيلا بأمر مجمع أورشليم (أع ١٥ : ٢٢ - ٢٩) .

ومن الواضح أنه إلى هذا الوقت أى سنة ٥٠م لم يكن القديس بطرس قد نزل إلى أنطاكية ، ولكن فى (غلاطية اصحاح ٢) تظهر مواجهة بولس الرسول له حين أفرز نفسه عن الأمم عندما نزل أناس من اليهودية إلى أنطاكية ، ومع ذلك تعتبره الكنيسة الأنطاكية أول أسقف لها . ومن سنة ٥٦م صار أفوديوس الأسقف الثانى على كرسى أنطاكية . ولا يذكر التاريخ عنه شيئاً سوى أنه كتب إحدى الرسائل . خلفه القديس أغناطيوس والذى يذكر البعض أن بطرس الرسول أقامه أسقفاً قبل سنة ٦٧م وأن بولس الرسول أقام أفوديوس وكان أحدهما لليهود والآخر للأمم .

كان أغناطيوس شخصية عظيمة ، وحُوكم أمام والى سورية سنة ١٠٧م وحكم عليه بالإعدام بإلقائه للوحوش ، وأقتيد إلى روما فى عهد تراجان ، وفى خلال رحلته إلى روما

محروساً بالجنود أنفذ سبعة رسائل إلـى بعـض الكنـائس يحضهم علـى الثبـات فـى الإيمـان والتقليد الرسولى والألفة والمحبة والطاعـة للكنيسـة ، والإبتعـاد عـن الهراطقـة ، كمـا كتب رسالة إلى رومية لئلا يعيقه المؤمنون عن الإستشهاد .

لم يبق من جسده بعد إستشهاده سوى بعض العظـام ، عـادوا بهـا إلـى أنطاكيـة ، وبُنيت عليها كنيسة فى عهد ثيودوسيوس الصغير فى القرن الخامس .

كرسـي رومـــا :

كانت روما وقت عصر الرسل عاصمـة الإمبراطوريـة الرومانيـة ، وهـى المدينـة التـى سبق القول عنها . وفى عام ١٩٠ ق.م اتجهت شـرقاً وهزمـت السـلوقيين فـى آسـيا ثـم فـى الشـام سـنة ٦٩ ق.م ، ثـم البطالمـة فـى مصـر سـنة ٣٠ ق.م . وفـى سـنة ٣١ ق.م تولـى أكتافيوس على روما والذى أطلق على نفسه أوغسطس قيصر وفى أواخر عهده ولـد السـيد المسيح .

وقد كان من سكانها اليهود من كان قد آمن بالسيد المسيح يوم الخمسين (أع ٢ : ٩-١١)، وكان هناك أصدقاء كثيرون لبولس حين كتب إليها رسالة قبل أن يصل إليها وهـى الرسـالة التى كتبت حوالى سنة ٥٨م (رو ١٦ : ١ - ١٥) . وحين وصـل إليهـا فـى أسـره الأول أقام سنتين كارزاً بلا مانع فى بيت استأجره لنفسه (أع ٢٨ : ١٧) .

ومن رسائله إلى كولوسي وتيموثاوس الثانية وفيلمون ، نعلم أن مرقـس الرسـول عاونـه فى الكرازة فى هذه المدينة (كو ٤ : ١٠) ، (٢ تى ٤ : ١١) ، (فل ٢٤) .

ومن دراستنا لسيرة بطرس الرسول وبولس الرسول ومرقس الإنجيلى نعلـم أن القديـس بطرس وصل إلى روما إما قبل إستشهاده سنة ٦٨م أو قبلها بحوالى سنتين قبل أن يستشـهد لمطاردة سيمون الساحر .

كان أول أسقف لروما هو لينوس الذى يقال أنه رُسم بيد القديسين بولس وبطرس ، ثم أناكليتوس ، وكان ثالث أسقف هو القديس أكليمنضس الرومانى (٩٢ - ١٠١م) الذى ذكره بولس الرسول فى رسالة فيلبى كعامل معه (فى ٤ : ٣) .

ويشتهر اكليمنضس بالرسالة إلى كورنثوس ، والتى يقنع فيها الكورنثيين أن يتضعوا ويتوبوا ويخضعوا لرئاستهم ، معلناً أن الرئاسة ترتيب إلهى وأن التنظيم الكنسى مصدره الله ، أما التمرد فهو تعليم الهراطقة (*) . وقد نالت هذه الرسالة احترام عظيم ، حتى أنها وُجدت ضمن النسخة الإسكندرانية للكتاب المقدس الموجود بالمتحف البريطانى . ويتضح بالرسالة إلمامه بالعهد القديم مما يرجح أنه كان يهودياً بالمولد ويونانى الثقافة . ويذكر أنه إستشهد على عهد الإمبراطور تراجان سنة ١٠١م . وقد نسب إليه بعض الهراطقة عدة رسائل تدعى الإكليمنضيات المزوره .

مشكلة تقدم أسقف روما :

من الواضح أنه فى السنوات الأولى للكنيسة كان تقدم أساقفة المدن الكبرى هو تقدم لخرى أى تقدم أولين بين متساويين . ولكن أساقفة روما فى القرنيين الثانى والثالث حاولوا جعل أسقف روما رأساً للكنيسة المسكونية ، ومن هنا ظهرت أقوال مختلفة منسوبه إلى القديس بطرس ، وزج بإسمه كمبشر لكافة الكنائس الرسولية الأولى أى أورشليم وأنطاكية ومصر .

وفى نهاية القرن الثانى حدث جدال بين بعض الكنائس بشأن تعيين زمن عيد الفصح ، لقد كانت كنائس آسيا الصغرى تقيم إحتفال صلب المسيح مع عيد الفصح اليهودى يوم ١٤ نيسان ، ثم تُعيد عيد القيامة بعد ذلك أيا كان يوم الأسبوع ، وكانت تستشهد بتقاليد الرسولين فيلبس ويوحنا . أما كنيسة رومية فكانت تحتفل بالصليب يوم الجمعة الأول بعد ١٤ نيسان ثم عيد القيامة يوم الأحد وكانت تستشهد بتقليد بولس الرسول .

(*) يبدو أن التنافس بين أتباع بولس وأبولوس إستمرت حتى بعد رسالتى بولس إلى كورنثوس فكانت رسالة أكليمنضس إليهم بناء على طلب من المعتدلين بينهم .

وفى عام ١٦٢م إلتقى بوليكاربوس أسقف أزمير (آسيا الصغرى) بأنيكيتوس أسقف روما ، وتجادلا بشأن هذا الموضوع ولم يصلا إلى اتفاق ، ولكن احترم كل منهما رأى الآخر .

ثم حدث أن فيكتور أسقف روما فيما بعد هدد كنائس آسيا بالقطع من الشركة ، وكان رد بوليكاربوس أنْ الّف مجمعاً قرر أن هذا لا يخالف الإيمان . ورغم أن ايريناوس أسقف ليون كان من رأى فيكتور إلا أنه نصحه ألا يقطع الشركة فلم يخضع لنصيحته .

وقد التأم أيضاً مجمع فى اللاذقية سنة ١٧٠م لهذا الشأن بين الكنائس الشرقية ، ولكن الأمر حُسم فى مجمع نيقية أن يكون عيد القيامة فى الأحد الذى يلى الفصح اليهودى .

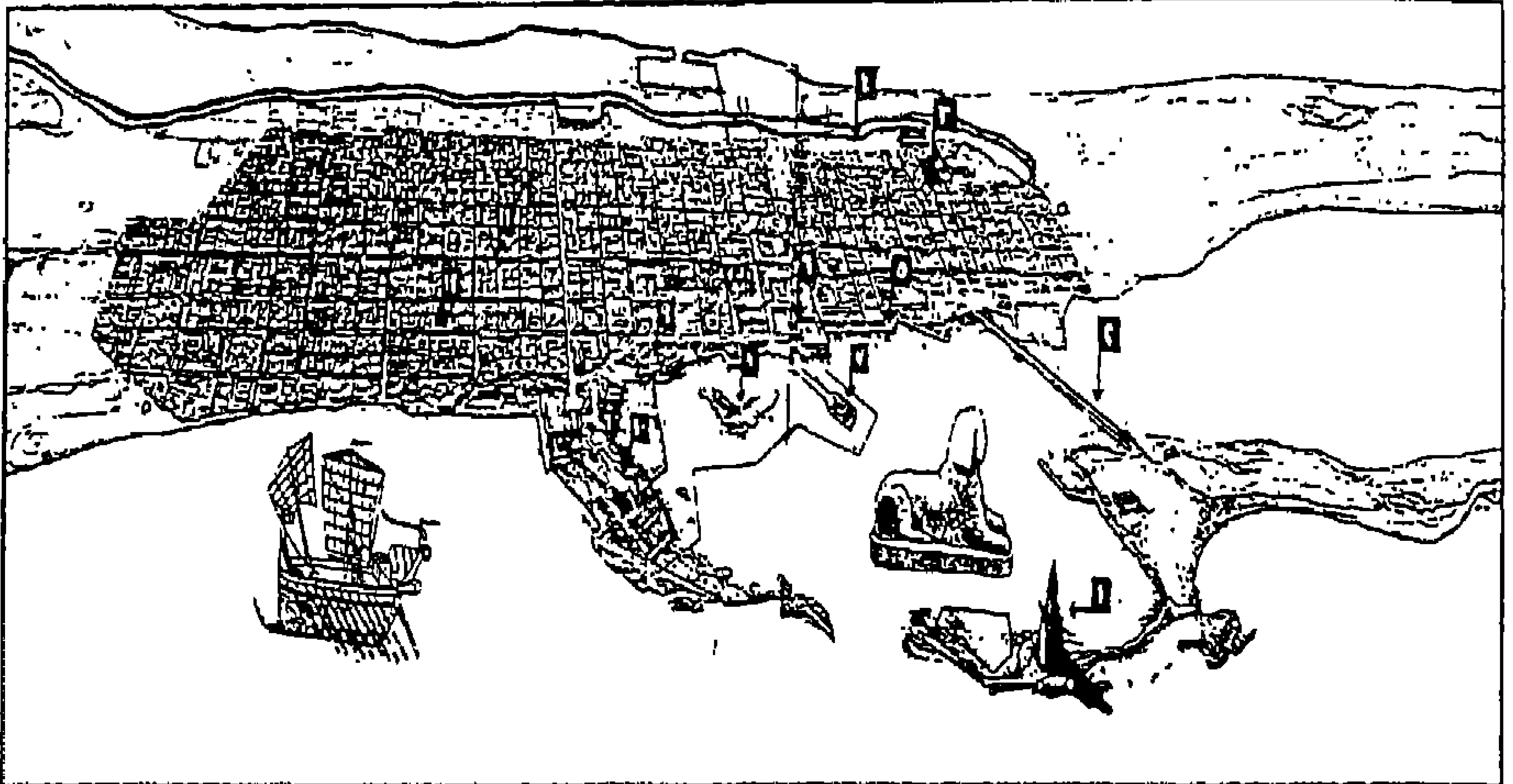
وتكررت مشكلة تقدم أسقف روما أيضاً فى منتصف القرن الثالث الميلادى فى قضية عماد الهراطقة . فقد كانت بعض كنائس الشرق وكنيسة قرطاجة ترفض المعمودية التى يقيمها الهراطقة رغم أنها تكون على اسم الآب والإبن والروح القدس ، فى حين أن كنيسة روما كانت تعتمدها طالما كانت صحيحة بشكلها . فهدد إستفانوس أسقف روما (٢٥٣ ـ ٢٥٧م) بقطع العلاقات إن لم تقبل الكنائس المذكورة معمودية الهراطقة . وأرسل القديس ديونوسيوس الأسكندرى رسالة إلى إستفانوس أسقف رومية أن لا يعكر السلام تاركاً كل كنيسة أن تعمل وفق تقاليدها . ومع ذلك استمر الخلاف حول هذه القضية إلى أن حُسم الأمر فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م .

لقب البابوية :

أما عن لقب " بابا " فقد عُرف أولاً فى الكنيسة القبطية من عهد البابا ياروكلاس الثالث عشر من بطاركة الأسكندرية (٢٣٠ ـ ٢٤٦م) حيث رسم أساقفة معه ، وهم آباء روحيون فى الكنيسة ، فصار أباً للآباء فلُقب بالبابا واستمر هذا اللقب لكل خلفائه (تاريخ الإنشقاق جـ ١ ص ٢٩ ـ ٣١ ، تاريخ الكنيسة للقس منسى يوحنا ص ٦٠) .

كرسى الإسكندرية

كانت الإسكندرية وقت دخول المسيحية هى قلب العالم النابض ثقافياً وفكرياً وحضارياً كما كان موقعها ملتقى العالم المعروف فى هذا الوقت لهذا يلزمنا دراستها بأكثر تفصيل :



المواقع الرئيسية في مدينة الاسكندرية القديمة:

١. الفنار . احدى عجائب الدنيا السبع و تم تشييده فوق جزيرة فاروس ومنها اشتق الاسم ، وكان يتم انارته بواسطة نار يبلغ ارتفاعها ١٠٠متر اسفل تمثال زويس وعلى الطريق المؤدى للفنار كان هناك معبد لايزيس

٢. الهبتستاد . رصيف يفصل بين الميناء الكبير و ميناء اونوستوس بامتداد ١,٥ كيلومتر مما يسمح برسو السفن في اى وقت كما يحتوى على فتحات تسمح بالمرور من جانب الى اخر

٣. سرابيون المعبد الكبير الذى اقامه البطالمة لتمجيد الاههم سرابيس

٤. القناة الكبرى : التى كانت تمد المدينة بالمياه الصالحة للشرب وتصل الميناء بنهر النيل من اجل نقل البضائع الى جميع ارجاء مصر

٥. السوق ومستودع التجارة البحرية قلب المدينة التي وصفها الجغرافى اليونانى استرابون بانها "الوكالة التجارية للعالم".

٦. قيصريوم: المعبد الذى اقامته كليوباترا على شرف انطونيو.

٧. تيمونيون: القصر الذى اختار انطونيو الاختباء فيه وهو مقام على لسان يمتد في البحر .

٨. انتيرودس الجزيرة التى كان يقام عليها فيلات كليوباترا ومن المحتمل ايضاً انها كانت تضم ميناء ملكيا

٩. حى القصور مدينة واسعة داخل الاسكندرية كانت تضم المتحف والاكاديمية التى كان يتوافد عليها جميع علماء اليونان وايضاً مكتبة الاسكندرية الشهيرة والمؤسسات الحكومية

١٠. القصر الملكي : المقام على راس لوشيوس ، بالقرب من الميناء الخاص بالملوك ومعبد ايزيس.

١١. الطريق الرئيسى يمتد من الشرق للغرب .

١٢. حى اليهود. كان مخصصا حتى العهد الرومانى نظراً لوجود تمثال خاص بهم

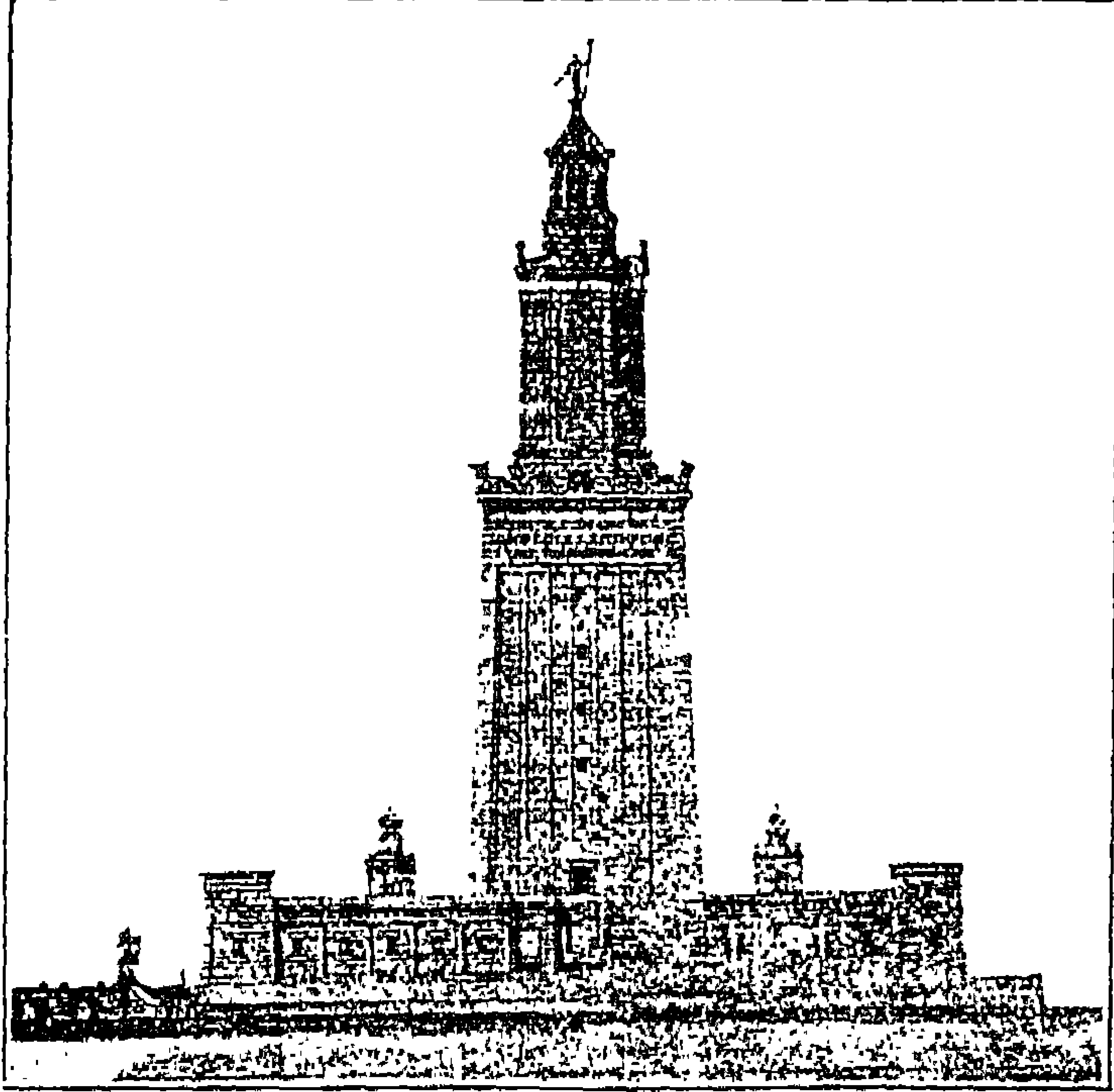
الإسكندرية جغرافياً وتاريخياً (٥٣) :

أمر الإسكندر الأكبر بإنشاء مدينة الإسكندرية ، وكان الإسكندر أحد الحكماء وتلميذ الفيلسوف أرسطو ، كما كانت جزيرة فاروس التى أختارها الإسكندر لموقع الإسكندرية مذكورة فى ملحمة الأوديسا لهوميروس .

وتقع الجزيرة غرب مصب النيل الغربى بعيداً عن ترسيبات الطمى ولا تبعد أكثر من ميل عن الشاطئ ، وبتوصيلها للبر نشأ ميناءان متسعان أحدهما شرقى والآخر غربى .

أقيمت الإسكندرية بين بحيرة مريوط والتى كان يصب فيها أحد فروع النيل وبين البحر، كما كان يقع على البحيرة مقر للصيادين هى قرية " راكوده " ومعناها حصن الإله رع .

وبهذا أصبحت الإسكندرية مقراً لمينائين أحدهما من الجنوب يأتى بالسفن المحملة بالمنتجات الزراعية والصناعية من الوادى ، وآخر من الشمال يربط الإسكندرية بسواحل الإمبراطورية وأقيم عليه مغارتها الشهيرة التى كانت إحدى عجائب الدنيا السبع .



منارة الاسكندرية كما كانت

كانت مصر قبل الإسكندر خاضعة للحكم الفارسى الذى أنهى على الملوك الفراعنة قبل عشر سنوات من دخول الإسكندر ، وكان المصريون يرجون الخلاص من المستعمر الفارسى . وقد كان للهيلينيين مقاماً فى مصر منذ عصر بسماتيك الذى أسس الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ ـ ٥٢٥ ق.م) وحين هزم الإسكندر دارا الثالث ملك الفرس ، لم يقاوم مازاكيس الوالى الفارسى على مصر وسلمها للإسكندر بدون مقاومة ، فدخل ممفيس سنة ٣٣٢ ق.م ، ثم اتجه إلى الشمال بمحازاة فرع النيل الغربى الكانوبى ، وهناك أمر

ببناء الإسكندرية ، ثم زار سيوه ، وتُوج ملكاً على مصر فيها ، وعهد إلى دينوقراطس الرودسى ببناء المدينة ، ثم إستأنف غزوه للشرق .

أُغتيل ملك الفرس سنة ٣٣١ ق.م ثم مات الإسكندر في بابل سنة ٣٢٣ ق.م وكان قد أوصى بدفن جثمانه في سيوه ، ثم كان إستئثار البطالمة بحكم مصر ، وبهذا فإن بطليموس الأول يعتبر المؤسس الحقيقى لمدينة الإسكندرية ، الذى أحضر جثمان الإسكندر الى ممفيس ثم إلى الإسكندرية .

استمر البطالمة فى تعمير الإسكندرية حتى كان آخرهم الملكة كليوباترا ، التى أرادت أن تتزاوج بالإمبراطورية الرومانية الناشئة ، فأنجبت من حبيبها يوليوس قيصر إبنها قيصرون ، ولكن الرومان إغتالوا يوليوس سنة ٤٤ ق.م . فلجأت إلى أنطونيوس الذى هزمه أكتافيوس فى موقعة أكتيوم سنة ٣١ ق.م فانتحر ، وقُتل إبنها قيصرون فانتحرت وصارت مصر مقاطعة رومانية .

الإسكندرية سكانياً :

كانت الإسكندرية وقت دخول المسيحية رومانية حكاماً ، ولكنها كانت خليطاً من جاليات مختلفة ، إنصهرت فيها كل الأجناس التى وفدت إليها حيث كانت ومازالت أكبر ميناء فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، ولعلها جسّدت فكرة الإسكندر فى وحدة العالم ، والتى تجمع بين الإختلافات الفكرية والدينية فى حضارة مدنيّة واحدة . وقد إزدهرت الإسكندرية دون كل المدن التى أنشأها الإسكندر بفضل الحضارة المصرية وموقعها المتميز ، وكان سكانها فى هذا الوقت على النحو التالى :ـ

١ ـ المواطنون :

وهم اليونانيون الذين استقروا بالمدينة بعد الإسكندر ، وقد كانوا على قمة الهرم الإجتماعى، ومعفيون من الضريبة ، ويتم منهم اختيار قضاة المدينة ، وحينما أعطى كاركالا سنة ٢١٢ ق.م حق المواطنة الرومانية للأحرار كان يلزم أن يكون مواطناً إسكندرياً .

٢ ـ المهاجرون اليونانيون :

وهم الذين جاءوا من إحدى المدن الأغريقية وإحتفظوا بأصلهم العرقى ، وكان هذا يعطيهم وضعاً ممتازاً أيام حكم البطالمة ، وكانوا يمثلون أغلبية الطبقة المثقفة والإدارية بالمدينة .

٣ ـ اليونانيون :

أو الذين يتكلمون اليونانية ، دون أن تكون لهم المواطنة السكندرية أو الإنتماء إلى المدن اليونانية . وهؤلاء كانوا خليطاً من أنحاء حوض البحر الأبيض ، من إيطاليين وسوريين وليبيين وصقليين بل فرس وأثيوبيين وعرب وهنود ، يضاف إليهم نخبة من الأهالى المصريين أتيح لهم تولى بعض المناصب ، كانت هذه الفئة تمثل أكبر جماعات سكان الإسكندرية عدداً أتى بعضهم للأغراض التجارية ، وكانوا ذوى مراكز متواضعة ، وأقاموا علاقات بالمصريين من خلال التزاوج المختلط ، وشكلوا فى العصر الرومانى الكتلة السكانية للإسكندرية .

٤ ـ اليهود :

كانوا يشكلون فى المدينة جماعة قائمة بذاتها ، إستقرت فى أحدى أحياء المدينة الخمسة (حي دلتا) فى الشمال الشرقى وقسم (بيتا) على الغرب منه ، ولكن متاجرهم ومعابدهم كانت توجد أيضاً فى أنحاء المدينة . ورغم أنهم لم يكونوا مواطنيين سكندريين إلا أنهم كان لهم وضع خاص يمنحهم بعض المميزات منذ العصر البطلمى أكدها كلوديوس بإقراره رئيس للجاليه ليعاونه مجلس من ٧١ عضو .

قامت عدة ثورات يهودية بالإسكندرية أيام حكم نيرون سنة ٦٦م وأواخر حكم تراجان من سنة ١١٥ ـ ١١٧م وفى أيام حكم هدريان بعدها بسنوات . كانت أعنف الثورات أيام تراجان ، إشترك فيها يهود من القيروان وقبرص وبين النهرين ، تشتت على اثرها عدد كبير فى أنحاء مصر .

وفى القرنين الرابع والخامس الميلاديين ، كانت مواجهة بين المسيحيين واليهود بالمدينة ، ولكن ظل جزء منهم قائماً بالمدينة حتى دخول العرب فيها سنة ٦٤٢م .

٥ ـ السكان من الأهالى :

وكانت النواة الأولى منهم هم سكان قرية راكوده (راكوتيس) بالجنوب الغربى . ومنذ إنشاء المدينة لم يتوقف مجئ المصريين إليها بسبب ثرائها أو بسبب الهروب من الضرائب الباهظة التى فرضها الرومان ، وكانت السلطات حريصة على منعهم لتوفير الأيدى الزراعية ، ولم يسمحوا بالإقامة إلا لمن يقوم بخدمات للمدينة مثل توفير الوقود للحمامات ، أو نسج الكتان ، ولكن منهم من كان قد استقر بالمدينة منذ مدة طويلة وتطبع باليونانيين كما سبق القول .

ولم ينغلق السكان المصريون بل إندمجوا فى المدينة ولم يعودوا مرتبطين بمعبد سيرابيس الذى كان مقاماً فى راكوده والذى اندثر .

٦ ـ العبيد :

كان العبيد متواجدين فى المدن الأغريقية بصفة عامة ، لهذا لم يوجدوا سوى فى التجماعات اليونانية بمصر ، حيث أن العبودية لم تكن تقليداً فى مصر الفرعونية، كما كان إستغلال الأرض الزراعية يتم لأحرارٍ فى ظل نظام تأجير الأراضى . كان تعداد العبيد يتذبذب حسب ظروف المدينة ، وكانوا ينحدرون من أسرى الحروب الرومانية قبل الميلاد ، بالإضافة إلى من يولدون عبيداً ، أو من الذين يباعون بسبب عجزهم عن سداد الديون الضريبية .

وقد أدّى السلام الرومانى فى القرنيين الميلاديين الأولين إلى نضوب مصادر العبيد . وكانت مهمة العبيد فى الإسكندرية القيام بأداة الأعمال المنزلية والأعمال المتعلقة بالحرف اليدوية .

٧ ـ الرومان :

لم يكونوا سوى طائفة أجنبية ، يكرهها اليونانيون ويبغضها المصريون . كان التعسف والغطرسة الرومانية سبباً لعجزها عن فهم جوهر الحضارة المصرية . كان الرومان سادة البيروقراطية ، وركزوا على حكومة مركزية قوية ، تدعمها قوة حربية ، وأدخلوا نظم

للسجلات والرقابة ، وأعادوا السياسة العنصريه بين اليونانيين والمصريين والعبيد التى إنتهجها البطالمة أول عهدهم ، ولكن الرومان الذين إستأثروا بكل خير مصر كانوا ينقلونه إلى روما فى حين أن البطالمة كانوا يسعون لخير مصر ، وعلى العكس من ذلك أرهق الرومان المصريين بالضرائب الباهظة بعد إقامة السجلات والإحصاء لكل بيت فى كل عاصمة إدارية ، بالإضافة إلى السجلات الرئيسية بالإسكندرية ، مما أدى إلى تدهور الرخاء الإقتصادى مع بداية القرن الثانى .

ولخوف الإمبراطور الرومانى من إستئثار أى حاكم لمصر ، لم يجعل لمصر مندوب يحكمها من أعضاء السناتو مثل الولايات الرومانية الأخرى ، بل يتولى أمرها حامية رومانية تتلقى الأوامر أول بأول من روما . ولكونهم يدركون أهمية العقيدة الدينية عند المصريين ، فقد إبتكروا منصب " كاهن الإسكندرية الأعظم ومصر جمعاء " ، وعلى الرغم من كونه موظفاً مدنياً من الرومانيين كان له السيطرة العليا والإشراف على جميع المعابد فى مصر .

الإسكندرية ثقافياً :

من التركيبة السكانية نستطيع أن نستنتج مدى التزاوج الذى صار بين حضارتين عظيمتين هى الحضارة المصرية واليونانية ، إنضمت إلى كتلة متساوية من الشعب اليهودى ، تجمعت هذه الحضارات وإمتزجت فى موقع يطل على الشرق والغرب ، البحر والنيل ، وقام برعايتها حكام شغوفون ومولعون بالعلم والمعرفة هم البطالمة الأول ، ووقع تحت ايديهم كنوز الفرس التى إستولوا عليها والتى كان بعضاً منها منهوباً من مستعمراتها فى مصر وغيرها ، ومن هنا نشأت مكتبة الإسكندرية ومدرستها ومنارها الذى كان أحد عجائب الدنيا السبع .

كانت المكتبة هى عقل المدرسة وأقيمتا الأثنتان محاطتين بحدائق وممتلئتين بالقاعات تضمان مرصداً وحديقة للحيوانات ، وتحوى المكتبة على ما يزيد عن نصف مليون بردية . لم تكن المدرسة بمعنى معهداً لتلقى العلم ، بل مركزاً للبحوث العلمية والدراسات

الإنسانية فكانت مقراً لعلماء التشريح والفلك والهندسة والفيزياء ، وكانت المكتبة مقراً لعلماء فقه اللغة والأدب والشعر والفن والفلسفة والتاريخ والجغرافيا .

كان يسبق مدرسة الإسكندرية جامعة عين شمس المصرية (ممفيس) أول جامعة فى التاريخ ، وكان يسبق مكتبة الإسكندرية مكتبات أخرى فى العالم الهيلينى مثل مكتبة أرسطو فى أثينا وأنطاكية ورودس وأزمير وغيرها ، فاقتهم مكتبة الإسكندرية بسبب المدرسة .

لقد قيل عن بطليموس الثالث أنه أصدر أمراً يفرض على جميع المسافرين الذين يرسون بسفنهم فى ميناء الإسكندرية أن يودعوا ما قد يحتويه متاعهم من كتب ، كما أستعار من أثينا النسخ من كثير من المؤلفات لنسخها وأخذ مستخرج منها .

ولم يكن أمناء المكتبة مجرد منظمين أو مفهرسين ، بل كان عليهم أن يكونوا علماء متمكنين . كان ديمتريوس الفاليرى حوالى سنة ٢٨٤ ق.م أول أمين للمكتبة وكان أحد زعماء أثينا السياسيين العظام وصار مستشاراً لبطليموس الأول ، وكان خبيراً بمكتبة أرسطو فى أثينا .

إن نظرة إلى أمناء المكتبة يوضح عالميتها ونظرة إلى علماء المدرسة يوضح سمو رفعتها :

كان أولهم ديمتريوس الفاليرى والذى كان أحد مؤسسيها الذى سبق الإشارة إليه .

٢ - رينودوتوس الأفسسى ٢٨٤ - ٢٦٠ ق.م الذى راجع مؤلفات الشعراء اليونانيين والإلياذة والاوديسا .

٣ - كاليماخوس البرقاوى ٢٦٠ - ٢٤٠ ق.م والذى فهرس مقتنيات المكتبة إلى مسرحيين وشعراء وفلاسفة ومؤرخين ... الخ ، وكان يونانياً .

٤ - أبوللونيوس الرودسى ٢٤٠ - ٢٣٥ ق.م وكان مصرياً وأقام فى رودس مدة من الوقت وكان خطيباً .

٥ - اراتوستينس البرقاوى ٢٣٥ - ١٩٥ ق.م وكان عالماً رياضياً وفلكياً وفقيهاً فى اللغة ، رتب أحداث التاريخ وقياس الأرض .

٦ ـ أرستوفانيس البيزنطي ١٩٥ ـ ١٨٠ ق.م وكان فقيهاً في اللغة .

٧ ـ أبوللونيوس أيدوجرافوس ١٨٠ ـ ١٦٠ ق.م .

٨ ـ إرستاخوس الساموثراقي ١٦٠ ـ ١٤٥ ق.م وكان ناقداً أدبياً ونحوياً .

ومنذ الوقت الذى عاصر بطليموس السابع واجه البطالمة صعوبات وإضطرابات أفقدتهم الإهتمام بالمكتبة ، ولعله وصل إلى المكتبة شئ من الحريق أو صادرت روما بعضاً من مقتنياتها .

ثم تضاربت الأقوال بشأن وضعها إلى أن تحدث أبو الحسن على بن يوسف القفطى (١١٧٢ ـ ١٢٤٨م) فى كتابه " تاريخ الحكماء " عن الخطوط التى إتخذها عمرو بن العاص لحرق المكتبة وتفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها فى مواقدها فى مدة إستغرقت ستة أشهر .

أما عن علماء مدرسة الإسكندرية والذين كان يتولى البطالمة إعالتهم كان منهم بطليموس واضع كتاب " المجسطى " للقواعد الفلكية وهو عالم مصرى من سكان مدينة الفرما ، والعالم إيراتوسطينس (٢٧٤ ـ ١٩٤ ق.م) الذى وضع أساس علم الجغرافيا وخريطة لكرة الأرض ، وأرستارخوس الفلكى الذى نادى بدوران الأرض حول الشمس وأنها أحدى كواكبها ، وأقليدس الذى وضع كتاب الهندسة ، وأرشميدس الذى أكتشف العلاقة بين القطر والدائرة وقانون الثقل والإزاحة المائية وقام بصنع الآلات ، وإيراسيستراتوس فى علم التشريح ، هذا غير الأدباء والفلاسفة والشعراء ، وكان أعظم انتاج هو الترجمة السبعينية للعهد القديم إلى اليونانية .

أما وصف المنارة أنها شيدت على قاعدة صخرية ارتفاعها ٧ أمتار عن البحر وكانت من ثلاث طوابق الأسفل مربع والأوسط مثمن الأضلاع والأعلى مستدير ويبلغ محيط القاعدة ١٢٦ متراً والأوسط ٥٦ متراً والأعلى ٢٨ متراً ويصل إرتفاعها إلى ١٤٠ متراً وقد تهدم سنة ١٣٢٦ م .

فلسفة الإسكندرية (٧٢) :

من الحقائق التى ذات معنى أن طاليس أبو الفلسفة اليونانية (٦٢٤ ـ ٥٤٧ ق.م) رحل من جزيرة أيونيا باليونان إلى مصر ليأخذ عن حكمائها الفلسفة والفكر وعلم الهندسة ، كما أن فيثاغورس كان أحد اليونانيين المقيمين فى نقراطس بمصر .

ولكن ثمة فرق بين الفلسفة اليونانية والمصرية ، فالفلسفة اليونانية عقلية نظرية جافة لا تشبع النفوس القلقة ، فتصل بروحيات الإنسان إلى طريق مسدود ، أما فلسفة الإسكندرية فكانت ـ بسبب التوجه الديني للحضارة المصرية ـ هى إمتزاج بين العقل وما فوقه ، أو البصر والبصيرة .

وكما رأينا أن الأبيقورية والرواقية كانت بداية لتطور الفلسفة اليونانية إلى آفاق إنسانية ، فإن إمتزاج هذه الفلسفات مع الفكر المصرى أنشأ ما يسمى " بالافلاطونية الحديثة " . إن العقل اليونانى الذى تعب من البحث الفلسفي والتقنين النظرى والذى نشأ على الإستدلال والإستنباط وجد ضالته فى المنهج التجريبى المنظم للمصريين والتطبيق العملى للفكر والذى تجلى فى آثار مصر وحضارتها وقيمها الروحية فأشبع النفوس التى فى حاجة إلى الإيمان ، وفتح الأفاق فى غموض الكون والخليقة . وأطلق على هذه الفلسفة " الفلسفة الهرمسية " نسبة إلى هرمس ـ توت ـ الإله المصرى للحكمة والفنون وذلك فى القرن الميلادى الثانى ، وهى الفلسفة التى تنتقل بين معلم ومستمع ، وهو ما يختلف عن المدارس الفلسفية اليونانية .

وعلى ذلك فإن كان التصوف فى الفلسفة أدى إلى الغنوسية ، فإن الفلسفة فى الإسكندرية كان لها إتجاه دينى واضح يهدفون به إلى حكمة إلهية لاهوتية تحقق خلاص الإنسان بأتحاده بالآلهة إمتداداً للتراث اللاهوتى المصرى القديم من كتاب الموتى واسطورة إيزيس وأوزوريس ، كما أن الفضيلة والسعادة عند الرواقيين والأبيقوريين كانت عند السكندريين هى خلاص النفس ، وهو ما تجلى فى فلسفة أفلوطين المصرى الذى ولد بالصعيد سنة ٢٠٥م وأقام مدرسته الفلسفية فى عام ٢٥٨م والذى إستقى فلسفته من أستاذه أمونيوس بالإسكندرية ، وفى المقابل نجد فيلون اليهودى السكندرى يحاول تفسير التوراة فلسفياً كما سبق القول .

الفكر الدينى فى الإسكندرية :

كان اليونانيون والرومان من الشعوب التى أتعبها البحث عن يقين لاهوتى يمنحها إحساساً بالخلاص ، وإن كانت فلسفاتهم قد إقتربت من وحدة الوجود والخالق والقوة الآلهية إلا أنها لم تصل إلى وضوح الرؤية لله كما كانت عند اليهود ولا كانت قريبة من اللاهوت المصرى القديم .


تمثال ديمتر . وقد وجد في قسم الاثني عشر إلهاً في سميرنا.

وكما رأينا كانت الهتها اسطورية وتميل إلى التنجيم وأعمال السحر وأحياناً عبادة الأبطال ، فى حين كانت الديانة المصرية تؤمن بالإله الواحد الغير المدرك الذى يتمثل فى آلهه محسوسة بصورة مختلفة أو فى الفرعون الذى تحل فيه روح الإله ، وهو ما دعا الإسكندر الأكبر إلى إدعائه أنه سليل آخر الفراعنة ، وأقيمت له الإحتفالات بسيوه ، ومن هنا بدأ اليونانيون عبادة البطل التى انتقلت إلى بدعة تأليه الحاكم الرومانى فيما بعد .

وإن كان اليونانيون أظهروا تعصباً عرقياً وسياسياً ، إلا أنهم كانوا على استعداد لإستيعاب عقائد الآخرين دون حرج ، أما اليهود فكانوا متقوقعين فى يهوديتهم رغم تأثرهم بالثقافة الهيلينية .

لهذا نجد اليونانيين يُصلّون للآلهة المصرية وأدمجوا عبادة العجل أبيس إلى أوزوريس فى الإله سيرابيس ، حتى أن مانيتون الكاهن والمؤرخ المصرى الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد وكاتب تاريخ الأسر المصرية كان كاهناً فى معبد هليوبوليس (عين شمس) مع تيموثيوس أحد كهنة معبد ديمتير اليونانى .

المجتمع المصرى وقت دخول المسيحية :

حين إستحوذ بطليموس الأول بحكم مصر لم يتبع سياسة الإسكندر فى إقامة مدن تحميها الجنود المرتزقة ، فلم يبن سوى مدينة واحدة على النمط اليونانى أسماها بطلميه فى الصعيد (محلها الآن مركز المنشآة محافظة سوهاج) وعلى هذا لم يكن هناك تجمع يونانى سوى فى بطلمية والإسكندرية ونقراطيس (نقراش وميت جعيف مركز ايتاى البارود محافظة البحيرة) التى كانت مركز التجمع اليونانى من قبل دخول الإسكندر .

كان البطالمة إداريون يتسمون بالحزم وصلابة الرأى ، كما كانوا رجال أعمال وجعلوا من مصر محور إرتكاز لقوتهم . وفى البداية انقسم المجتمع إلى ساده من الحكام وطبقة شعب محكومة أُقصيت عن الجيش والمناصب الإدارية العليا ، رغم أن بعض الكهنة وفئة قليلة من المصريين تولوا وظائف فى السلك الإدارى وألّفوا نوعاً من الإستقراطية الوطنية . أعتُبرت الأرض الزراعية ملكاً للحكام ، وكان المصريون يشكلون فئة مستأجرى الأرض وأصحاب الحرف والصناعات ، وأحكم البطالمة قبضتهم على البلاد بإعطاء القادة العسكريين من اليونانيين إختصاصاتهم ومسئولياتهم فى قطاعات البلاد الإدارية ، ثم حمّلوهم الأعباء المدنية والمالية ومنحوهم قطاعات من الأرض ، ولكن ظلت أجزاء من الأرض تابعة للمعابد ، وإحتكروا بعض الزراعات الهامة المنتجة للزيوت وكذلك المنسوجات ، وسكّ بطليموس الأول نقداً رسمياً من الذهب والفضة والنحاس ، سرعان ما أنتشر تداوله بدلاً من المقايضة .

وإن كان المصريون قد أُصيبوا بخيبة أمل من معاملة البطالمة فى أول الأمر بسبب هذه التفرقة فى التعامل بعد أن وثقوا فى الإسكندر ، لكنه سرعان ما امتزج اليونانيون المنتشرون فى البلاد بالتزاوج مع المصريين ، ولكن بقيت طيبة فى الصعيد تكاد أن تكون ولاية مستقلة . لم يخضع المصريون لإحتقار اليونانيين ، وقابلوهم بالإنفة الوطنية وبالمشاحانات فى بعض الأحيان ، وتشير بعض البرديات إلى الروح الوطنية المتأججة وتطلعه إلى الخلاص من الحكم الأجنبى ، ولكن البطالمة أبقوا للكهنة إمتيازاتهم وقاموا بتشييد معابد جديدة مما جعلهم أقل تنافراً ، وإن كان قد قام فى القرن الثانى والأول قبل الميلاد بعض الحركات القومية ضدهم .

وكعادة مصر ، انصهر فيها العنصر الأجنبي وتعلم بعض اليونانيين المنتشرين لغة البلاد الديموطيقية ، وحلت العبادة للآلهة المصرية في الإسكندرية ونقراطيس وبطلميه ، وتخلى اليونانيون عن إعتزازهم بقوميتهم وإندمجوا في الأرستقراطية المصرية ، ولكن الفلاحين ظلوا يتكلمون لغتهم الوطنية وأحتفظوا بتقاليدهم القديمة وأساليبهم في الحياة .

جلب البطالمة الثلاثة الأول ثروة ورخاء للبلاد ، ولكن مع زيادة المشاحنات الداخلية والأطماع الخارجية وإنحلال البطالمة إبتداء من الرابع ، أغرى هذا أنطيوخوس السورى بالهجوم على الممتلكات المصرية بالشام . وهنا قام المحاربون القدامى وأنتظم جيش مع المصريين وإستعاد المصريون ثقتهم وهزموهم في رفح سنة ٢٠٢ ق.م .

وفى عهد بطليموس الخامس استولى فيليب المقدونى على ممتلكات مصر فى بحر إيجه وأنتهز أنطيوخوس الفرصة وغزا مصر ، ولكن الهيبة الجديدة لروما أجبرته على الإنسحاب ثم إستولت على مقدونيا سنة ١٦٨ ق.م ثم الشام فيما بعد كما سبق القول .

حاولت طيبة استغلال الموقف وأعلنت الثورة والعصيان مما أدى إلى تخريبها والقضاء عليها سنة ٨٢ ق.م .

انتهى الأمر فى النصف الثانى من القرن الثانى قبل الميلاد ، إلى سلسلة من الكوارث الإقتصادية والقلاقل الإجتماعية وضعف التجارة وتدهور سلطة الحكومة المركزية ، إلى أن انتهت بدخول الرومان مصر بعد انتحار كليوباتره .

وإن كان الرومان قد إتخذوا سياسة العنف والبطش كما سبق القول إلا أنهم أظهروا عطفهم على الحضارة اليونانية وأبقوا لغتها لغة رسمية للبلاد وجعلوا اللاتينية للجيش فقط ، كما قدموا القرابين للآلهة وشيدوا الهياكل والمعابد رغم أنهم أخضعوا لهم نفوذ رجال الدين. وأقام هدريان (١١٧ - ١٣٨م) مدينة أنطينوبوليس (الشيخ عبادة) تخليداً لذكرى صديقه أنطنيوس الذى غرق فى النيل .

بعد ذلك لم تتوقف المناوآت المصرية للإمبراطورية الرومانية رغم جبروتها ، ففى عهد ماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠م) اشتعلت ثورة فى الدلتا عُرفت " بحرب الرعاة "

وكادت الإسكندرية أن تسقط فى قبضتهم ، إلى أن أتت نجدة بقيادة كاسيوس من سوريا والذى حاول الإستقلال بمصر بعدها فقضى عليه الإمبراطور .

وزار مصر سبتيموس سافيروس (١٩٣ ـ ٢١١م) وأقام أبنية عامة وسك نقوداً تخليداً للزيارة ، كما زار كاركالا الإسكندرية سنة ٢١٥م وسخر منه أهلها ، فأطلق جنوده على المدينة فخربوها وألغى الإحتفالات العامة وأقام حاميات بداخلها ، وأوقف الإنفاق على مدرسة الإسكندرية مما يعتبر أول كسر لحلقات الحضارة المصرية .

خلفه ماكيرنوس (٢١٧ ـ ٢١٨م) الذى شذّ عن القاعدة وأقام حاكماً لمصر من السناتو مما يدل على ضياع ثقلها السياسى ، وحينما وقعت فتنة فى الحرس الإمبراطورى فى عهد إسكندر سيفيروس (٢٢٢ ـ ٢٣٥م) لم يعد لمصر رأى فيما بعد لترشيح الأباطرة الرومان . ثم هدأت الإسكندرية سياسياً حتى عهد دكيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١م) فى الوقت الذى انتشرت فيه المسيحية فى مصر مما حدا بالرومان اتخاذ الوسائل لمنع انتشارها .

أما عن الجالية اليهودية فى مصر فقد كانت موجودة منذ أيام إرميا النبى بعد هروب عدد كبير منهم أيام نبوخذ نصر سنة ٥٨٤ ق.م ورغم معارضة إرميا لذلك (إر ٤٢:١-٢٢) أتى اليهود إلى تحفنحيس وسكنوا فى مجدل ونوف وفتروس (إر ص ٤٣ ، ص ٤٤) .

وأخذت هذه الجماعة فى النمو حتى صار لها أحياء خاصة فى ممفيس (عين شمس) وبابليون ، وأسس أونياس رئيس كهنة أورشليم معبداً عظيماً فى ممفيس وكانوا يحتفظون بنسخة قديمة من التوراة . وحينما أقيمت الإسكندرية نزح بعض منهم إلى هناك وأقاموا جالية كبيرة كما ذكرنا ، وكعهدهم كانوا يشتغلون فى التجاره والصناعة وكان لهم بعض الإمتيازات .

وفى عصر كاليجولا سنة ٣٨ بعد الميلاد لم يقيموا تماثيله فى معابدهم فحرمهم من امتيازاتهم ، وانتهز السكندريون الفرصة ونكلوا بهم ، مما دعا هيرودس أغريباس إلى دفع كاليجولا لعزل حاكم الإسكندرية . تجدد النزاع أيام كلوديوس سنة ٤٦م بعد أن أعاد إلى اليهود بعض امتيازاتهم مما آثار حنق السكندريين ضد اليهود وأيضاً ضد الرومان ، ثم كانت الثورات اليهودية كما ذكرنا أيام نيرون وتراجان وهدريان بعد تدمير أورشليم ومعبد ممفيس .

بطاركة الإسكندرية :

١ ـ مار مرقس الرسول (*) (١٨،٧٤) :

يعتبر القديس مرقس الرسول أول البطاركة أو هو مؤسس الكرسي بشهادة كل المؤرخين ، ولا شك أن من يهود الإسكندرية من كان قد آمن يوم الخمسين في أورشليم .

ويذكر يوحنا ذهبي الفم أن مرقس كتب إنجيله في مصر في زيارته الأولى ، كما أنه بإعتباره رسولاً أقام أنيانوس أسقفاً قبل مغادرته الإسكندرية حوالى سنة ٦٤م ، وسام معه ثلاثة من الكهنة هم ميليوس وسابينوس وسرودونوس وأيضاً سبعة شمامسة .

والمعروف أيضاً أن سمعان القانوى المعروف بالغيور (مت ١٠ : ٤) وهو أحد الرسل الإثنى عشر كرز بمصر والنوبة وبلاد الفرس " كتاب مروج الأخيار " ، " وأميلينو فى كتاب جغرافية مصر " .

ومن الذين ذُكروا فى الإنجيل من مسيحى الإسكندرية ، ثيوفيلس الذى كتب له القديس لوقا إنجيله ، وأبلوس اليهودى الذى كان : " مقتدراً فى الكتب وخبيراً فى طريق الرب حاراً بالروح ... وكان فى أخائية يُفحم اليهود جهراً مبيناً بالكتب أن يسوع هو المسيح " (أع ١٨ : ٢٤ ـ ٢٧) .

من المنطقى أن القديس مرقس كان لابد أن يقوم بعملين وقد أثبت التاريخ قيامه بهما : الأول هو وضع قداس الإفخارستيا ، والذى ظل يُلقن شفاهاً حتى دونّه الأنبا أثناسيوس الرسولى (البطريرك العشرون) وسلمُه للأنبا أفرونيتوس أول أساقفة أثيوبيا .

وقد أضاف إليه البابا كيرلس الكبير (البطريرك الرابع والعشرين) اضافات كثيرة فنُسب إليه وهو المعروف بالقداس الكيرلسى .

ويقول قاموس إكسفورد أنه فى سنة ١٩٢٨م أكتشف قصاصات من القداس فى بردية إستراسبورج ترجع إلى القرنين الرابع والخامس .

(*) أنظر أيضاً مؤسسى الكراسى الرسولية .

والعمل الثانى للقديس مرقس كان احتياجه لمن يساعده فى تلقين الإيمان للمقبلين إلى العماد ومن هنا كان اختياره للقديس يسطس الذى أقام ما يمكن أن يُسمى " بمدرسة الموعظين " التى صارت نواة مدرسة الإسكندرية اللاهوتية .

ولعل ما ميّز هذه المدرسة عن المدرسة الوثنية هى قبولها لأُناس من ديانات مختلفة وثقافات متباينة وذوى مراكز إجتماعية مختلفة وأعمار متفاوته . ولعلها أيضاً كانت تعتمد على السؤال والجواب حيث كانت لا تميز بين الكبير والصغير أو السادة والعبيد .

كانت النتيجة الطبيعية هى ظهور المجتمع المسيحى الأول الذى شهد عنه الفيلسوف اليهودى فيلون بعد منتصف القرن الأول والذى دوّنه يوسابيوس ، عن عفتهم وصلواتهم ونُسكهم مايلى : " أنهم أول كل شئ قد تركوا مُمتلكاتهم ... والمُرجح أنهم فعلوا هذا فى ذلك الوقت تحت تأثير إيمان ملتهب مقتدين بسيرة الأنبياء " .

" وفى كل بيت من بيوتهم كان يوجد مكان مُقدس .. حيث يؤدون أسرار الحياة الدينية فى عزلة تامة وهم لا يُدخلون إليه أى شئ ، لا طعام ولا شراب ولا شئ يتصل بحاجيات الجسد " ، " لأنهم يقرأون الكتب المُقدسة ويفسرون فلسفة آبائهم بطريقة رمزية معتبرين الكلمات المكتوبة رموزاً لحقائق خفية .. ولايقضون وقتهم فى التأملات فحسب بل أيضاً يؤلفون الأغانى والترانيم لله بكل أنواع الأوزان والألحان " .

٢ ـ أنيانوس :

وهو الذى أقامه مار مرقس فى زيارته الأولى للإسكندرية قبل مغادرتها حوالى سنة ٦٤م ، وهو أول من آمنوا على يده وكان أسكافياً شفاه مرقس الرسول حينما أصيب وهو يصلح حذاءه . شهد له يوسابيوس أنه " كان محبوباً من الله مقبولاً عنده " .

ولا شك أنه تعب مع القديس مرقس فى نشره الكرازة ، وقد صار بيته أول كنيسة فى بوكاليا (دار البقر) .

وقد تنيح عام ٨٦م فى السنة الثالثة من حكم دوماتيان ، وأمضى ١٨ سنة على الكرسى عاصر فيها خراب أورشليم .

٣ - ميليوس :

أقيم على الكرسى سنة ٨٦م ، وهو أحد القسوس الذين رسمهم مرقس الرسول ، والمعروف أن الذى وضع عليه اليد كان الكهنة . وقد عاصر إضطهاد دومتيانوس إبتداء من سنة ٩٢م ، وأقام ١٢ سنة على الكرسى وتنيح سنة ٩٨م ، وقد عاصر الإمبراطور نرفا من سنة ٩٦م الذى خفف الإضطهاد .

٤ - كرودونوس (أو سرودونوس) :

أقيم سنة ٩٨م وهو أيضاً أحد القسوس الثلاثة الذين رسمهم القديس مرقس . عاصر كرودونوس إضطهاد تراجان كما عاصر الثورات الدموية بين اليهود واليونانيين .

وفى عهده لم يميز الأباطرة بين المسيحيين واليهود فكان بسبب أن المسيحيين لم ينقطعوا عن إجتماعاتهم أمر القيصر بإلقاء القبض عليهم ، وإشتد الإضطهاد سنة ١٠٤م ونال كثيرون الإستشهاد ، وإستشهد هو أيضاً سنة ١٠٨م بعد خدمة ١٠ سنوات وتسعة أشهر . وبسبب الإضطهاد أيضاً ظل الكرسى شاغراً لأكثر من ثلاث سنوات لعدم تمكن الشعب من إختيار خليفته (وقد إستشهد أيضاً فى هذه الفترة إكليمنضس الأسقف الرومانى وأغناطيوس الأسقف الأنطاكى) .

٥ - إبريموس :

أقيم سنة ١١٢م وقال عنه ساويروس المؤرخ أنه كان عفيفاً كالملائكة أعاد شتات الكنيسة بعد عاصفة تراجان ، وأمضى على الكرسى ١٢ سنة عاصر فى أواخرها حكم هدريان وتنيح سنة ١٢٤م .

٦ - يسطس :

وهو من مواليد الإسكندرية من أبوين وثنيين ، وهو من كان قائماً على مدرسة الموعظين أيام مرقس الرسول . وقد أقيم شماساً ثم كاهناً على يد أنيانوس وأقيم سنة ١٢٥م بعد أبريموس وعين أومانيوس مكانه على المدرسة ، وقد عاصر اضطهاد هدريان .

ولأول مرة فى عهده تقدم الكُتّاب المسيحيون بدفاعات عن المسيحية للقيصر مثل الفيلسوفان ارستد وكودراتوس اللذان قدما احتجاجات عن اضطهاد المسيحيين .

أمضى يسطس على الكرسى عشرة سنين وعشرة أشهر وتنيح سنة ١٣٥م بشيخوخة صالحة .

ملاحظات على كرسى الإسكندرية :

١ ـ لم يُعرف لقب بابا إلا فى أيام ياروكلاوس البطريرك الثالث عشر (٢٣٠ ـ ٢٤٦م) حين رسم أساقفة معه ، وقد كان خليفة مار مرقس يلقب " بأسقف الإسكندرية " .
وقيل أن البابا أومانيوس (السابع فى تعداد البطاركة) رسم أساقفة وأرسلهم إلى النوبة وليبيا (الخريدة النفيسة جـ ١ ص ١٥٨) ، وقيل ذلك أيضاً عن الأنبا ديمتريوس (البابا الثانى عشر) " مختصر تاريخ الأمة القبطية " .

٢ ـ أول من جلس من الرهبان على الكرسى المرقسى البابا كيرلس (الرابع والعشرين) سنة ٤١٢م ، ومنذ عام ٦٨٠م من أيام البابا يؤانس الثالث (الأربعون فى تعداد البطاركة) صارت القاعدة إختيار البطاركة من الرهبان .

٣ ـ كانت الإسكندرية هى مقر الكرسى حتى أيام البابا خريسطوذولوس (السادس والستين) فى القرن الحادى عشر الذى نقله إلى القاهرة .

٤ ـ أقيم على الكرسى أربعة آباء سريانيين : سيمون الأول (الثانى والأربعين) سنة ٧٠٠م وإبرام بن زرعه (الثانى والستين) سنة ٩٧٨م ، ومرقس الثالث (الثالث والسبعين) سنة ١١٨٩م ، ويؤانس العاشر (الخامس والثمانين) سنة ١٣٦٩م .

المدرسة اللاهوتية [٦٤] :

بدأت المدرسة كما ذكرنا كمدرسة للموعظين المقبلين للعماد ، ولهذا كانت جزءاً من المبنى الكنسى يجتمعون فيه مع معلميهم ، وكانوا من شتى الطبقات والأجناس والمعارف ، ولهذا كانت تعتمد على السوال والجواب ، وبذلك كانت المدرسة درساً عملياً بوحدانية الجميع فى جسد السيد المسيح .

ولعل الدراسة فى بدايتها اعتمدت على بشارة القديس مرقس المكتوبة باليونانية ساندتها دخول اليهود بتوراتهم المترجمة إلى اليونانية . يذكر القديس جيروم أن يسطس كان أول من أقيم على المدرسة وهو الذى صار الأسقف السادس فيما بعد على الكرازة ، تلاه أومانيوس الذى خلفه فى الأسقفية أيضاً ثم مركيانوس الذى تلاه فى الأسقفية أيضاً .

وكما يذكر يوسفيوس عن فيلو أنهم كانوا متحدين بمحبة خالصة وفائزين بسلام الروح السماوى لا فرق بين غنى وفقير ، زاهدين ، إمتزجت الدراسة بالحياة الروحية العملية من صلاة وصوم وعطاء ، وضمت الجنسين رجال ونساء ، ويهود وأمم . ومع بداية إنتشار المسيحية وفى منتصف القرن الثانى أقبل الفلاسفة على دراسة المسيحية ، وكان منهم أحد كبار مكتبة الإسكندرية وهو الفيلسوف أثيناغورس الأفلاطونى ، الذى عكف على دراسة المسيحية بهدف نقدها ، وإذا به ينجذب للإيمان سنة ١٧٦م وليخلف مركيانوس فى تعهده للمدرسة ، وبهذا دخلت مدرسة الإسكندرية اللاهوتية إلى عالميتها وذيوع صيتها . بدأ أثيناغورس بدفاعه عن المسيحيين فى عمل يحوى ٣٧ فصلاً ، قدمه للإمبراطورين الفلسفيين مرقس أوريليوس (١٦١ ـ ١٨٠م) وإبنه كوموديوس وأعلن رأيه فى المسيحية أنها إعلان إلهى فريد من نوعه حتى أنه إمتاز عن يوستينوس الشهيد فى إعتداله وحكمته فى الدفاع عن المسيحية .

كان أثيناغورس يتبع الأفلاطونية الحديثة ، لكنه لم يخضع لها بعد تحوله للإيمان بالمسيح ، وكان أول من يكتب عن الله بطريقة فلسفية مستشهداً بأدلة الفلاسفة ، وكتب عن الثالوث كجوهر واحد ، وعن الملائكة والإنسان والشر والحرية والوحى ، ولكن بسبب آرائه الخاطئة الخاصة بالشيطان اعتبرته الكنيسة فيلسوفاً وليس قديساً .

تولى بعده القديس بنتينوس الفيلسوف رئاسة المدرسة حوالى سنة ١٨١م ، وكان رواقياً مشهوراً من الذين يؤمنون بناموس الضمير ، وإليه يُنسب إدخال الفلسفة والعلوم إلى المدرسة لكسب الهراطقة والوثنيين المثقفين .

صارت المدرسة فى أيام بنتينوس مركزاً للتبشير حتى أنه ترك المدرسة لإكليمنضس السكندرى فى عهد الأنبا ديمتريوس وذهب للكرازة فى الهند ثم أثيوبيا وبلاد العرب .

كان بنتينوس هو الذى أدخل الأبجدية القبطية مُستخدماً الحروف اليونانية مضافاً إليها السبعة حروف الديموطيقية وبهذا أمكن ترجمة الكتاب المقدس إلى القبطية تحت اشرافه وعاونه اكليمنضس وأوريجينوس .

وقد قام بشرح الكتاب المقدس الذى كان قد تمت أسفاره فى هذا الوقت من التكوين إلى الرؤيا .

تولى بعده القديس اكليمنضس الإسكندرى أو أب الفلسفة المسيحية الإسكندرانية ، ولد حوالى سنة ١٥٠م من أبوين وثنيين ، وتتلمذ على يد بنتينوس ، وسيم كاهناً فى الإسكندرية وتسلم المدرسة حوالى سنة ١٩٠م حين سافر بنتينوس إلى الهند ، وغادر مصر إلى الشام أيام إضطهاد سبتيموس سافيروس حوالى سنة ٢٠٢م مثبتاً كنيسة الرب هناك .

وتنيح حوالى سنة ٢١٥م. قال عنه يوسابيوس : " المتمرن فى الكتب المقدسة " وقال عنه جيروم: " أكثر الجميع علماً " وقال عنه المؤرخ سقراط: " كان مملوء من كل حكمة ".

كان رجل فلسفة وشعر وأدب ومنطق وموسيقى ، مزج الدراسة بالعمل الرعوى والتبشيرى ، وأراد أن يكون كل مسيحى " غنوسياً " بمعنى أن يحب المعرفة الحقيقية لله وإقتنائه فيتساوى مع السمائيين ، ولهذا لقب المعمودية " بالإستنارة " التى تبدد الظلمة لإدراك الحق والمعرفة الإلهية .

لقد آمن أن دستور الكنيسة والكتب المقدسة لا يتعارض مع الفلسفة ، وأن غاية الفلاسفة وكل المدارس الفلسفية فى الحياة السامية تحققت كاملاً فى المسيح ، وفى رأيه أن الفلاسفة

يُعَدون أطفالاً جعل منهم السيد المسيح رجالاً ، وفى النهاية عرّف الغنوسى الحقيقى بمُحب المعرفة الذى يطلب الصلاح لأجل ذاته ولا يخضع لآلام النفس والمملوء حباً ، النقى ، الذى يتمم إرادة الله ، لا يخشى الموت ، رجل الصلاة ، وفى النهاية فالغنوسى فى نظره شهيد .

كانت الرمزية إحدى ملامح فكر اكليمنضس ، فهى فى نظره تخفى الحق وتعلنه فى نفس الوقت . كتب اكليمنضس فى الإلهيات والأمور الكنسية والإيمان والتعليم والإستشهاد وكانت أشهر كتاباته : فصح لليونانيين ـ المربى ـ المتفرقات والمتنوعات .

تولى المدرسة بعد اكليمنضس العلاّمة **أوريجينوس** ، وكلمة أوريجينوس تعنى ابن حورس ، وصفه القديس جيروم عن القديس ديديموس أنه " أعظم معلم للكنيسة بعد الرسل "

وُلِدَ فى الإسكندرية حوالى سنة ١٨٥م ورباه أبوه ليونيدس على الكتاب المقدس ، وكان لإستشهاد أبيه أكبر أثر على حياته حيث عاصر اضطهاد سبتيموس سافيروس سنة ٢٠٢م .

بلغت مدرسة الإسكندرية أوج عظمتها فى عهده ، ويحمل فى تعليمه دائرة معارف .

عيّنه البابا ديمتريوس رئيساً للمدرسة وهو فى سن ١٨ سنة ، وتميز أوريجينوس بدراسة الكتاب المقدس وتقديم حياته مثلاً للحياة الإنجيلية ، فكان سلوكه تعليماً . وأهتم بإعداد الموعوظين المقبلين للعماد بل كان يهيأهم للإستشهاد .

قسم أوريجينوس تلاميذه إلى قسمين ، المبتدئين وإختار لهم معلماً هو تلميذه هيراقليطس (ياروكلاس) الذى صار بعده مديراً للمدرسة ، أما هو فكرّس وقته لتعليم المتقدمين فى اللاهوت والفلسفة .

كرّس أوريجينوس حياته كلها لتفسير الكتاب المقدس تفسيراً رمزياً ، وقام برحلات لبلاد العرب كانت أولها حوالى سنة ٢١٤م بناء على دعوة حاكمها ، وبعد تخريب كاراكالاس للإسكندرية حوالى سنة ٢١٦م ذهب إلى فلسطين ودعاه أسقفها لشرح الكتاب .

كما دعته والدة الإمبراطور إسكندر سافيروس (٢٢٥ ـ ٢٣٥م) لأنطاكية لشرح بعض الأسئلة . فوّضه الأنبا ديمتريوس ليعمل صلحاً فى أخائيه ، وفى عبوره بفلسطين أقامه أسقفها قساً ، مما أغضب الأنبا ديمتريوس أنه قَبِل السيامة من أسقف آخر ، وأنه كان قد خصى نفسه دليل تطرفه فى فهم وصايا الإنجيل ، فأبطل الأنبا ديمتريوس كهنوته ونسب إليه أخطاء لاهوتية .

خضع أوريجينوس للأمر واستوطن فى قيصرية فلسطين وأقام مدرسة جديدة هناك والتجأ إلى كبادوكية أيام إضطهاد مكسيمينوس .

وفى أيام دكيوس (٢٤٩ ـ ٢٥١م) ألقى القبض عليه وتعذب وسجن ولم يمت أثنائها ثم تنيح عام ٢٥٤م فى مدينة صور .

ضاع جزء كبير من كتابات أوريجينوس التى تعدت الألفين .

كتب الهكسابلا لنصوص العهد القديم من ست لغات ، وتفاسير للكتاب وكتابات عقائدية وعن القيامة والصلاة والإستشهاد والدفاعات ضد كلسس ، وعن النفس البشرية والحياة الروحية والكنسيات والإفخارستيا والمعمودية ، ولعل القول أنه قال بخلاص الشيطان كان مدسوساً عليه حيث قال أنه أمر لا يمكن قبوله (عن رسالة صديق له أقتبسها روفينوس) .

تولى المدرسة بعده **هيراقليس** (ياروكلاس) الذى أقامة الأنبا ديمتريوس قساً وصار بطريركاً سنة ٢٢٤م .

درس هيراقليس الأفلاطونية الحديثة على يد أمونيوس السقاس ، وتتلمذ على يد أوريجينوس رغم أنه كان يكبره سناً . قيل أنه حث أوريجينوس للعودة للإسكندرية وكانت سيرته فاضلة استطاع بها أن يجذب الوثنيين إلى الإيمان .

تلاه **ديونسيوس** السكندرى فى رئاسته للمدرسة ، وكان ديونسيوس من أبوين وثنيين وولد فى الإسكندرية حوالى سنة ١٩٠م .

كان من مذهب الصائبة ويعبد الكواكب وكان طبيباً .

تتلمذ على يد أوريجينوس ورسمه الأنبا ديمتريوس شماساً ثم رسمه الأنبا هيراقليس قساً.

وفى عام ٢٤٧م أختيرا أسقفاً للإسكندرية وعانى من الإضطهادات ، وفى أيام فاليريانوس نفى إلى الصحراء ٢٥٧م وكان يواجه مشكلة المرتدين بعد كل اضطهاد . قاوم ديونسيوس هرطقات سابليوس وبولس الساموساطى كما فند الابيقورية .

تلاه ثيؤغنسطس وكان كاهناً سكندرياً ولاهوتياً أخذ منهج أوريجينوس . تلاه بيريوس وكان كاهناً مثقفاً وكارزاً ثم أرشلاوس وبطرس خاتم الشهداء و سرابيون ومكاريوس ثم القديس ديديموس الضرير (٣٤٦ ـ ٣٩٨م) أيام البابا أثناسيوس الرسولى .

حفظ ديديموس الكتاب المقدس والتعاليم الكنسية عن ظهر قلب ، ونبغ فى البيان والفلسفة والمنطق والرياضة والموسيقى .

تتلمذ على يده أو كتاباته غريغوريوس النزنيزى وجيروم وروفينوس وبلاديوس ، والتقى بالأنبا أنطونيوس . كتب ضد أريوس وفسر العهدين كلمة كلمة ، وكتب عن الثالوث والروح القدس وضد مانى وأعمال أخرى ، كما جاهد مع القديس أثناسيوس ضد الأريوسيه تنيح عام ٣٩٨م وله من العمر ٨٥ عاماً ، قضى منها ٥٢ عاماً مديراً للمدرسة وعاصر أربعة بطاركة . ضعفت المدرسة بموته وتدهورت ثم أغلقت .

(جدير بالذكر أن المدرسة أعيد أنشاؤها فى عهد البابا كيرلس الخامس فى نوفمبر ١٨٩٣م وكان أول مدير لها الأستاذ يوسف منقريوس ثم الأرشيدياكون حبيب جرجس فالقمص إبراهيم عطية فالأنبا شنوده أطال الله حياته) .

الفصل السابع



الإستتشهاد فى المسيحية :

- الإستتشهاد ومفهومه فى المسيحية .
- ثمار الإستتشهاد .
- أسباب الإستتشهاد .
- الكنيسة والإستتشهاد .
- المدافعون والإستتشهاد .
- نماذج من الشهداء .
- أشهر أوقات الإستتشهاد .
- مكانة الشهداء فى الكنيسة .

الإستشهاد فى المسيحية (١٥)

الإستشهاد فى المسيحية :

المسيحية ـ بعمل الروح القدس ـ تجعل الحياة فى المسيح هى كل رجاء الإنسان سواء فى الأرض أم فى السماء ، ويكون خلع الخيمة الأرضية ـ أى الجسد ـ هى شهوة الإنسان للقاء السيد المسيح ، ومع هذا تكون الحياة على الأرض هى أن يلبس الانسان المسيح فوق هذه الخيمة كى يُبتلع المائت من الحياة (٢كو ٥ : ٤) . وقد سبق وأنبأنا السيد المسيح " أن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم " (يو ١٥ : ٢٠) ، " فى العالم سيكون لكم ضيق " يو ١٦ : ٣٣ . وعلى هذا فإحتمال الضيق أو الألم أو الموت من أجل المسيح هى شهادة إيمان ورجاء فيه ... فالمسيحى إذا قُتل من أجل المسيح فهو شهيد ... وإذا تعذب بآلامات الجسد فهو مُعترف ... وإذا أحتمل الضيقات والاهانات فهو مُجرب ليتزكى .

ثمار الاستشهاد :

فى كل الأحوال يتدخل السيد المسيح له المجد بصورة أو أخرى سواء بذاته أو ملائكته أو قديسيه لمنح الرجاء والعزاء وأحياناً الشفاء لكل متألم من أجله . كانت هذه الآلام من أجل المسيح هى الكارز الاول فى الأيام الأولى للمسيحية . وكانت شجاعة واقدام الشهداء والمعترفين هى إظهار لعمل الروح القدس ، وتثبيت للعقيدة ، وتاكيداً لصدقها وقوتها وتأثيرها فى البشر ، كما كانت الآلام من أجل الاحتفاظ بعفاف الإنسان المسيحى والمسيحية هى شهادة على أن الفضائل فى المسيحية هى هبات سمائيه وليست مجرد تمسك بوصايا أخلاقية .

أسباب الاستشهاد :

كان الإضطهاد فى الأيام الأولى للمسيحية من اليهود أساساً ، سواء بالقبض أو السجن كما فعل شاول وإستشهد إستفانوس ويعقوب الصغير وسمعان أخوه ، وثمة سبيل أخر هو الوشاية وأثارة الجماهير كما حدث ضد بولس فى أورشليم ، أو بالمحاولات الفكرية الخبيثة كما حدث فى الأناجيل الأبوكريفا لتأكيد نعرة التهور . أما بالنسبة للرومان ، فكانت الأيام

الأولى يبدو فيها المسيحيون كشيعة يهودية ، وكانت اليهودية بالنسبة للرومان محتقرة ولكن كانت مُعترف بها كإحدى أديان الشعوب وكانت تلفت النظر في طقوس الختان وحفظ السبت والامتناع عن أكل لحم الخنزير وما ذبُح للأوثان ، مما دعا كلوديوس أن يقوم بطردهم من روما سنة ٥٢م بتهمة التمرد على السلطة الحاكمة .

ثم بدأت حقيقة المسيحية تظهر تدريجياً مع ظهور تأثيرها على الداخلين فيها مثل عدم مشاركتهم تقديم الضحايا للأوثان أو من الزواج المختلط أو امتناع المسيحي عن بعض الحرف مثل صناعة التماثيل الوثنية أو في حالة وصول المسيحي إلى المناصب الحساسة كأن يكون حاكماً أو ضابطاً بالجيش .

كانت الوثنية في المقابل تتغلغل في كافة أنشطة الحياة بالنسبة للوثنيين ، سواء في الزراعة أو الحروب ، وكان ارضاء الآلهه هو الشغل الشاغل للوثني خوفاً من بطشها ، وكانت كل الكوارث البيئية أو الشخصية بالنسبة للوثني هي عدم رضاء الآلهه ، ثم انتهت الوثنية بالولاء التام للامبراطور إلى حد تقديم البخور لصورته كحارس وممثل للآلهة .

أما بالنسبة للشعب الوثني نفسه فقد كان المسيحيون في عزلتهم للصلاة يثيرون شكوك الرعاع ، وفي عدم مشاركتهم حياة اللهو والمجون إثارة لحنقهم وعداوتهم ، فكان الرعاع أحياناً هم البادئين بالإضطهاد والسطو على المسيحيين قبل الحكام ، وكانوا يقومون بالوشاية ضدهم ويتعقبوهم لساحات القضاء مما أوعز لنيرون إلصاق تهمة حرق روما بالمسيحيين .

لم يقتصر الإضطهاد من قبل اليهود والوثنيين فحسب ، بل أنه بعد إعلان المسيحية كدين للدولة في أيام قسطنطين ثم ظهرت الأريوسية ، فكان التمسك بالإيمان الصحيح سبيلاً جديداً للاستشهاد والإضطهاد مثل ما فعل الأسقف الأريوسي جورجيوس في قتل سكوندوس كاهن برقة واشتراكه في مذبحة الإسكندرية في عيد العنصره مع الدوق سبستيان حين ذهب شعب الإسكندرية للصلاة في المقابر بعد أن استولى الاريوسيون على الكنائس ، كما نُفي بولس أسقف القسطنطينية ٣٥١م . وبعد مجمع خلقيدونيه قُتل القديس مقاريوس السكندري لعدم توقيعه ، ونفي البابا ديسقورس ، وسقط شهداء بالإسكندرية في ثورات دامية ، كما أنزل هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) اضطهادات بالغة بأصحاب الطبيعة الواحدة وطارد رعاتهم .

الكنيسة والإستشهاد :

بالنسبة للكنيسة كان الإستشهاد توضيحاً لفكرة العضوية في جسد المسيح ، فكانت الكنيسة خداماً وأعضاء يرفعون الصلوات ، ويزورون المسجونين ، ويشجعون المعترفين بالمشاعر والرسائل ، ويساعدون الذين حرموا من عائلهم أو من وظائفهم أو نهبوا فى ممتلكاتهم . وقام المؤمنون بحفظ ذخائر أى أجساد الشهداء ، كما قاموا بتسجيل محاكماتهم أو الرؤى التى آزرتهم لتشجيع الآخرين ، بل كانت الكنائس تتبادل الرسائل تحكى أخبار شهدائها . ووصل الأمر أن يكون الإستشهاد شهوة الكثيرين ، وقام مشاهير هذا العصر بكتابة الكتب حثاً على الإستشهاد مثل أوريجينوس ٢٥٣م وترتليانوس ٢٢٠م وكبريانوس ٢٥٨م .

المدافعون والإستشهاد :

كما ذكرنا من قبل فقد كان الإضطهاد يثير المدافعين للدفاع عن الشهداء الأبطال كودراتوس وأرستيد فى عهد هدريان (١١٧ ـ ١٣٨م) ويوستينوس مع تريفو اليهودى .

وسائل الإضطهاد :

كان من وسائل الإضطهاد الفصل من الوظائف ، أو مصادرة الأموال والممتلكات ، فقد حقوق المواطنة ، سلب البيوت والأمتعة ، فقدان حق التقاضى أمام الحكام ، ثم الضغط العاطفى باستعطاف الأهل والأقارب .

أما وسائل التعذيب فكان منها الاستعباد فى المناجم تحت الإغلال ، النفى ، الجلد ، الضرب بالعصى ، السجن فى المقطرة ، نزع الأظافر ، بتر الأعضاء ، التشويه بالآلات الحادة أو فقأ الأعين وغير ذلك .

أما وسائل القتل فكان منها الحرق حياً ، الصلب ، الالقاء للوحوش ، قطع الرقبة بحد السيف ، الإلقاء فى بحيرات جليدية أو زيت مغلى أو قار ، الشنق ، الإغراق فى البحر ، الدفن حياً ، أو الشطر بين شجرتين وغير ذلك .

نماذج من الشهداء :

شمل الإستشهاد كافة الفئات والأعمار فكان من بينهم :

أمراء : مثل يسطس وزوجته ثوكليا وابنتهما أبالى أيام دقلديانوس ، وبهنام ابن سنحاريب ملك الفرس وسارة أخته .

نبلاء : مثل بقطر ابن رومانوس الوزير وكان جندياً أمام دقلديانوس .

ولاة : مثل اريانوس والي أنصنا ، واركانيوس والي سمنود ، ومرقس والي البرلس أبو القديسة دميانة ، ويوحنا الهرقلي ويعقوب المقطع .

ضباط عظام : مثل مرقوريوس أبو سيفين والقديس جورجيوس الكبدوكي والقديس مارمينا.

جنود : مثل تاوضروس المشرقي وابسخيرون القليني وأبا بجول .

اساقفة : مثل أغناطيوس الأنطاكي وبوليكاربوس أسقف أزمير ـ والانبا بسادة أسقف ابصاى والقديس بطرس خاتم الشهداء .

قسوس : مثل أبا كلوج القس ، وأبا بجول القس ، وأبا قسطور القس .

شمامسة : مثل إسطفانوس أول الشهداء ، سانكتوس من ليون ، رومانوس من قيصريه ، وتيموثاوس وعروسه مورا من أنصنا .



استفانوس رئيس الشمامسة



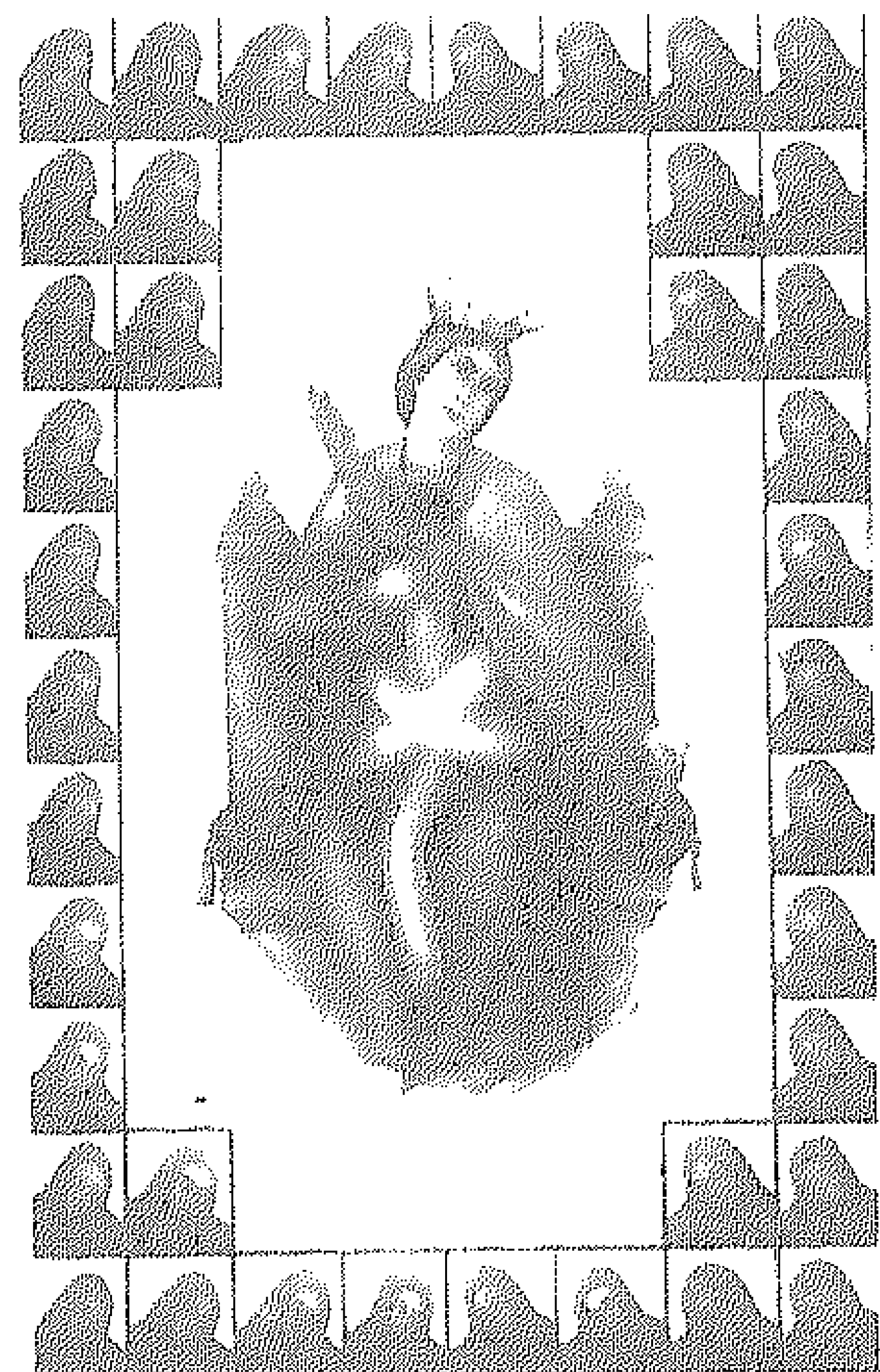
الشهيد مارجرجس



الشهيد مار مينا

رهبان وراهبات : مثل الأسقف يوليانوس مع خمسة الآف راهب بصحراء أنصنا أيام دقلديانوس على يد مرقيان ، والقديس اباكير بالإسكندرية ، والأنبا موسى الأسود والتسعة والأربعين شيوخ شيهيت . ومن الراهبات القديسة بربارة ، وأفرونية الناسكة ، والقديسة تكلا تلميذة بولس الرسول والقديسة دميانة والأربعين عذراء .

أمهات : مثل الشهيدة رفقه والأم دولاجى .



الشهيدة دميانة

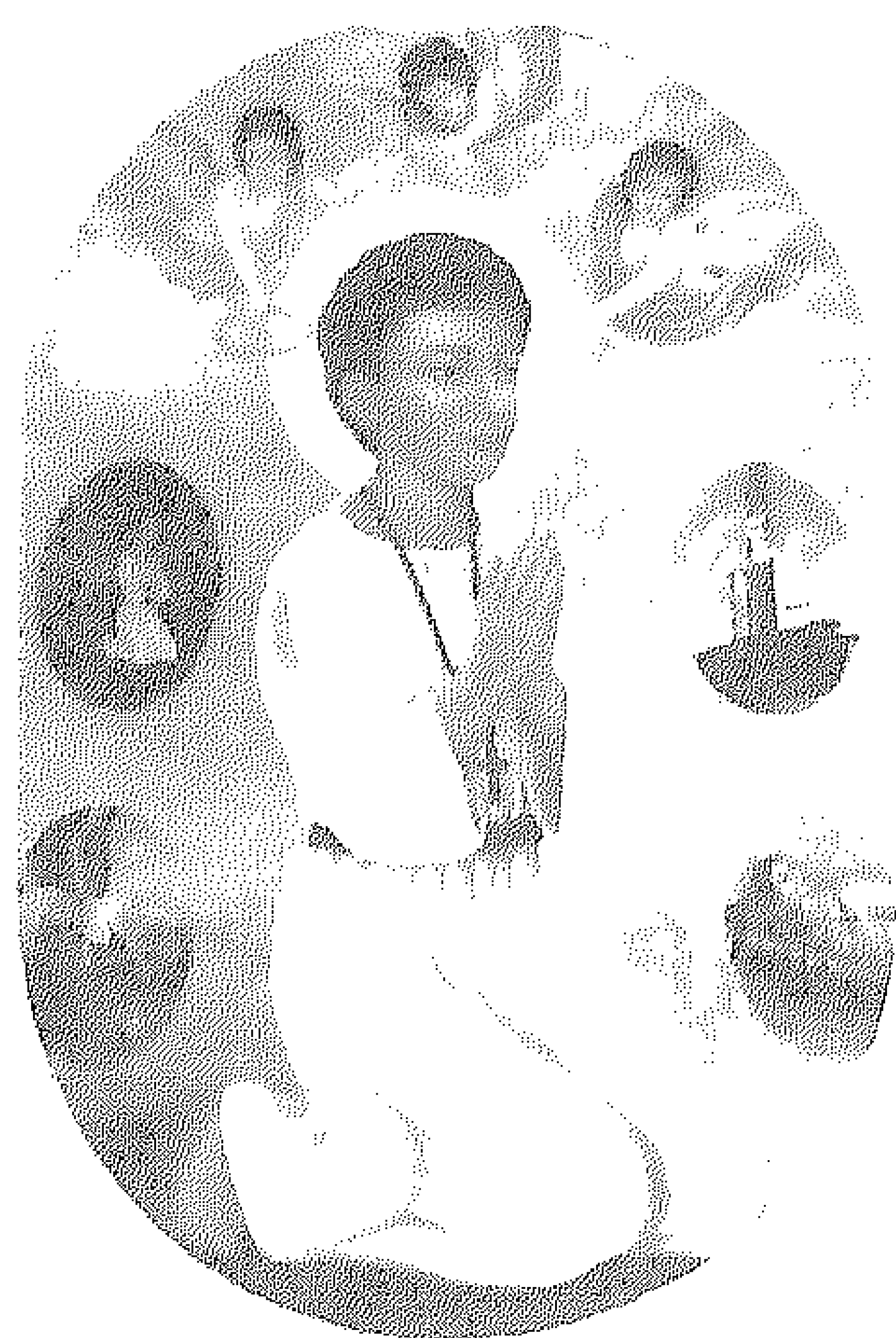


الشهيدة رفقه وأولادها

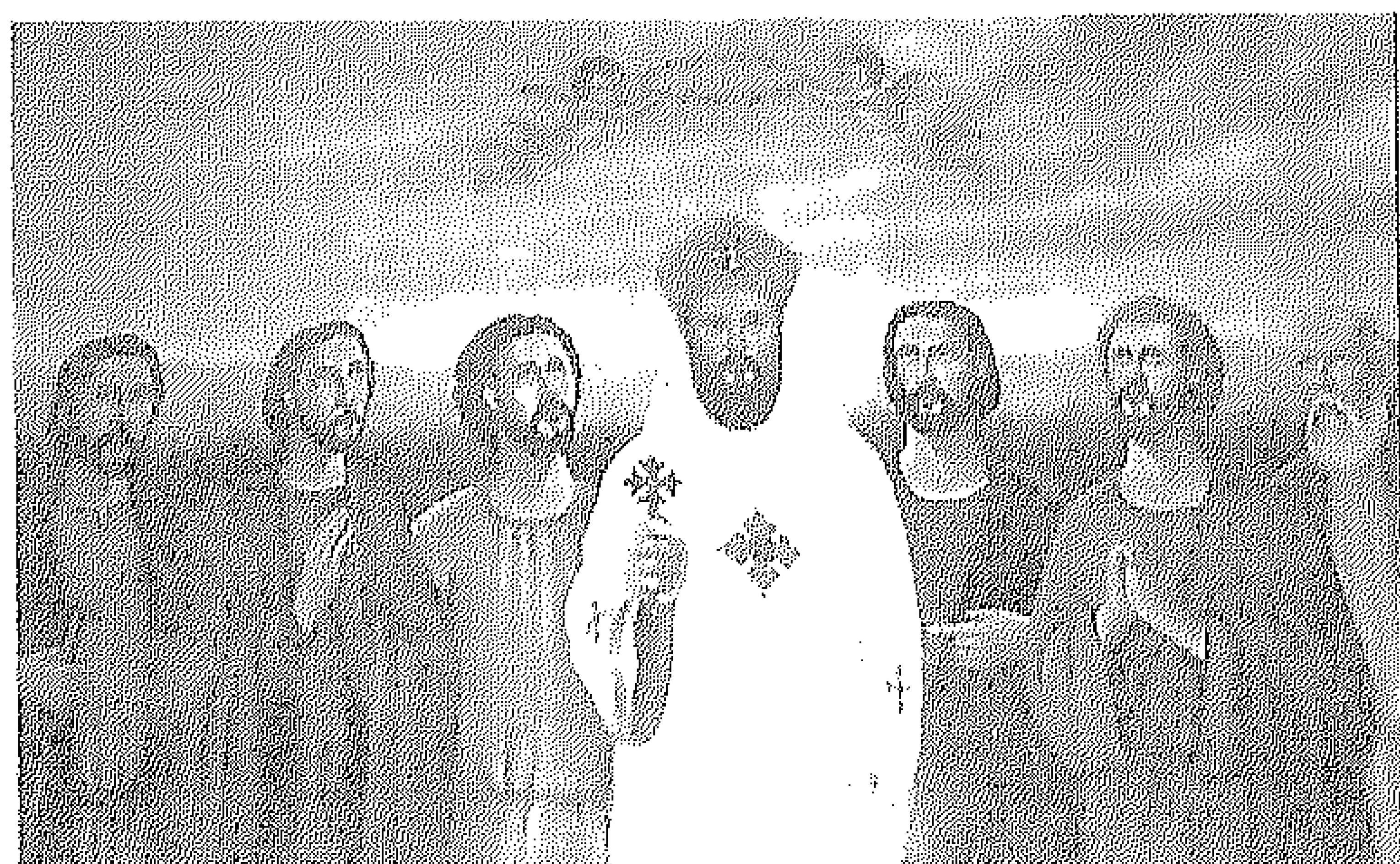


الأم دولاجى وأولادها

أطفال وصبيان وفتيات : مثل قرياقوس ويوليتا بأيقونية وأبانوب النهيسى .



أبانوب النهيسى



الشهداء أبيروه وآتوم وغيرهم

شباب : مثل ديديموس وثودورة بالإسكندرية أيام دقلديانوس وابيفانيوس من ليبيا .
فلاحون : مثل سورس وانطوكيوس ومشهورى بإسنا .
فلاسفة : مثل يوستينوس .
سحرة وكهنة أوثان : مثل أثناسيوس الساحر فى قصة مارجرجس ، ولوكيانوس كاهن الاوثان فى عهد أوريليانوس (٢٧٠ ـ ٢٧٥ م)
جماعات : مثل الكتيبة الطيبية من الأقصر ومذبحة إسنا أيام دقلديانوس ، ومذابح أنصنا وأخميم وسبسطية .

أشهر أوقات الإضطهاد :

مع متابعتنا لما ذكرناه عن الأباطره نجد أن أشهر أوقات الإضطهاد مرت أيام عشرة أباطرة ، مما سمى بالحلقات العشرة للإضطهاد : نيرون (٥٤ ــ ٦٨م) ، دومتيان (٨١ ــ ٩٦م) ، تراجان (٩٨ ــ ١١٧م) ، مرقس أوريليوس (١٦١ ــ ١٨١م) ، سبتيموس سافيروس (١٩٣ ــ ٢١١م) ، مكسيمينوس (٢٣٥ ــ ٢٣٨م) ، دكيوس (٢٤٩ ــ ٢٥١م) ، فاليريان (٢٥٣ ــ ٢٦٠م) ، أوريليانوس (٢٧٠ ــ ٢٧٥م) ، دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م) . وقد بدأ التقويم القبطى للشهداء مع إعتلاء دقلديانوس كرسى الإمبراطورية .

مكانة الشهداء فى الكنيسة :

تضع الكنيسة مرتبة الشهداء فى التكريم بعد السيدة العذراء والطغمات السمائية ورؤساء الآباء والانبياء والرسل . كما تذكرهم الكنيسة فى الأبصلمودية فى المجمع والذكصولوجيات وفى تحليل الكهنة وصلوات رفع البخور وأرباع الناقوس ومرد الابركسيس والمجمع بالقداس والسنكسار .
وتعتبر الكنيسة يوم الإستشهاد هو يوم عيد الشهيد ، كما تحتفظ بأجسادهم كذخائر وتقيم لهم الايقونات والإحتفالات وتتشفع بهم .

مراجع الكتاب

١ـ الكتاب المقدس .

٢ـ الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل . المتنيح الأنبا يوأنس أسقف الغربية .

٣ـ تاريخ الكنيسة القبطية . المتنيح القس منسى يوحنا .

٤ـ قصة الكنيسة القبطية . إيريس حبيب المصرى .

٥ـ تاريخ الكنيسة . يوسابيوس القصرى ترجمة القمص مرقس داود

٦ـ تاريخ الامة القبطية . السيدة أ.ل بتشر .

٧ـ مختصر تاريخ الامة القبطية . سليم سليمان .

٨ـ موسوعة تاريخ الاقباط المسيحية . المستشار زكى شنوده .

٩ـ تاريخ المسيحية . حبيب سعيد .

١٠ـ تاريخ الكنيسة المسيحية . سمير نوف ترجمة المطران الكسندروس جحا

١١ـ المسيحية عبر العصور . ايرل كيرنز .

١٢ـ وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها . الراهب القمص أنطونيوس الآنطونى .

١٣ـ تاريخ الكنيسة . جون نوريمر (دار الثقافة) .

١٤ـ تاريخ الفكر المسيحى . د. القس حنا جرجس الخضرى .

١٥ـ الاستشهاد فى المسيحية . المتنيح الأنبا يوأنس أسقف الغربية .

١٦ـ مذكرات تاريخ الكنيسة لطلبة الاكليريكية . القمص أثناسيوس ميخائيل .

١٧ـ الرسل الاثنا عشر . نيافة الأنبا اغريغوريوس .

١٨ـ مرقس الرسول . قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث .

١٩ـ القصد الالهى البطريرك أغناطيوس الرابع دير مار جرجس الحرف .

٢٠ـ دعودة الإنسان العليا (أو القصد الالهى من إبداع الإنسان) . دير الأنبا مقار .

٢١ـ تدبير الخلاص حسب تعليم أثناسيوس الرسولى . دير الأنبا مقار .

٢٢ـ تاريخ الكتابة التاريخية . هارى ألمر بارنز ترجمة د. محمد عبدالرحمن برج .

٢٣ـ منهج البحث التاريخى . د. حسن عثمان دار المعارف .

٢٤ـ التاريخ وكيف يفسرونه . اليان .ج. ويدجرى ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد .

٢٥ـ معالم تاريخ الإنسانية . هـ . ج . ولز ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد.
٢٦ـ الماضى الحى . د. ايفار ليسنر ترجمة شاكر ابراهيم سعيد .
٢٧ـ تاريخ العالم القديم . يوحنا النقيوسى .
٢٨ـ العطاء الفكرى لإنسان الشرق الأدنى القديم . د. رشيد الناضورى .
٢٩ـ الفلسفة اليونانية . د. أميرة حلمى مطر دار المعارف .
٣٠ـ المدارس الفلسفية . د. أحمد فؤاد الاهوانى .
٣١ـ تاريخ الفلسفة اليونانية . د. يوسف كرم مكتبة النهضة .
٣٢ـ المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية . أولف جيمن ترجمة د. عزت قرنى .
٣٣ـ فلسفة الحضارة . البرت اشفيتسر ترجمة د. عبدالرحمن بدوى .
٣٤ـ الرواقية . نيافة الأنبا اغريغوريوس .
٣٥ـ اليونان مقدمة فى التاريخ الحضارى د. لطفى عبد الوهاب يحيى .
٣٦ـ العلم الاغريقى بنيامين فارنتن ترجمة أحمد شلبى سالم مكتبة النهضة .
٣٧ـ تاريخ العالم الاغريقى وحضارته . د. فوزى مكاوى .
٣٨ـ تاريخ الحضارة الهيلنية . ارنولد توينبى ترجمة رمزى عبده جرجس .
٣٩ـ الامبراطورية الرومانية . تشارلز וورث ترجمة رمزى عبده جرجس .
٤٠ـ الأساطير الاغريقية والرومانية . كوملان ترجمة أحمد رضا محمد .
٤١ـ نشأة الدين . على سامى النشار مكتبة الخانجى .
٤٢ـ أديان ما قبل التاريخ . أندريه لوروا ترجمة د. سعاد جرجس .
٤٣ـ أديان العالم الكبرى . حبيب سعيد .
٤٤ـ فلاسفة الشرق . أدف توملين ترجمة عبدالحليم سليم دار المعارف .
٤٥ـ الديانة اليونانية القديمة . هـ . ج روز ترجمة رمزى عبده جرجس .
٤٦ـ التطور التاريخى للفكر الدينى . د. رشيد الناضورى ـ بيروت .
٤٧ـ العودة إلى الإيمان . هنرى لنك ترجمة د. ثروت عكاشة .
٤٨ـ آلهة مصر . فرانسوا دوماس ترجمة زكى موسى .
٤٩ـ الدولة والمؤسسات فى مصر من الفراعنة إلى الرومان . جنفيف هوسون ترجمة فؤاد الدهان
٥٠ـ كتاب التاريخ القديم (الشرق القديم) . ج ادجار ومحمد شفيق غبريال .

٥١- مصر الرومانية — ن . لويس ترجمة د. فوزى مكاوى .
٥٢- مصر والمصريون فى الكتاب المقدس . — القس عبد المسيح لبيب .
٥٣- عصر الاسكندرية الذهبى . — د. نبيل راغب .
٥٤- الديانة المصرية القديمة — ياروسلاف تشرني ترجمة د. أحمد قدرى .
٥٥- فى سر التجسد . — نيافة الأنبا اغريغوريوس .
٥٦- مبادئ العقائد المسيحية . — كنيسة مارجرجس بإمبابة .
٥٧- التاريخ الكهنوتى . — الخورى بولس الفغالى .
٥٨- أيقونة السماء . — دير البراموس .
٥٩- مذكرات فى تاريخ اليهود وأحوالهم وأعيادهم . — الكلية الاكليركية .
٦٠- المرشد الجغرافى التاريخى للعهد القديم . — القمص مكسيموس وصفى .
٦١- مدخل إلى العهد القديم . — القس مرقوريوس الأنبا بيشوى
٦٢- مدخل إلى العهد الجديد . — القس مرقوريوس الأنبا بيشوى
٦٣- مدخل إلى العهد المسيحى الأول . — إسحق ابراهيم فارس .
٦٤- مدرسة الاسكندرية وأباؤها الأولون . — القمص تادرس يقوب ملطى
٦٥- فى فلسفة التاريخ . — د. احمد عبد المقصود .
٦٦- التلاميذ الاثنا عشر . — نيافة الأنبا اغريغوريوس .
٦٧- الافخارستيا . — الأب القمص متى المسكين.
٦٨- اسرار الكنيسة السبعة . — حبيب جرجس .
٦٩- الدستولية . — القمص صليب سوريال .
٧٠- هرطقة الأبيونية . — نيافة الأنبا اغريغوريوس .
٧١- الآباء المؤرخون . — أنطون فهمى جورج .
٧٢- مدرسة الإسكندرية الفلسفية . — د. مصطفى النشار .
٧٣- تاريخ انتشار الديانة المسيحية . — القس منسى يوحنا .
٧٤- بطاركة عظماء للكنيسة القبطية . — جميل فخرى .
٧٥- الشريعة الطقسية فى العهد القديم . — القس مرقوريوس الأنبا بيشوى

هذا الكتاب ..

✞ ما هى حقيقة التاريخ ؟

✞ وهل تجرى أحداث التاريخ فى غفلة من مقاصد الله ؟

✞ وهل المسيحية حدث تاريخى أم هى قصد الله من التاريخ ؟

✞ وما هى حقيقة المسيحية وأرتباطها باشتياقات الانسان الفكرية والروحية والفلسفية ؟

✞ وكيف أجابت المسيحية على تساؤلات الانسان عن خلقته وعن مصيره ؟

✞ وما هو وجه ارتباط المسيحية بإختيار الله لإبراهيم وشعب اليهود ؟

✞ وهل المسيحية مجرد عبادات وطقوس أرضية أم الانتقال بالانسان إلى آفاق سمائية ؟

✞ وكيف عَبرت المسيحية البحار والجبال من خلال البسطاء إلى أرجاء الخليقة ؟

✞ وكيف تعيش المسيحية فى العالم وتتعامل معه ؟

✞ وما هى المشاكل التى واجهت الكنيسة من داخل ومن خارج وكيف واجهتها ؟

✞ وكيف نشأت الكنائس فى العالم ومن هم مديرها الأوائل ؟

✞ وهل المسيحية مجرد اعتقاد أم هى عمل إلهى فى الانسان حتى لو المؤمن الموت والاستشهاد ؟

هذا ما يحدثك عنه هذا الكتاب ....



يُطلب من المؤلف بطنطا ت / ٣١٤٠٩٩ (٠٤٠) - ٣٣٠٩٥
ومن مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجائبى . ومن المكتبا